رواية

الوصية الحمراء

تأليف

كزافيه دي مونتبين

وترجمة الكاتب البليغ المرحوم الاستاذ

طانيوس عبده

الجزء الثاني

عني بنشرها

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري نمرة ٦ - بمصر



Published by
Mr. E. A. ELIAS
P. O. Box 954.
Cairo.

رواية

الوصية الحمراء

تأليف

كزافيه دي مونتبين

وترجمة الكاتب البليغ المرحوم الاستاذ

طانيوس عبده

الجزء الثاني

عني بنشرها

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري نمرة ٦ — بمصر

﴿ تظهر عمّا قريب ﴾

« رواية »

باريزت

مترجمة بقلم

الكاتب الرشيق الاستاذ توفيق عبد الله

محلاة بنحو ماية صورة جميلة

فلا يجب ان تفوتك قراءتها

وتطلب من ملتزم نشرها

الياس انطون الياس

صاحب المطبعة العصرية

الفجالة — مصر

Published by
E. A. Elias
P.O. Box 954
Cairo, *(Egypt)*.

ولندع الآن تلك المنكودة في اضطرابها والدكتور تومسون في مشاغله ولنعد الى باسكال فنقول .

انه منذ الليلة الماضيه كان قاصراً اهتمامه على مراقبة اميدى ديفرناي وهو ذلك النجار أحد اصحاب المداليات

وقد كان متنكراً بملابس الخدم فجعل يراقبه في المحل الذي يشتغل فيه حتى خرج منه ودخل الى خمارة فجلس مع رفيق له فدخل باسكال في أثره وجلس بجانبهما على مائدة خاصة بحيث كان يسمع كل ما يجرى بينهما من الحديث

فقال له رفيقه ، انك أتيت متأخراً هذه الليلة

قال ، نعم اني كنت أشتغل في سانت دانيس

— أتعود غداً ؟

— كلا فقد وعدت فيرجيني ان أذهب بها غداً الى الخلاء للنزهة . .

— الى أين تذهبان ؟

— لا أدري فهي تعين المكان

— اني أهنئك بها أيها الصديق فهي من خير النساء الا تزال تشتغل ؟

— أنها تشتغل دائماً وتأنف من البطالة

— أتركت منزلك ؟

— لا أزال باقياً فيه وهو قرب شارع لا كروا فان فيرجيني راضية منه

— هذا الزواج الا تزال عازماً عليه ؟

— دون شك فليس ما يثنيني عنه ولكنى انتظر الى أن أبلغ سن الرشد فان أبي لا يوافق على زواجي الآن

— اذن اشرب نخب زواجك القريب وأفارقك

— لماذا العجلة ؟

— لانى عاهدت بعض الاصدقاء على الالتقاء بقهوة الحمراء وقد دنا الموعد فتعال معنا اذا أحببت

— سأحضر مع فيرجينى

ثم افترق الصديقان فخرج باسكال الى أحد فنادق الطعام فتعشى وذهب الى قهوة الحمراء وجلس في موضع يرى منه كل من يدخل الى القهوة

فما طال جلوسه حتى رأى اميدي قادماً ومعــه خطيبته فرجينى فعرفها من الاوصاف التي وصفها له جاك

وقد وقفا يبحثان عن مائدة خالية فلم يجدا فقالت له فيرجيني ، يظهر اننا قد تأخرنا فلا يوجد محل فارغ قرب الموسيقى

قال ، اجلسي على هذه المائدة فليس عليها غير رجل واحد

وقد أشار الى مائدة باسكال فوافقته وذهبا اليه فقالت له فيرجينى، الا نثقل عليك يا سيدي اذا شاركناك بالجلوس على مائدتك؟

— كلا ياسيدتي بل انى شاكر لهذا الاتفاق الذي اعتبره سعيداً

وطلب اميدي كأسى شراب له ولخطيبته ونظر باسكال الى فيرجينى فرأى سلسلة معلقة في عنقها ومحتجبة بين ثوبها وصدرها فقال في نفسه ، لا شك ان المدالية معلقة بهذه السلسلة وأقام وهو يتظاهر بسماع الموسيقى ولكنه كان مصغياً الى حديثهما فسمع اميدي يقول لخطيبته، الا تزالين مصممة على الذهاب غداً الى الخلاء ؟

قالت ، دون شك فقد أخبرت الخياطة التي اشتغل عندها انى لا احضر غداً

— اذن لنتفق كيف يكون سفرنا فنى أي قطار نذهب ؟

— في القطار الاول

— الى أين نذهب ؟

— لم اقرر بعد ولكنى أحب الجهات الخالية من الازدحام الكثيرة الاشجار والمياه بحيث تكون كالجزيرة المقفرة

— ولكن يجب أن يكون فيها فندق للطعام

— دون شك

— اذن لنذهب الى بوجيفال

— كلا فان الاشجار فيها قليلة

— بوجيفال ؟

— لا ظل لاشجارها

— وكوربيل ؟

— لا غابات فيها

— اذن الى أين تريدين الذهاب أتذهبين الى غابة شانتيلي ؟

— أيوجد فيها ماء وخضرة وفندق ؟

— يوجد كل ما تشتهين

فاشترك عند ذلك باسكال بالحديث وقال ، لقد أصاب يا سيدتي فان هذه الغابة خير المتنزهات

فقال له اميدي ، العلك تعرفها يا سيدي؟

— كل العرفان . ثم جعل يصفها لها وصفاً جميلا فقالت الفتاة ، اذن نذهب اليها

— وكم المسافة بينها وبين باريس ؟

— ساعة بالسكة الحديدية

— انها مسافة طويلة ولكن جمال الغابة كما وصفته يهون مشاق الوصول اليها

— وأنا أضمن لك ياسيدتي انك لا تندمين

— من أية محطة يجب أن نذهب ؟

— المحطة الشمالية

— وأين ننزل ؟

— في محطة اورى لافيل وهي في وسط الغابة فاذا عزمتما على الذهاب في القطار الاول كان لي الحظ بصحبتكما فارشدكما الى طريق الفندق .

— العلك ذاهب اليها ؟

— كلا ولكنني ذاهب الى اوري لافيل بمهمة أرسلني سيدي فيها ومتى بلغتم اليها أدلكم على الطريق ثم اقضي مهمتي

فشكره اميدي وقال له ، اننا نقبل صحبتك بالشكر اتأذن لي يا سيدي أن اقدم لك كأساً من البيرة؟

— بملء الارتياح على ان أن تأذن لي بعد ذلك بالاخذ بالثأر

و بعد الموسيقى فتح الستار و بدءوا التمثيل فانقطع الحديث وجعل باسكال يهيء الخطة التي سينهجها غداً فلما انتهى التمثيل ودع اميدي وفرجيني باسكال على أن يجتمعوا غداً في المحطة في الساعة السادسة صباحاً . .

وأما باسكال فانه ركب مركبة وذهب الى منزل صغير كان قد استأجره في شارع بكفيل فكتب كتاباً الى جاك على ان يضعه صباحاً في صندوق البوسطة ونام

وفي الساعة الخامسة ونصف من صباح اليوم التالي وضع الكتاب في صندوق البريد وذهب الى المحطة و بعد هنيهة جاء اميدي وفيرجيني فركب الثلاثة القطار وسار بهم الى اوري لافيل

حتى اذا وصلوا اليها نزل باسكال وتبعه الخطيبان فوجدوا في تلك المحطة المعتزلة طريقين يؤديان الى القرية فسر اميدي مما رآه من جمال تلك البرية وقال ، الا يوجد خمارة هنا فان كأساً من الخمر يعيننا على المسير

فقال له باسكال ، كلا ولكن يوجد في القرية خمارة جميله وفيها فندق

فقالت فيرجيني ، متى يعود القطار الاخير الى باريس ؟

قال ، في الساعة التاسعة مساء

قالت ، انه يعود باكراً واأسفاه قبل أن يطلع القمر فلا نراه من خلال هذه الاشجار الغضة

قال، لا تهتمي ياسيدتي بالعودة فقد خطر لي خاطر لا استطيع ان ابديه قبل وثوقي من امكان تحقيقه فهلم بنا الآن

قالت ، العل الفندق الذي ذكرته بعيد؟

قال ، كلا فسنبلغه بعد ربع ساعة وليس السير متعبا بين هذه الاشجار الجميلة . .

وساروا حتى وصلوا الى ذلك الفندق وهم فرحون بهذه المناظر فتركهم باسكال

فيه وذهب لقضاء تلك المهمة ثم عاد اليهما فاوصوا صاحب الفندق على طعام الغداء وذهبوا يتنزهون بين تلك الاشجار النضرة .

وعند الظهر عادوا الى الفندق بين الاشجار ولبثوا هناك الى الساعة الرابعة وقد اعجب الخطيبان بما كان يبديه باسكال من الرقة والملاينة

وقد كان عرفهما بنفسه باسم ايزدور وأنه مستخدم عند رجل غني له بيت في قرية كريتيل ولكنه مقيم الان في باريس ثم اقترح عليهما ان يذهبا في الساعة الثامنة الى المحطة فيركبوا هناك مركبة الى ذلك المنزل ويسهروا على ضفاف المرن ثم يبيتان في المنزل وعند الصباح يعودان الى باريس .

فوافق العاشقان على الاقتراح بملء السرور وذهب باسكال الى مركز التلغراف فأرسل التلغراف الآتي

« باريس

« غارنيه . قهوة سانت لا زار

« انتظرني الساعة الثامنة من هذه الليلة بمركبة في محطة الشمال »

ثم عاد الى العاشقين في الساعة السادسة ونصف وهو يقول في نفسه ، ان كتابي وصل الى جاك فهو سينتظرني منـــذ الساعة السادسة في قهوة سانت لا زار وسيصله تلغرافي فيوافيني الى المحطة في الموعد المعين

. . .

ولنعد الان الى الدكتور تومسون فقد تركناه في منزله يعالج المرضى فلما ذهب من عنده ريموند وولده دخلت اليه ارملة لا بار وولدها الراهب فقـدم لها الدكتور كرسياً وقال لها ، اظن ان سيدتي قادمة لمعالجة هذا الشاب ؟

قالت ، نعم يا سيدي وهو ولدي

فقال الطبيب بلهجة المندهش ، كيف يكون ولدك فان من رآكما معا لا يحسب الا أنك اخته

فسرت ارملة لا بار بهذا المدح وقالت في نفسها ، لا شك ان هــذا الطبيب افضل الاطباء

ثم قال لها الطبيب، كم له من العمر ؟

— تسعة عشر عاماً وهو نحيف البنية كما تراه ضيق الصدر على الدوام

فنظر الطبيب الى الفتى نظرة الفاحص وقال له ، العلك منـذ عهد بعيد في المدرسة الاكليريكية ؟

— منذ ثلاثة أعوام

وقالت امه، منذ توفى زوجي العزيز فانه كان من مشاهير المحامين وقد كان يريد ترشيح ابنه لامتهان مهنته ولـكني رأيته ميالا ميلا خاصا الى العلوم الدينية فما احببت اعتراضه

— الست ياسيدتى ارملة ذلك المحامى الشهير لابار ؟

— هو ذاك فهل عرفت زوجي ؟

— ولـكني سمعت الناس يتحدثون كثيراً عنه وعنك

— من الذي حدثك عنا ؟

— احد زملائى الاطباء فقد كنت عنده امس ولما عرف انى اختصاصي في معالجة الانيميا سألني معالجة ولدك ولو لم تحضري به لذهبت اليك لاسألك قبول معالجته عندي ولارجوك حضور حفلة سأعدها بعد بضعة أيام.

— انى شاكرة لك يا سيدي ولكن يستحيل تلبية دعوتك

— لماذا ؟

— لانى كما ترانى في حداد تام

— على من ؟

— لقد فجعت بموت اخي العزيز انطوان فوفيال الكتبي ..

فتظاهر الطبيب بدهشة عظيمة وقال ، انطوان فوفيال ؟

— نعم يا سيدي العلك تعرفه ؟

— كيف لا أعرفه وهو الذي باعنى مكتبتي منذ ٨ أيام وقد كان في ذلك العهد على أتم السلامة والعافية فكيف مات ؟

— أن اخي المنكود مات قتيلا

— قتيلا !

— نعم وهو ما اثبته الاطباء بعد تشريح الجثة

— يسؤني جداً يا سيدتى أن اسمع هذا النبأ المفجع فقد كان للفقيد العزيز اجل منزلة من الاحترام عندي ثم قال لها بعد سكوت قصير ، اقبضوا على القاتل ؟

— كلا

— اعرفوه ؟

— لم يعرفوه بعد

— ولكنهم عرفوا أسباب هذا القتل دون شك ؟

فحاولت الارملة أن تجيب غير ان ولدها سبقها وقال بلهجة جافية ، ان انطوان فوفيال قتله احد شركائه بالجرائم

فنظرت امه اليـه نظرة الموبخ وقالت له ، الا تدرك خطورة ما تقول يابنى . انه لا يجدر بك ان تتهم خالك مثل هذه التهم

قال ، انى اقول يا اماه ما اعلمه وتعلمينه مثلي

— كلا والف كلا

— بل هى الحقيقة التي يتحدث بها جميع سكان باريس فان خالي كان يضيف الى تجارته تجارة جرائم ويكفى شاهداً على ذلك كبس البوليس منزله فلما رأى ذلك ار كن الى الفرار فقتله احد سارقى الـكتب الذي كان يبيعه ما يسرقه حذراً من أن يفشي سره اذا قبضوا عليه وانت قد لبست عليه ثوب الحداد فلايحق لي ان اعترضك في ما تصنعين وأما أنا فانى لا ازال بملابسي العادية ولم يحزن قلبي فانى لا اشفق على الذين يسلكون سلوك اخيك ولا احزن عليهم ولـكنى اسأل الله أن يعفوا عنه وهذا كل ما استطيعه

فقالت له ، انى آمرك بالسكوت فانك تهيننى أعظم اهانة بعدم احترامك اخي

اما جاك فانه كان ينظر الى هذا الفتى نظرة الفاحص و يسمع حديثه ولغته الجافية التى لا تنطبق على ظواهره فايقن ان قلبه وقلب امه متنافران وقال له ، اسمح لي ياسيدي ان اناقشك في رأيك فانني أرى لموت خالك سراً خفياً لايصح التسرع بالحكم عليه

اما البوليس فهو غير معصوم عن الخطاء وقد ترى قريباً برهاناً جلياً يثبت براءة خالك فتندم لتسرعك بالحكم عليه

ثم التفت الى امه وقال لها ، اما حدادك يا سيدتى فلا اظنه يحول دون قدومك الى الحفلة التي ساعدها فانها قاصرة على الاخصاء وليس فيها اجواق موسيقية وسنعود الى الحديث بهذا الشأن فانى لا اعتبر نفسي مغلوباً اما الان فاني اسألك أن تأذنى لي بسؤال ولدك

قالت ، تفضل يا سيدي

فقال له الفتى، انى اسهل عليك مهمتك فاخبرك بما تريد معرفته عن حال مرضى

فقاطعه الطبيب قائلا ، ان مرضك ظاهر فهو الانيميا

— نعم انى شديد الافتقار الى الدم .

— ذلك لانك تشتغل كثيراً دون شك

— انى ادرس مقتديا برفاقي كي لا اقصر عنهم ولكني اؤكد لك انى لا اشتغل بغيرة ولا اجد عناء بالدرس فليس الافراط في العمل الذي اضعف دمي

— اتشكو من طريقة غذائك ؟

فهز الفتى رأسه وقال، ابحث عن غير هذا السبب ياسيدي فان طعامنا صالح كثير الغذاء

— ولكنكم تصومون كثيراً ؟

— ذلك بالظاهر ولكنى لا اعدم وسيلة اتمكن بها من الاكل والتظاهر بالصوم

فدهشت امه لهذا الاقرار وقالت له، ماهذا القول يابني وما عسى يقول اساتذتك اذا سمعوك ؟

— انى لست امامهم الان يا اماه بل أنا أمام طبيب جئت بي اليه ولا بد لي من اطلاعه على حقيقة امري كي يتمكن من مداواتي

فقال جاك في نفسه ، لقد اصاب باسكال في تقريره عن هذا الفتى فأنه لم يدخل المدرسة الاكليريكية لتعلقه بالدين بل لان امه اكرهته على الدخول اليها ثم قال الفتى، اذن ما تظن سبب مرضك ؟

— ان السبب الوحيد يا سيدي الطبيب هو الضجر فانه سوف يقتلني . .

فتداخلت امه أيضا وقالت له ، ما هـذا الذي اسمعه منك اليوم العلك ضائع الصواب ؟

— كلا ولكني حر الضمير وانت لم تأذني لي ان اكلمك مرة بجلاء اما الآن فأني احدث الطبيب الا تهمك صحتي ؟

— وماذا يهمني اكثر من ذلك في الوجود يابني . اما انت ولدي الوحيد . اني احبك اكثر مما احب نفسي بل كما تحب كل ام ولدها . .

فابتسم الفتى دون ان يجيب وعاد الطبيب الى السؤال فقال له ، اذن انت تشكو الضجر ؟

— ولا اشكو سواه

— الا تحب الدروس الدينية ؟

— بل اكرها اشد الكره

فاصفر وجه امه وقالت ، اتظن اني جئت بك الى هنا كي اسمعك تقول للطبيب مثل هـذا الكلام المبهم؟

— ولكن الطبيب يسألني اتريدين ان اكذب ؟

فقال له الطبيب، اذن انت لا ترى الدخول فى سلك الرهبنة من الامور المقدسة؟

— دون شك ولكني اشعر من نفسي اني ما خلقت لانتظم في هذا السلك ولم ادخل هذه المدرسة الا بالرغم عنى . ان امى يا سيدي صبية وهى دائما جميلة ولكن وجود فتى شاب في منزلها ينغص عليها ملاذها . .

فانتهرته امه عند ذلك وقد ضاق ذرعها عن احتماله فقالت له « اسكت ،

فقال لها ببرود ، لا تأمريني بالسكوت يا اماه فانى لا امسك بكلمة ثم عاد الى اتمام حديثه مع الطبيب فقال له، واما غيابى عن منزل امى فانه يطلق حريتها كل الاطلاق وفوق ذلك فانى متى اصبحت كاهنا ينقطع اتصالى بالامور العالمية فتدير امي كما تشاء تلك الثروة التى كنت اطمع بنيلها والتي بت فى ريب منها الان بعد سرقة وصية الكونت دى تونوريو

وقد ادخلتنى امي هذه المدرسة الاكليريكية وانا في السادسة عشرة من عمرى

ولا انكر ان افضل الامور دفع الافكار الى الصلاح والنفوس الى السماء ومؤاساة المنكوبين وتحذير اهل السلطة من عواقب الغرور والحث على المبادىء الطاهرة

ولكن من يأخذ على نفسه حث الناس على التقوى وجب عليه ان يبدأ بنفسه ويكون تقيا أو يكون كاذبا خداعا وما انا على شيء من الحالتين .

وعندي ان من رضي ان يكون من رجال الدين واخذ على نفسه حث الناس على التقوى دون ان يكون تقيا فهو من المجرمين

فلما دخلت في هذه المدرسة عرفت لاول وهلة انى لست من اهل هذا المضمار وكانت نفسي ولا تزال تواقة الى الملاذ العالمية ولكن انخراطي بين اولئك الرهبان وانقطاعي الى درس مالا اميل اليه من العلوم وحرماني من كل ما تتوق اليه نفسي من الملاذ انحل جسمي ودفع بى الى هاوية القبر . .

فوقفت امه عند ذلك وقد احمرت عيناها من الغضب فقالت ، ارجو أن تكون قد انتهيت من اهانة امك

قال، معاذ الله ان اجسر على ذلك ولكن نفسى قد طال عذابها فاحببت ان افرج كربتي قليلا بقول الحق امامك ولكن كانى المرة لا تمسك بشيء بل يخال لي انك تكونين سعيدة اذا عرفت ابنك حق العرفان وان تقفى على السبب الاكيد في نحوله

ولا شك عندي بمهارة الدكتور تومسون ولكنه على فرط اختباره لا يستطيع شفائى اذا لم يكن له معين من حريتى وارتياح نفسى فثقي يا اماه انى لا ازعجك في امر من امورى اذا ورثت تلك الثروة تركت شأنها لك تديرينها كما تشائين فاني لا اطمع بالمال بل اريد ان اكون طليقا ولا احبس في صوامع الرهبان

والان يا سيدى الطبيب قد انتهيت من حديثى فهل علمت حقيقة حالى ؟

— نعم يابني

— وما حكمك بعد ماسمعت ؟

— انك ما خلقت لتكون من الرهبان وقد عرفت امك ذلك دون شك فهى ستترجع عن طريقتها القديمة في تعليمك لانك غير ميال الى هذه العلوم التي تتلف صحتك وساتولى العناية بك واشفيك اتم الشفاء وانت يا سيدتى فانك تحبين ابنك

حبا شديدا فلا يسمك بعد ما عرفته من امره الا اخراجه من هذه المدرسة فانه بات فيها من الشهداء

وعندي انه يجب ان تدعينه يسير في الطريق الذي ترشده اليه امياله الفطرية وهو شديد الحزم ثابتْ الارادة مجد دون شك الطريقة المثلى ..

قالت، انه لو قال لي شيئا مما قاله الان او لوخطر لي اقل خاطر انه غير ميال للعلوم الدينية لما خالفت ارادته في شيء ولكنه فاجأني مفاجأة بهذا القول وكنت اعتقد كل الاعتقاد انه شديد الميل الى الدروس الدينية اما وقد عرفت ذلك فلا يسعني الا ان اطلق له الحرية ولكن يجب ان يعلم اننا لسنا من الاغنياء

فأجابها ولدها، انى متعلم يا اماه والعلم يفضل المال في بعض الاحيان وقد كنت متقدما في دروسى وساتمها بدرس علم الحقوق فأكون في مستقبل الايام محاميا ممتازا كما كان ابى

فقال له الدكتور ،وانا اتعهد ان اكون لك خير معين

. . .

وبعد سكوت قصير قال الدكتور للارملة ، والان فاذنى لي ياسيدتى ان اعود الى طلبي الاول وهو رجائى اليك ان تحضرى مع ولدك تلك الحفلة التي ساعدها

فقال لها ولدها، ارجوك يا اماه ان تقبلى فسأكون معك واكون سعيداً .

قالت ، ولكن الحداد يمنعني

فأجابها الدكتور ، ان الحداد يمنعك يا سيدتى عن حضور المراقص وحفلات الغناء واما حفلتي فهي قاصرة على اجتماع بسيط اريد به تدشين محلى الجديد

قالت ، اذن اقبل ارضاء لولدي

قال ، اما وقد نلت الان ما اردت فلاعد الى فحص ولدك ثم عاد الى سؤال الفتى فقال له ، اتسعل بعض الاحيان ؟

— نعم ولكن ذلك نادر

— انى احب ان افحص صدرك فأكشف عنه

فكشف عن صدره فرأى الطبيب ما كان يتوقعان يراه من تلك العظام البارزة وهو انما اراد فحص صدره كي يتأكد من ان المدالية معلقة في عنقه فوجدها موضوعة في كيس من الجوخ ومعلقة في سلسة من الفضة

فقال في نفسه ، انها باتت في يدي ولا استطيع نيلها

ثم فحص صدره حسب قواعـد الفن وبعد ان اتم فحصه قال له ، يجب عليك قبل كل شيء ان ترتاح ستة اشهر لا تعمل فيها عملا على الاطلاق

ثم اعطاه الدواء وخرجافشيعهما الى الغرفة التي تقيم فيها اميلي وسألها ان تقيد اسم العليل والدواء الذي وصفه

اما الارملة فانها دهشت لجمال الصبية وابتسمت ابتسام شك بالطبيب فاجابها الطبيب بابتسامه دلت على انها قريبة له فأدرك كلاهما قصد الآخر .

واما الفتى فقد كاد يفترس اميلي بانظاره

ثم ذهبت الارملة مع ابنتها وعاد جاك الى اميلي فقال لها ، ان الساعة قد بلغت الخامسة الان وقد انتهت اعمال اليوم فاذهبي مع انجل الى الشانزليزه وتنزهي معها حسب العادة فانها نزهة صحية ولا تنتظراني للعشاء فاني مسافر

— سافعل ماتشاء

— كم بلغ دخلنا اليوم ؟

— خمسا وعشرين ليرا

— انها اشارة حسنة الى المستقبل فان مجموع هذا الايراد في العام يبلغ ١٨٢ ليرا و٥٠٠ فرنك هذا اذا لم يزد وهو يكفي لنفقاتنا

— بل هو فوق الكفاية ولكن رينه لابار لم يدفع فهل افتح له حسابا ؟

— نعم والان استودعك الله يا ابنتي الى اللقاء ثم قبل جبينها قبلة اشد من قبلة الاب وذهب الى غرفته فغير ملابسه وذهب الى قهوة سنت لازار فقال لصاحبها ، اورد تلغراف باسم جارينه ؟

قال ، كلا واني لا أعرف هذا الرجل .

قال ، هو انا فان أحد اصحابي سيرسل لي تلغرافاً يضطرني أن أسافر الى

فرسايل في أول قطر فأرجوك أن ترسل لي كأساً من الابشنة وأن ترسل لي التلغراف حين وصوله

ثم ذهب الى مائدة في زاوية القهوة فجلس عليها وجعل يشرب ويقرأ في جريدة

ولبث على ذلك الى الساعة السادسة ونصف فورد التلغراف وأرسله اليه صاحب القهوة وهو التلغراف الذي أرسله اليه باسكال

فبرح القهوة في الحال وفي الساعة الثامنة كانت مركبة واقفة عند باب محطة الشمال حسب تعليمات باسكال

أما سائق هذه المركبة فقد كان الدكتور تومسون نفسه وقد تنكر فلما وصل القطار وفيه باسكال واميدي وفيرجيني عرف باسكال صاحبه فدنا منه وقال له ، العلك تنتظر أحداً أيها السائق ؟

قال ، نعم ولكن مركبتي صغيرة كما تراها لا تسع أكثر من اثنين . .

قال ، اني اجلس بجانبك وسأستأجر مركبتك بالساعة

ثم دعا اميدي وفيرجيني الى الصعود الى المركبة ووثب هو الى جانب السائق

. . .

ولنعد الآن الى ريموند فانه بعد ان خرج مع ولده بول من منزل الدكتور تومسون قال في نفسه ، اني تعهدت أن أجد هذه الفتاة التي يحبها ولدي فكيف أستطيع الوفاء بهذا التعهد واذا لم أتمكن من ايجادها فكيف أستطيع شفائه مما يعانيه وأرى انه يجب أن استنطق بول ولكني سارجئ ذلك الى الغد

وأما بول فقد سأله قائلا ، ماذا تصنع الآن يا أبي أتعود في الحال الى كريتيل ؟

قال ، أظن انه يجدر بنا قبل أن نعود أن نزور الكونتس دي شاتلو الا تستحسن ذلك ؟

— استحسن كل ما ترتأيه

— وفوق ذلك فانك ترى صديقك فابيان ويسرك ان تراه فيما أظن

— دون شك

وقد قال ذلك بلهجة تدل على عدم المبالاه ثم عاد الى تصوراته حتى وصلا الى منزل الكونتس

وقد استقبلتهما الكونتس خير استقبال ودهشت لما رأته من نحول بول

وكان ولدها فابيان معها فقال لصديقه بول ، اني سررت لقدومك لسببين أولهما اني رأيتك والثاني لتمكنني من أخبارك اني سأذهب قريباً لزيارتك في كريتيل

قال ، واني ارجو أن تقيم عندي عدة أيام فمتى تأتى؟

— يوم السبت أي بعد غد

— اذن يجب ان تحضر باكراً كي نستطيع الصيد

فالتفت فابيان الى أمه وقال لها ، الا تأذنين يا أماه أن اذهب مساء الجمعة ؟

قالت ، لا بأس فاذهب مع بول واتفقا

فلما دخلت الكونتس مع ريموند قالت له ، انا محتاجة اليك كل الاحتياج ولولم تزرني لكنت كتبت اليك أرجوك الحضور وسنتحدث في ذلك ولكن لنبدأ الحديث بشأن بول فما هذا التغيير الذي أصابه وما هي أسباب هذا النحول ؟

قال ، انه مصاب بالانيميا والأسقاه

— ولكن هذا الداء قابل للشفاء

— هو ذاك غير انه يوجد سبب آخر لهذا النحول أشد خطراً من الانيميا .

— لكل داء دواء

— هذا ما أرجوه غير اني أخشى أن يكون صعباً ايجاده

— لا أفهم ما تقول

— ذلك ان بول رأى فتاة حسناء فملكت شغافه لاول نظرة وأحبها حباً لا نعرفه الا بالروايات

— تريد انه عاشق ؟

— بل مفتون مدله .

فابتسمت الكونتس وقالت، اذا كان ذلك فكيف تقول ان الدواء صعب ايجاده؟

— لأن الحق فيما أقول

— وانا لا أرى شيئاً من الحق في ما تقوله فان ولدك جميل محبوب ولا بد لتلك اللحظات التي امرضته أن تشفيه

فهز ريموند رأسه وقال ، تقولين ذلك يا سيدتي لانك غير عارفة بالحقيقة ثم أخبرها بجميع ما اتفق لابنه

فقالت له ، اذا كان لا يعرف هذه المرأة أو هذه الفتاة فماذا يظن بها ؟

— لا سبيل له الى الظنون فانه يراها مكتنفة بالاسرار

— الم تسأله ؟

— لم اسأله شيئاً بعد ولكني سأسأله واقل دليل أقف عليه يسهل علي البحث .

— وسيكون بحثك مقروناً بالنجاح لمركزك في البوليس

— ولكني لا أجد واأسفاه ما يدل على حسن النتيجة فان هذه المرأة التي ولع بها قد تكون غير مطلقة السراح فاذا كان ذلك وعرفه فلا قوة له على احتماله لشدة ضعفه

— ولماذا تتوقع هذه العاقبة السيئة فان هذه العشيقة قد تكون فتاة طاهرة فيتزوجها

— ربما ولكن من يعلم منزلة هذه الفتاة في الهيئة الاجتماعية فقد تكون من عائلة نبيلة فكيف يطمع ولدي بزواجها ونحن على ما تعلمين وليس له ارث في المستقبل غير ماضي أبيه

— ان توقع المصيبة منها فلا تسترسل في الشر ولنتحدث الآن بشأنك فلاجل هذا أردت أن أراك

— العلك لا تزالين مهتمة بشأني يا سيدتي ؟

— دون شك فقد اجتمعت بكثير من أصحاب النفوذ وسيكونون خير شفيع لدى ناظر الحقانية وسأزور غداً سكرتير الوزير وهو سيقدم عريضتك بيده الا يزال رؤساؤك راضيين عنك ؟

— بل زاد رضاؤكم فقد عهدوا الي أخيراً بمهمة صعبة فقضيتها وكوفئت عليها وعسى أن تنجحي يا سيدتي فاني لا أخشى الآن الا أن يعلم ولدي ماضي أمري فلا يتحمل جسمه النحيل هذه النكبة

- لا تبالغ في الامر فان بول اذا علم فجأة هذا السر الذي تخفيه عنه فلا شك انه يضرب ولكنك ستكون بقربه فتحول بحكمتك دون هذا الاكتشاف فابق معه مدة أجازتك واني ارجو قريباً ان أخبرك بما يسرك والآن احب ان اسألك عن طبيب يدعى الدكتور تومسون أتعرفه ؟

- نعم عرفته فهو عالم اميركي مشهور استوطن حديثاً باريس وهو الذي يعالج ولدي فان لي به ثقة عظيمة

— اذن ليس هو من الدجالين؟

- كلا بل هو من مشاهير الاطباء الحاذقين ولماذا تسألين عنه يا سيدتي ؟

— لانه ارسل لي كتاباً يدعوني به الى حفلة يعدها قريباً في منزله وقد خشيت أن يكون من أهل التدجيل لكثرة ما قرأت عنه في الجرائد .

وعند ذلك دخل فابيان وبول وقد اتفقا على أن يزور فابيان صديقة ليلة الجمعة في كريتيل

أما ريموند وبول فانهما تعشيا عند الكونتس وبعد العشاء عادا الى كريتيل فأعطاهما البواب كتاباً باسم ريموند ورد اليه بعد الظهر ففتح الكتاب فوجد فيه دعوة له ولولده من الدكتور تومسون لحضور الحفلة التي أعدها فقال لولده ، أيسرك أن تحضر هذه الحفلة يابني ؟

فقال ، الحق يا ابي اني لا احب الاختلاط بالناس

— تمعن جيدا فان حضور هذه الحفلة يسليك

— لقد تمعنت ففضلت الامتناع عن حضورها

فلم يجب ريموند ولكن ظهرت عليه علائم التفكير فقال له بول ، بماذا تفتكر يا ابي؟

— بهذه الدعوة فلا اعلم كيف وردتني

— الامر بسيط كما اراه فان الطبيب نفسه ارسلها اليك

— وهذا الذي ادهشني لاني لا اعلم كيف عرف الطبيب اسمي وعنواني

- كيف ذلك الم تخبره بهما ؟

— كلا

— اظنك اخبرته ونسيت والا فكيف يمكن ان يعرفنا وما نحن من اهل الوجاهة؟

— ربما اخبرته باسمي وعنواني حين قابلته في فندق الجزيرة فقد كنت شديد الاضطراب حتى اني لا اذكر شيئا مما جرى بيننا ولا بد ان اكون اخبرته في ذلك الحين لانه لم يسألني عن اسمي حين زرته واياك ومهما يكن فليس ذلك بالامر الخطير فلنسترح الان بالرقاد يابني فقد آن أوانه .

. . .

بينما كان الاب وابنه يتأهبان للنوم كانت جناية جديدة تحدث في بيتي كاستل وهو منزل الدكتور تومسون في كرتيل الذي وصفناه غير مرة للقراء

ذلك ان اميدي وفرجيني قد سقطا في يد جاك وباسكال وتخدر في قاعة الطعام كما تخدر قبلهما الكتبي فوفيال وناما مثله بعد ان استنزف جاك كل دمائهما بالفصادة

ولما فرغ جاك من استنزاف دمائهما اسرع الى فيرجيني فانتزع من صدرها المدالية وتمعن فيها فوجد مكتوبا عليها هذه الكلمات الثلاث « من اسود ابتدأ » فقال بلهجة النصر ، لقد ظفرنا بالمدالية الاولى ولا بد لنا من نيل المداليات الخمس الباقية

ثم اخذ المدالية ووضعها في جيبه فقال له باسكال ، ماذا نصنع الان بالجثتين ؟

قال ، نبدأ فنضعهما في المركبة ثم نذهب بهما الى غابات بولونيا العليا بعيدة من هنا؟

— ساعتين

— متي يشرق الفجر في هذا الايام ؟

— في الساعة الخامسة

— نحن الان في منتصف الليل فاذا اسرعنا السير نصل قبل الساعة الثانية فهيا بنا نحمل الجثتين فحملاهما الى المركبة

وعاد الدكتور الى المنزل فجاء بالجثتين وصعد باسكال الى موضع السائق وجاك بجانبه فانطلقت بهما المركبة تسابق الرياح حتي اذا بلغت الى الغابات وتوغلت فيها أوقفها جاك عند اجمة ونزل يتبعه باسكال فاخذ الحبل وعقده ثم وضعه في عنق اميدي وشنقه في غصن سنديانة وعاد الى المركبة فسار بها وفيها جثة فيرجيني حتى وصلا الى

مقبرة مهجورة فالقيا تلك الفتاة المنكودة عند بابها وعادا الى المنزل مطمئنين كأنهما لم يرتكبا اثما . .

. . .

ولنعد الآن الى الفتى الصياد فلقد تركناه في الصباح وقد أعان البحارة على أستخراج جثة فوفيال من النهر وشهد على ما جرى فى ادارة البوليس ثم عاد الى ضفاف السين فاشتغل كل يومه في الصيد فلم يصد سمكة فيأس من هذا النهر وعول على الرجوع الى كريتيل ليصطاد في نهر المرن حسب عادته

وقد عرف القراء عادات هذا الغلام المتفلسف ومن هذه العادات انه كان ينام حين يدب النعاس الى جفنيه في كل مكان يكون فيه

فلما قبل الليل سار على قدميه قاصدا كريتيل بطريق غابات بولونيا فلما توسطها وجد أكمة متسعة فراق له النوم فوق أعشابها على أن يواصل السير عند الفجر

ولما تبلج الصباح وغردت ذوات الجناح انتبه الصياد من رقاده فحمل عدة صيده وسار في طريق كريتيل ولكنه لم يسر بضع خطوات حتى رأى فتاة نائمة فوق اكمة كما كان هو نائما فقال في نفسه ، انها اذا كانت مسافرة الى كريتيل فهي نعم الرفيق فلا ستعمل الحيلة فى ايقاظها

وعند ذلك قرب منها وجعل يتكلف السعال الشديد فلم تستيقظ فغنى بصوت مرتفع فلم تنتبه فعجب لامرها ودنا منها فأخذ يدها فوجدها متراخية باردة

وعند ذلك علم انها ميتة فرجع منذعرا وقال في نفسه ، ما هـذا الشؤم الذى أصابنى فان أول عمل عملته بالامس انتشال غريق وفتحت عيني اليوم على جثة امرأة وقد تكون هذه المرأة قتيلة فاذا رأونى بقربها اتهمونى ولا استطيع تبرئة نفسي فلا هرب قبل أن يحضر حراس الغابة . .

ثم انطلق مسرعا في الغابة كالمجانين والعرق ينصب من جسمه وهو يلهث تعبا فما سار ربع ساعة حتى وقف وقد جمد الدم في عروقه من الرعب ذلك انه رأي رجلا مشنوقا معلقا في سنديانة فستر عينيه بيديه كي لا يرى وحاول الفرار ولكنه لم يستطع

لرعبه وجعل يقول، رباه ماهذا الاتفاق غريق وميتة ومشنوق والى كيفما سرت لا أرى غير الجثث انها طلائع شؤم فما عسى أن يصيبني؟

على أني لا استطيع البقاء هنا ولا استطيع التخلي عن هذا الرجل فقد يكون باقيا في قيد الحياة وقد استطيع انقاذه اذا قطعت الحبل . .

وعند ذلك تشدد ودنا من ذلك المشنوق بغية قطع حبله فلم يكد يتبين وجهه حتى ذعر ذعرا شديدا وقال، انى أعرف هذا الفتى فهو اميدي النجارخطيب فرجيني وأحد ورثاء الكونت دى تونوريو الا يمكن أن تكون تلك الفتاة التي رأيتها ميتة خطيبته فيرجيني ؟

ولكنه قبل أن يتم جملته سمع وقع أقدام فالتفت فرأى حارسا قادما من بعيد فجعل ينادى بأعلى صوته و يقول ، مشنوق

فأسرع الحارس مهرولا وقال له ، ما هذا ؟

قال ، انى كنت سائرا فرأيت هذا المشنوق ثم رأيتك قادما من بعيد فناديتك

فأخذ الحارس مدية وأسرع الى قطع الحبل فقال له الصياد ، العله مات ؟

قال ، دون شك ولا بد لي من ابلاغ البوليس

وفي ذلك الحين كان جماعة من العمال ذاهبين الى اشغالهم فناداهم الحارس فاقبلوا وتجمهروا حول الجثة فقال لهم ، ليذهب واحد منكم عدواً الي نايلى و يدعو البوليس فانطلق واحد منهم ممتثلا و بقي الجميع حول الجثة يتكهنون عن سبب الشنق بما يبدو لهم من الاراء المختلفة

أما الصياد فقد كان حائراً في أمره لا يعلم ايخبرهم بالميتة التي رآها وأنه يعرف المشنوق أم يكتم الامر الى أن يعلموه بالتحقيق . فارتأى الكتمان بعد الامعان كي لا يضطر الى البقاء في باريس اياما الى أن ينتهى التحقيق

وبعد هنيهة اقبل البوليس ثم جاء رئيس القسم وقد كانوا عثروا أيضاً على جثة فرجيني فقال للبوليس ، لقد بلغنى حدوث حادثتين في الغابة ولكني لم اقف على التفصيل

قال ، لقد وجد حراس الغابة رجلا مشنوقا وامرأة ميتة

— أهما قتيلان ؟

— لا نعلم اذا كان الرجل شنق ام انتحر وأما المرأة فلم نجد في جسمها اثراً من آثار الجريمة

— اهي صبية ؟

— لم تتجاوز العشرين وهي على اتم الجمال فانظر يا سيدي وجهها ثم كشف عن وجهها فرآه جميع الحاضرين وبينهم الصياد فعلم أنها فيرجيني

قال ، ولكن ألم تعرفوا اسمهما ؟

— ذلك يستحيل اذ لم يكن بيننا من يعرفهما ولم نجد معهما أوراقاً تدل على اسميهما ثم أنه لا يوجد دليل على ان اللصوص قتلوهما لان نقود كانت معهما

فأمر عند ذلك أن يحملوهما الى محل عرض الموتى فساروا بهما وتبعهم كثير من الناس وبينهم الصياد حتى خرجوا من الغابة فقال الصياد في نفسه ، كفاني تلهيا فلاذهب الان الى المحطة ولاعد الى كريتيل ثم ترك الموكب وسار في طريق المحله

. . .

كان بول يكتم كل الكتمان غرامه باميلي حتى انه كتم سره عن أبيه وعن صديقه الحميم فابيان ولكنه لم يسع كتمانه عن الصياد لانه كان غريباً في تلك القرية وقد اضطر الى الاستعانة به لمعرفة اسم التي يهواها وحالتها لا سيما بعد ان احتجبت عنه ولم يعد يراها

فبينما كان الصياد ذاهباً الى المحطة كما قدمنا وقد كاد يصل اليها رأى مركبة جميلة تسير في تلك الجهة وفيها امرأتان تتنزهان وتتنشقان نسيم الصباح

وقد استلفت نظره في البدء جمال المركبة ثم رأى المرأتين فدهش اذ علم أنهما المرأتان اللتان كان يراهما في بتي كاستل وان احداهما تلك الصبية الحسناء التي كان يدعوها بول حورية البان لانه لا يعرف اسمها و يعتقد أنها سافرت بحيث لم يعد يراها فقال الصياد في نفسه ، لا بد لي من اقتفاء أثرهما حتى اعرف أين تقيمان فأخدم بول خدمة جليلة يكون لي منها خير مكافأة

وعند ذلك نظر الى ما حواليه فرأى مركبة اجرة واقفة فصعد اليها مسرعاً وقال

لسائقها ؛ اتبع هذه المركبة الجيلة بحيث لا تحتجب عنك ولك مكافأة حسنة فامتثل السائق وسار في أثرها

وما زالت مركبة اميلي تسير حتى وصلت الى عطفة وكان هناك قطار ترامواى يسير مسرعاً فصدم المركبة صدمة شديده اقتلعت دولابها وصاحت المرأتان صياح الذعر فترا كض الناس لنجدتهما .

وكان اسبقهم اليها فتى في مقتبل الشباب فرأى انجل مصفرة الوجه وعليها علائم الذعر الشديد ورأى اميلي قد اغمي عليها ولكن كلتاهما لم تصابا بضرر

وكان الصياد قد رأى كل ذلك غير ان الذى استلفت انظاره فوق كل شيء مداخلة هذاالفتي اذ عرف انه فابيان ديشاتلو صديق بول فقال في نفسه ، العله يعرف هذه الصبية فأسرع الى نجدتها قبل الجميع ثم قال ، كلا فلو كان يعرفها لعرفها صديقه بول ايضاً فانهما لا يفترقان ولكن المروؤة تغلبت عليه فبادر لاسعافها

وجعل فابيان يعالج اغماءاميلي بما حضره من الوسائط ثم قال لانجل ، اخشى أن يطول اغماؤهاالا ترين يا سيدتى ان نحملها الى صيدلية قريبة ؟

قالت ، اذا كان لا بد من ذلك فاني اوثر الرجوع بها الى المنزل فان الدكتور تومسون ابصر الناس بمعالجتها

فقال لها ، العلها قريبة هذا الطبيب الذي ذكرت اسمه ؟

— نعم ياسيدي

— أهو الدكتور تومسون الاميركي الشهير المقيم في مورمنسيل ؟

— نعم يا سيدي ولماذا هذه الاسئله العلك تعرف الدكتور ؟

— اعرفه بالسمع ولكن وصلتنا أمس منه دعوه لحضور حفلة يعدها في منزله .

— اتأذن لي بسؤالك عن اسمك يا سيدى ؟

— الكونت فابيان دى شاتلو

فانحت وارتعشت حين سمعت اسمه ولكن فابيان لم ير شيئاً من ذلك لانهما كه باميلي التي أوشكت أن تستفيق

و بعد هنيهة استفاقت وعاد الى وجهها لونه الطبيعي الجميل فكان فابيان ينظر

اليها باندهال واعجاب اذ لم يكن يخطر له ان يرى مثل هذا الجمال العجيب في غير الرسوم

ثم اعادوا دولاب المركبة الى موضعه فشكرت انجل واميلي فابيان وعادت المركبة بهما الى المنزل والصياد يتبعهما حتى وصلتا اليه فاطلق الصياد سراح مركبته وعرف من بواب المنزل اسم الدكتور واسم الفتاة بعد ان قص عليه ما جرى للمركبة من الاصطدام جاعلا تلك الحكاية وسيلة للاستعلام ثم انطلق مسرعا الى المحطة فركب القطار وسار الى كريتيل وهو يفتكر بكل ما جرى له من الحوادث

* * *

بعد ان وصلت جثتا اميدي وفرجيني الى محل العرض فحصهما ناظر ذلك القسم وكان قد حضر تشريح جثة الكتبي ورآه قبل التشريح وعلم كيف قتل فلما رأى الجثتين وجد اعراض موتهما تشبه اعراض موت الكتبي فذعر واول ما خطر له ان ينظر في عنقهما الى ذلك الموضع الذي استنزفت منه دماء الكتبي فوجد الجرح الصغير نفسه في العنقين ولكنه لم يظهر له الا بعد الضغط على البشرة كما فعل الطبيب

فقال لا، بد لي من الاسراع الى رئيس البوليس فانها جناية هائلة

وعند ذلك هرول مسرعاً الى ادارة البوليس فقال له الرئيس، العلك قادم لالتماس الاذن بدفن فوفيال ؟

— كلا بل اني قادم لامر اشد خطورة وهو انهم جاءوا بجثتين الى محل عرض الجثث

— اهما اللتان وجدتا في غابة بولونيا؟

— نعم

— لقد عرفت بامرهما فاني كنت اقرأ التقارير عنهما قبل حضورك .

— ولكنك لم تعرف يا سيدي انهما ماتا قتيلين

— قتيلين !

— بل ثلاثة فان اليد التي قتلت الكتبي هي التي قتلت هذين

فاصفر وجه رئيس البوليس وقال، أن الكتبي كان يوجد في قفا عنقه اثر جرح صغير يدل ان الدماء قد استنزفت منه

- وهذا الاثر نفسه موجود في عنق القتيلين

فنادى الرئيس عند ذلك طبيب البوليس وذهب واياه الى محل العرض فبعد ان فحص الطبيب الجثتين ورأى ذلك الجرح الذي استنزفت منه دماء الخطيبين قال ، انى لو كنت مكانك يا سيدي الرئيس لذعرت ذعراً شديد اذ يوجد كما يظهر عصابة في باريس تقتل الناس بالطرق العلمية وبمهارة فائقة تدل على شدة حذق القاتل وطول تمرينه في الامور الجراحية فقد قتل ثلاثة في ٣ ايام بطريقة واحدة ان ذلك هائل يملأ قلوب اهل المدينة ذعراً متى انتشر بين الناس وبعد هل عرف هذان القتيلان ؟

- كلا فلم يوجد معهما اوراق يستدل به عن اسميهما

- ايوجد دليل على ان هذا القاتل كان يقصد السرقة ؟

- كلا فان اموالهما كانت في جيوبهما

- تقول ان الرجل وجد مشنوقاً ؟

- نعم وهذا الحبل الذي شنق به

- لماذا شنق هذا الرجل بعد ان قتل باستنزاف دمه والله ان ذلك مما يحار له العقول

فاخذ رئيس البوليس الحبل وفحصه فوجد عليه تبنا عالقا به فقال ، لا شك ان هذا الحبل خارج من اصطبل ولكنك اصبت ايها الطبيب فان هذه الجرائم تحير العقل فان مرتكبها من اصحاب العقول الرجيحة وهو لم يقتل قصد السرقة فلا بد ان يكون هناك غرض خفي يرتكبون هـذه الجرائم من اجله

- دون شك ولكن كيف السبيل الى معرفته؟

- لا بد من ظهور خفاياه واقصى مايجب ان انحريه الآن كتمان الجريمة من الجرائد فلتنشر ان الرجل المشنوق مات منتحرا وأن المرأة ماتت بسكته دماغية ولنبحث سرا عن المجرمين

- ولكن يجب قبل كل شيء ان نعرف القتيلين

- ذلك امر سهل فان عائلتي القتيلين ستخبر ان البوليس باختفاهما فنعرفهما ومتى عرفناهما نبحث عن علائق القتلين بل الثلاثه فان القاتل واحد وهم قتلوا دون شك لغرض واحد فنتصل لمعرفته المجرمين . .

وبعد ان كتب الطبيب تقريره ذهب رئيس البوليس الى ناظر الحقانية فاستقبله باسما وقال له ، ما جاء بك الي فأني ارجو ان لا تكون حدثت مؤامرة على الجمهورية

— بل المؤامرة على الامن العام يا سيدي ثم قص عليه جميع ما عرفه القراء من تفاصيل الجرائم الثلاث فذعر الناظر وقال، ان الامر خطير واخشى ان يلقي الرعب في قلوب سكان باريس

— ولهذا يا سيدي يجب ان يبقى امرها مكتوما

— ايمكن كتمانها ؟

— دون شك وذلك بأن تأمروا النيابة ان لا تبلغ الجرائد شيئا من هذه الحوادث وفي ذلك فائدة اخرى وهي اننا نستطيع البحث عن المجرمين وهم آمنون يعتقدون ان البوليس غير عارف بشيء من جرائمهم . .

— ليكن ما اقترحته وسأصدر أمري الى النيابة ولكن يجب الا سراع بالعمل فأن مثل هذه الاسرار لا تكتم طويلا

— سافعل يا سيدي وسأختار لهذه المهمة خير رجالى الا كفاء وهو ريموند فورمنتال الذي حدثتك بشأنه اخيرا

— اما هو هذا الرجل الذي اخرج من السجن بشرط أن يخدمنا المدة الباقية من سجنه ؟

— هو نفسه ياسيدي وهو رجل شريف النفس طاهر النيه وسيقدم لكم عريضة يلتمس بها اعفاءه من الخدمة قبل استيفاء المدة لتمكنه من الاهتمام بولده المريض فارجو يا سيدي اجابة طلبه فقد خدمنا خدمات جليلة ولكن قبل اطلاق سراحه يجب ان يخدمنا هذه المهمة

— اذن استخدمه لقضائها ومتى انجزها حدثني بشأنه

فتركه الرئيس وانصرف وهو مصمم على تشغيل ريموند قبل انتهاء مدة اجازة واطلاق سراحه بعد قضاء هذه المهمة

. . .

لما اعادت انجل واميلي الى المنزل كان الدكتور فيه فاخبرته أنجل بالخطب الذي

اصابهما وكان الرعب قد اثر باميلي فاصابتها نوبة عصبية بعد اغمائها فعالجها الدكتور وسألها ان تدخل الى غرفتها فتستريح

ثم خلا الدكتور وباسكال وانجل فقال لها الدكتور، الم يتفق لكما شيء غير ما ذكرته لي في نزهتكما؟

قالت، لقد اتفق لنا ما لايخطر لك في بال وهو ان الكونت فابيان دي شاتلو قد رأى اميلي وحدث ما كنت تتوقع حدوثه فان جمالها جذب قلبه فان كنت عازماً على ان تعرفه بها في حفلة يوم الاثنين فقط اغنتك الصدفة عن ذلك فان التعارف قد تم

ثم قصت عليه كيف ان فابيان تفرد بالعناية بالصبية حين اغمائها فقال لها، اتظنين أنه راق له جمالها؟

قالت، بل انى واثقة من أ فتتانه بها فان مثل هذه النظرات التى كان ينظرها اليها لا تخفى معانيها على امثالي ولا شك انه سيحضر الحفلة . .

قال، اذكر شيئاً من ذلك؟

قالت، نعم بمناسبة ذكر اسمه لنا حين علم اننا من اهل الدكتور تومسون

قال، اذن لم يبق بدا من زيارته لشكره

فقال باسكال، اظن أن أرسال رقعة زيارة تكفي

— ربما ولكني أرغب أن أري هذا الفتى في منزله وأن أتعرف بالكونتس أمه فأن تعرفي بمثل هؤلاء الناس يبعد عنى الشبهات وفوق ذلك فقد أجد وسيلة الجذب الفتى الى المحل الذي تعهده ولى أيضاً مأرب آخر ساظهره لك متى نضج فقل لي الان ما وراءك من أخبار ريموند وولده . .

— لم أعلم شيئاً عنهما سوى انهما مسافران

— لقد أرسلت اليهما رقعة الدعوة وسيحضران حفلتنا دون شك ثم قال لانجل، أرى أن لا ميلى ثقة تامة بك ألم تحدثك بشيء عن ماضيها وحالتها الحاضرة ومستقبلها

كلا فلماذا تسالنى هذا السؤال؟

— لانى أحب أن أعلم السبب في هذه الكآبة الشديدة التى تنولتها منذ رجوعها من بيتي كاستل الم تلاحظي ما لاحظته

—نعم ولكني أظنها كئيبة لوفاة أمها فان هذه الاحزان تتجدد قوتها من حين الى حين الى أن يقتلها النسيان

— وأنا أرى غير ما ترينه فعندي أنه لا بد أن يكون لها سر تكتمه عنا

— ماذ. تظن أتحسب انها علمت بشر وعنا ؟

— كلا فان ذلك لا يمكن أن يخطر في بالها ولكني أرى من احمرار عينيها انها لا تنام الليل ولا بد أن يكون لها سر فلنبحث عنه فنجده

فقال له باسكال ، وماذا يهمنا أن يكون لها سر فانها آلة بيدنا لبلوغ أغراضنا وهذا كل ماتريده منها فمتى قضينا هذه الأغراض سرحناها باحسان لأننا لانبقيها معنا الى الأبد فما هذا الخوف؟

— من يعلم ما يكون في المستقبل

— أرى ان الفاظك قد نمت عن أفكارك وأخاف أن يكون قد غلبك جمال هذه الفتاة

فابتسم الطبيب وقال ، قد تكون مخطئا وقد تكون مصيبا والآن هلم بنا الى المائدة فقد حان وقت الغذاء

وبعد الغذاء قال له الدكتور ، ألعلك عازم على الخروج من المنزل ؟

قال ، كلا بل انتظر عودتك من عند الكونتس

قال ، اذن مر باعداد المركبة فاني سارى اميلي وأذهب لزيارة الكونتس .

ثم دخل الى غرفة اميلي فدنا من سريرها وأخذ يدها وجس نبضها وهو ينظر الى وجهها البادية عليه علائم التعب فقالت له ، لست محمومة ولكن الخوف من حادثة الاصطدام اثر بي تأثيراً ارجو أن يكون زال الآن فاني لا اشعر بشيء من التعب

قال ، ولكن وجهك يا ابنتي يدل على انك مريضة قبل هذا الخوف فاني أرى علائم التعب عليك منذ عدة أيام أي منذ قدومك من بتي كاستل

فاحمر وجه الفتاة احمراراً لم يخف على عين جاك النقادة فقال لها ، لماذا يا ابنتي العزيزة تكتمين عني سبب احزانك اخبريني بكل شيء فقد اكون قادراً على تسليتك

فاجابته بلهجة مضطربة ، لا اكتم شيئاً ياسيدي ولست اشكو من شيء

قال ، اتقسمين لي ؟

فاحمر وجهها أيضاً وقالت ، لماذا تريد أن اقسم لك يا سيدي العلك مشكك في ما أقول ؟

فلم يلح عليها بالسؤال وقال لها ، أنك في حاجة الى الراحة فالزمى سريرك اليوم وساعود لعيادتك في المساء

ثم تركها وقد نظر اليها نظرة غريبة لم تألفها من قبل

أما اميلي فأنها اضطربت لنظرته وقالت في نفسها ، ماهذه النظرات الغريبة فقد خيل لى أن الدمع يجول في عينيه وبعد أن تمعنت قليلا قالت ، لا شك أنه حين نظرنى نائمة في السرير ذكر ابنته التى فقدها فثارت احزانه

أنه طاهر القلب بعيد النظر فقد عرف اني حزينة فما كتمت عنه حزنى ولكنى اعرف أن اكتم عنه غرامى واني أرى هذا الداء يستفحل بي ولا سبيل الى الشفاء منه الا برؤية من أحب فهل يباح لى أن اراه ؟

ثم وضعت رأسها بين يديها وجعلت الدموع تسيل من عينيها .

أما جاك فأنه ذهب لزيارة الكونتس فوجدها مع ولدها وكان فابيان قد اخبرها بما اتفق له مع ربيبة الدكتور تومسون فاستقبلته الكونتس بدعة ولطف وافرغ كل ما لديه من فنون التلطف والتأدب والشكر حتى فتنها بظاهر أدبه ووافقت على تلبية دعوته الى حفلته ثم انصرف عنها شاكراً وبعد ساعة ذهب ولدها الى كرتيل لزيارة صديقه بول

وأما ريموند فأنه صحا باكراً وهو يرجو أن يعد بعض المذكرات قبل خروجه من باريس

وكان يحسب أن ابنه لا يزال نائماً ولكنه لم يكد يتم لباسه حتى رأى ابنه قادماً اليه فقال له ، كيف بكرت هذا التبكير العلك ارقت فاني اري علائم الارق بادية في وجهك

قال ، نعم يا ابي فهل تريد أن نعود الان الى كريتيل ؟

قال ، اني اريد كل ما تريده يا ابني فهلم بنا ثم نادى البواب فاخبره أنه سيغيب بضعة أيام عن المنزل وكتب له عنوانه حتى اذا اراد احد مقابلته لشأن خطير مستعجل يكتب اليه بالبرق أو بالبريد

وسار الاب وابنه فقال بول لابيه ، احق انك ستقيم معي يا ابي ؟

— نعم يا بني

— كم يوم؟

— لا ادري بالتدقيق ولكنى اقيم معك بضعة أيام

— وهذا السفر الذي كنت معولا عليه

— التمست من الوزارة أن تأذن لى بتأجيله الى أن اتم بعض المعدات . .

— انك تذهب دون شك لتفتيش مكاتب الحكومة

وكانت هذه المرة الاولى التى سأل فيها بول مثل هـذه الاسئلة فعجب لأمره وقال ، له لماذا تسالني هذه الاسئلة؟

— لأني اود أن اصحبك في هذا السفر فاني أرى نفسي في حاجة الى التنقل وأرجو أن اجد راحة بالتجول والاسفار وتغيير الهواء . .

فاضطرب ريموند لهذا الاقتراح ولكنه اخفى اضطرابه وقال له ، انك تعلم يا ولدي العزيز ما اجده من الانس والسرور بقربك ولكن هذا السفر الذى تظنه مفيدا لك لا تجد فيه غير التعب والضجر فان كل الأسفار قد تفيد ما عدا اسفاري اذ ليس لي فيها ساعة راحة ولا انتظام وكلها متاعب ومشاق يصعب عليك احتمالها اذ اقضي اكثر اوقاتي في قطارات البخار . .

— ولكن ذلك يسرني يا ابي فاني لا اعرف الى الآن غير باريس

— حسنا فستحدث في ذلك يا بني

— متى يكون موعد سفرك؟

— لم يتقرر بعد ولكن ما هذه الرغبة الفجائية في الميل الى السفر فتنهد بول وقال، انى ارجو ان يمهد لى سبيل النسيان ثم سقطت دمعة من عينيه فرآها ابوه وتفطر قلبه عليه من الاشفاق

ولما وصل الى كريتل خلا ريموند بالخادمة واخبرها بما قاله الطبيب وبما عرفه من بول وكيف أنه لا يعلم اين تلك الفتاة التى يهواها .

فقالت له ، اذا كان ذلك فقد وجب البحث عن هذه الفتاة التى خلبت قلبه فاذا كانت جديرة بحبه هان الامر

فتأوه ريموند وقال ، انى وعدت بول بالبحث عنها حين اضطرابى وأما الآن اأسف لوعدى أياه هذا الوعد

— لماذا ؟

— الا تعلمين أن بول ابن ابيه الذي حكم عليه بالسجن والاشغال الشاقة عشرين عاماً وأية فتاة يرضى اهلها تزوجها بابن مجرم فاذا كانت جديرة به فهو لا يكون جديراً بها

— انك غير مصيب في شيء مما تقوله فلست أنت المجرم بل المجرمون هم الذين حكموا عليك ثم لنفترض انك كنت مجرماً وهو محال فاية شريعة تقضي أن يحمل الولد تبعة ذنوب ابيه

— شريعة الهيئة الاجتماعية الجائرة فان ذنوب الاب أو الأم تصم الولد بوصمة عار لا تمحوها كرور الايام

— غير ان جريمتك تنوسى امرها ولم تذع وسيعينك البوليس على كتمانها بفضل خدماتك الجليلة

— وانا لا يرعبني الان مثل هذا البوليس فانى صرت اخشى أن تتفق حادثة يعلم فيها الناس انى من البوليس السرى وطائفة الجواسيس .

— الم تعدك الكونتس دي شاتلو بالتوسط فى اطلاق سراحك؟

— انها وعدتني وعداً صادقاً وستذهب اليوم الى سكرتير وزير الحقانية لمحادثته في شأني

— اذا كان ذلك فلماذا اليأس فاذهب وابحث عن تلك الفتاة التى يحبها ولدك . اين لقيها ؟

— لا اعلم بعد ويجب ان اسأله

— وهو سيخبرك الحقيقة بجملتها فانه لا يكتم امره عنك

— هذا الذى ارجوه

— اتقيم بيننا عدة ايام ؟

— نعم فقد اعطيت اجازة

— اذن اغتنم هذه الفرصة للعمل

وعند ذلك دخل بول فقطعا الحديث واخبر بول الخادمة بقدوم صديقه فابيان كي تتأهب له ثم اتفق الاب والابن على ان يذهبا معا لصيد السمك وذهب بول بابيه الى الموضع الذى لقي فيه اميلى اول مرة

وهناك اخذ يهتم بالصيد والقى صنارته في المياه فكان ابوه يراقبه خلسة فرآه قد استحال فجأة فتقطب وجهه و بدت عليه علائم التفكير فقال ريموند في نفسه، اذا صدق ظنى فان ولدى ما رأى التى يحبها الا في هذا المكان

وكان بول ساهيا مفكراً لا يجذب صنارته من المياه ولا يتفقدها كانه قد نسيها فقال ريموند في نفسه ، لقد حان زمن سؤاله ثم قال لوالده وهو يبتسم ، أنك اذا كنت تصطاد على هـذا الطريقة فلا رجاء لنا باكل السمك . .

فانتبه بول من سهيانه كما ينتبه النائم من رقاده فقال له ابوه، بماذا تفتكر يابنى ؟

— لا افتكر بشيء يا ابي فقد كنت نائماً

— كيف تكون نائما وعيناك مفتوحتان أجبنى يا بنى بجلاء فان ساعة الاسرار والغموض قد مضت . اكنت تفتكر بها ؟

فتنهد بول تنهداً طويلا وسال الدمع من عينيه فقال بصوت مختنق ، نعم يا ابى انى كنت اناجيها وقد بذلت جهدي في محاولة النسيان فلم أجد سبيلا

فأخذ ريموند يد ولده بين يديه وقال له ، تشجع يا بني و كن شديدا انى اعرف عاطفة الحب حق العرفان فلا الومك لعجزك عن ضبط شعورك فقد احببت مثلك وكانت التي احببتها أمك ولكني حين عرفتها كانت مطلقة القلب فأجابت حبى بمثله ولم يحل بيننا حائل اذ كنا نعلم ان هذا الحب يفضي الى الزواج فكنا نمشي الى هذه الغاية يدفعنا الأمل وحسن الظن فهل تعلم يابنى اذا كان يحق لهذه التى تهواها أن تهواك ؟

— اظن وأرجو

— ولكنك لست على يقين

— هو ماتقول

— كم مرة كلمتها ؟

— مرة واحدة

— وهذه المحادثة الوحيدة دفعتك الى هذا الهيام !

— نعم يا ابي

— الا تحسب ذلك تهوراً وخطاء ؟

— هو كل ما تقول يا ابي ولكن هذا الذي اتفق

— الم تسأل هذه الفتاة أو هذه المرأة اسئلة تعلم منها اذا كانت مطلقة القياد واذا كانت تستطيع أن تحبك دون أن تخون

— كلا .

— لماذا ؟

— لأن جمالها سحرني فشغلت باالنظر اليها و بسماع حديثها عن سؤالها .

— كم يبلغ عمرها فيما تظن ؟

— نفس عمري تقريباً

— أتظن انها من الاسرات ذوات المنزلة الرفيعة في الهيئة الاجتماعية

— بل اني واثق فان حديثها ابدع من جمالها

— أين كان اجتماعكما ،

— هنا في هذا المكان الذي نحن فيه

وهنا قص عليه بول ما عرفه القراء من تفصيل حديث اجتماعه بامبلي فقال له أبوه ، اذن هي تقيم في هذا المنزل الذي نراه ؟

— نعم يا أبي

— اذا كنت قد عرفت منزلها فكيف لا تعرف اسمها ؟

— ذلك لاني سألت كثيرا فلم يجبني أحـد

— ولكن لهذا المنزل صاحبا ولهذا الصاحب اسم دون شك

— لا ريب في ماتقول ولكني تعذر علي معرفة اسمه لا سيما وأن هـذا المنزل بات خاليا الان وليس من يعلم اين رحل سا كنوه وهذا الذي يثير اشجاني .

— رفقا بنفسك يابني فقد أخطأت الاستفهام كما يظهر على أني سأ كشف لك الحقيقة في بضع ساعات

فقال له بلهجة الفرح المستبشر، أتظن ذلك ممكنا يا أبي ؟

— بل اني على يقين تام

— أذن تفضل يا أبي بالاستعلام في الحال .

— سأفعل ما تشاء فسر بي بقاربك الى الضفة؟

فسار به بول وهو يكاد يطير سرورا فوثب ريموند من القارب الى الضفة وهو يقول ، ساعود اليك قريبا بالخبر اليقين

اما بول فأنه عاد الى موضعه وهو يقول في نفسه ، ترى اينجح في هذه المهمة ويشفيني من دائي الاليم ؟

وأما ريموند فأنه سار توا الى بيتي كاستل وقال في نفسه ، لابد ان يكون لهذا المنزل بواب اذ لا يمكن ترك هذا المنزل الجميل خاويا خاليا في هذه البقعه الممتزلة وعندذ لك طرق الباب مرارا فلم يجبه أحدثم صبر هنيهة وعاد الى طرق الباب بعنف فلم يجبه غير الصدى فعجب لامره وقال في نفسه ، يظهر ان البيت خال ولكن اهله لم يغادوره منذ عهد بعيد كما توهم بول فهذه اثار دواليب مركبة تدل انها مرت بهذه الطريق منذ يومين لا اكثر وأرجح انهم يقيمون في باريس وانهم جاءوا الى هنا أمس أو أول أمس

وقد تنبهت فيه عند ذلك حاسة البوليس فنظر الى ما حواليه نظرة الفاحص وقال ، لوكان يوجد منازل مجاورة لهان الاستعلام ولكنه على اتم الاعتزال ومع ذلك فاني أرجو ان اظفر بامنيتي فان أهل هذا البيت لا بدلهم من شراء حاجاتهم من الدكاكين المجاورة فلا بد لي من سؤال اصحاب هذه الدكاكين

وفيما هو سائر للبحث لقي موزع البريد فأستوقفه وحياه وقال له، اهذا هو المنزل الذي يدعى بيتي كاستل ؟

قال ، هو بعينه

— اتعلم اسم صاحبه ،

كان من قبل للمسيو لامبينيه ولكنه هاجر القرية وباعه اما الذين اشتروه فما أقاموا فيه اكثر من اسبوعين ثم برحوه وسيغيبون عنه مدة طويلة كما اخبرني المقاول الذي اشتغل فيه أشغالا كثيرة

— الا تعلم اسماءهم؟

— كلا

— كيف ذلك ألم تحضر لهم رسالة أو جريدة خلال المدة التي أقاموا فيها ؟

— كلا ولكن اذا أردت معرفة اسم الذي اشتري هذا المنزل فهو سهل ميسور

— أرشدني الى الطريقة

— هي أن تذهب الى المسجل الذي باع البيت أو الى المقاول الذي اشتغل فيه

— أين يقيمان ؟

— في جرانفيل على بعد عشرين دقيقة من هنا

فاستعلم منه ريموند عن اسم المسجل وشكره ثم قال له ، لقد قلت لي ان أصحابه لم يقيموا فيه اكثر من أسبوعين فهل عرفت متى سافروا ؟

— منذ ثمانية او عشرة أيام

فتركه ريموند وأنصرف وهو يقول في نفسه ، يستحيل أن يكون سفرهم منذ عشرة أيام فان أثار دواليب المركبة تدل على غير ذلك ولا بد أن يكون هنالك سر يجب حله وسأكشف عنه النقاب

ثم ذهب توا الى منزل المقاول وسأل عن اسم صاحب المنزل الذي اشتغل فيه فقال له أنه لا يعلم فسأله عن المسجل فقال له لا فائدة من ذهابك اليه اليوم فقد ماتت حماته وهو مهتم بجنازتها

فانقلب ريموند راجعا الى ولده وفيما هو سائر رأى رجلا قادماً اليه فاصفر وجهه حين رآه ودنا منه فقال له ، أأنت هنا وهل أنت قادم للبحث عني؟

قال ، هو ذاك

— العلك قادم من قبل الرئيس ؟

— نعم

— بأية مهمة ؟

— بهذا الكتاب منه وقد ذهبت الى منزلك في باريس فارشدني البواب الى عنوانك وهذا هو الكتاب

فأخذ ريموند الكتاب ففضه بيد ترتجف وقرأ مايأتى

«عندما يصلك هذا الكتاب اسرع بالحضور الي ولا تتأخر لحظة فالامر خطير»

رئيس البوليس

ثم قال للرسول ، اذن يجب أن أذهب في الحال ؟

— قال ، لقد صدر الي الأمر بان أنتظرك وأعود وأياك

— ماذا حدث ؟

— لا اعلم شيئا فاني حين جئت الى الادارة لعرض تقريري أعطاني الرئيس هذا الكتاب وأمرني أن أسرع به اليك والذي رأيته من أنه مضطرب سيء الاخلاق فلا أرى من الحكمة أن تتأخر في الذهاب اليه

— ولكن يجب على الاقل ان اخبر والدي وأن اتغدى

— لا بأس من ذلك واذا اذنت تغديت معك

فقطب ريموند حاجبيه واسودت الدنيا في عينيه وقال في نفسه ، ما هذا النكد المحيط بي فان الامر خطير وسأحرم اجازتي دون شك وماذا اصنع فى هذه الظروف فلا يوجد غير الطاعة والامتثال

ثم التفت الى الرسول وقال له ، اذهب الى فندق الجزيرة فاوص على الطعام وانتظر حضوري

وافترقا فذهب الرسول الى الفندق وعاد ريموند الى ولده وعلائم القلق بادية عليه فاجفل بول لمنظره وقال له ، لا شك انك قادم الي بخبر سيء . .

— هو ذاك يا بني

— العلك تريد ان تقول لي اني فقدتها واني لن أراها

— ليس امر استيائي خاصا بشأنها فاني لم اعلم عنها شيئاً بعد لاني لم افرغ من بحثي وهو سيسفر دون شك عن نتيجة

— اذن لماذا توقفت عن مواصلة البحث؟

— لاني لقيت قرب المحطة احد عمال الوزارة وهو قادم لطلبي

— اعزمت على السفر ؟

— في الحال فان الامر خطير كما يظهر فاذهب بي الى الضفة

— ايطول سفرك يا ابي ؟

— لا اعلم لاني لم اعلم السبب في دعوتي

— الم يحدثك احد بشيء عن سكان بني كاستل؟

— لم يوجد احد في هذا المنزل يا بني فقد سافروا جميعهم منذ ثمانية ايام

— الى اين ؟

— ليس من يعلم الى الان ولكني سأعلم غداً

— وانت مسافر دون شك

— لا بد من سفري ولكن ليس ما يدل ان سفري سيطول بل ربما عدت هذه الليلة فاذا عدت اتممت بحثي غداً وفي كل حال اطمئن وعتمد علي فقد وعدتك وسأفي بوعدي فتشجع يا بني واصبر فانني سأبلغك مأربك ولو ضحيت حياتي

فسكت بول هنية ثم عاد الى الحديث فقال ، ماذا جرى للموظف الذي جاءك ؟

— انه رجع لفوره كي يخبر رؤسائي انه لقيني واني قادم في الحال

— اذا كان ذلك فانك لا تتغدى معي

— ليس لي متسع من الوقت فاني سأقول كلمة لمدلين واسافر

— اترجو حقيقة ان تعود في المساء ؟

— الا اذا حدث امر فوق حسباني فارسل لك رسالة برقية

— ولكن اين تؤمل ان تجد التعليمات عن سكان بتي كاستل ؟

— عند المسجل الذي باعهم المنزل

— اين يقيم هذا المسجل ؟

— في جرانفيل

— الا يمكن أن أذهب انا فأراه؟

— لا تكن جزوعا يا بني ودعني اتولى الامر بنفسي فان ذلك اضمن الى النجاح

وعند ذلك بلغا الضفة فخرج من القارب وسارا الى المنزل فكان بول يسير مطرق الرأس وهو يقول في نفسه ؛ ان كل ما أجده من ابي غريب في هذه الايام فانه كان يحسب نفسه طليقا عدة ايام وهم الان يستدعونه فجاءة فما هذه الاسرار المحدقة بي من كل جانب؟

ولما وصلا الى المنزل خلا ريموند بالخادمة فاخبرها بما اتفق له وبما يجب ان تصنع ثم ودع ابنه وذهب تواً الى ادارة البوليس وهو يحاول ان يعلم السبب الذي دعى من اجله فلا يتوفق الى حله

أما السبب في استدعائه فهو ان رئيس البوليس بعد خروجه من لدن الناظر واتفاقه معه على كتمان حوادث القتل الثلاث عن الجرائد ، عاد الى محل عرض الجثث وتداول مداولة سرية مع ناظر ذلك المحل ثم امره ان يعرض جثتي ، اميدي وفرجيني

فلم تكد تعرض الجثتان حتى مر رجل في مقتبل الشباب فوقف ينظر اليهما مع الواقفين وقد صاح صيحة دهش واسف

فقال له احد الحضور ، العلك عرفت هذين المنكودين؟

فاجاب بلهجة المشفق المتأثر ، بل اعرف الاثنين فاني منذ يومين كنت مع الفتى اما الفتاة فانها خطيبته وكانا متفقين على الزواج حين بلوغه سن الرشد

— اذن يجب ان تخبر البوليس بامرهما في الحال

— اتظن ذلك واجباً ؟

— دون شك فان الجثتين لم تعرضا في هذا الموضع الا لان البوليس لم يعرفهما وانك بذلك تخدمة خدمه جليلة

فأذعن الرجل لهذا القول وذهب الى ناظر محل العرض فاخبره انه يعرف الجثتين المعروضتين

فقال له الناظر ، اانت واثق انك غير مخطيء ؟

— كيف اكون مخطئاً يا سيدي وهما من اصحابي

— اذن اصبر قليلا، ثم كتب رسالة الى رئيس البوليس يخبر بها انه وجد من يعرف الجثتين وانه ابقاه عنده كما امره وارسلها اليه مع احد الخدم فانطلق الخادم بالرسالة واخذ الناظر ورقة وجعل يكتب عليها الاسئلة والاجوبة فبدأ كما يأتي

— ما اسمك وعمرك ؟

— جاك برتران وعمري ٢٢ عاماً

— اين تقيم ؟

— في بلفيل نمرة ٢٣

— ومهنتك ؟

— نجار

— اتعرف الجثتين ؟

— نعم

— ما اسم الرجل ؟

— اميدي ديفرناي

— وعمره ؟

— تسعه عشر عاماً

— ومهنته ؟

— نجار مثلي

— اين يقيم؟

— في شارع بلفيل نمرة ١٩

— اعند اهله ؟

— كلا بل انه كان يقيم مع تلك الفتاة المعروضة جثتها مع جثته

— ا كانت خليلته ؟

— بل خطيبته

ـ اتعرف اسمها ؟

— كانوا يدعونها فيرجيني الحسناء

— الا تعرف اسم عائلتها ؟

— كلا

— اتعرف منزل عائلتيهما ؟

— كلا والان ارجوك يا سيدي ان تخبرني عن هذين المنكودين اقتلا قتلا ؟

— كلا فان الرجل وجد مشنوقا والفتاة وجدت ميتة بالقرب منه و يظهر انها ماتت بالسكتة الدماغية.

وعند ذلك اقبل رئيس البوليس فقال له الناظر مشيراً الى جاك ، هذا هو يا سيدي الرجل الذي عرف الجثتين وقد بدأت كتابة التقرير قبل حضورك فهل تريد الاطلاع عليه ؟

— دون شك وبعد ان تصفحه قال ، سنتمه حين قدوم رجل بعثت اطلبه واني ارجو المسيو جاك ان ينتظر قدوم هذا الرجل

فقال له جاك ، ولكني لم اتغذى بعد

— معاذ الله أن اعرضك للجوع فسيصحبك أحد رجالي الى فندق فتتغذى به وتعود معه.

— ولكني اذا لم أعد الى عملي أخسر اجرة اليوم

— ونحن ندفعه لك

فلم يسع جاك غير الامتثال وذهب مع أحد رجال البوليس الى الفندق .

اما رئيس البوليس فانه أرسل من يسأل في منزل اميدي عن منزل اهله وخلا

بالناظر فقال له ، لقد عرفت ما اتفقنا عليه وهو أن لا يعلم أحد انهما ماتا قتيلين فحذر ارجالك الذين عرفوا الحقيقة وأوصهم بالكتمان

— سافعل ولكن عائلتي القتيلين ستطلبان نقلهما الى منزليهما لدفنهما ولها الحق فى ذلك

— دون شك ولكنك تجيبهما ان الجثتين ستوضعان في تابوتين في دار العرض ولا تنقلان الى منزليهما الا ساعة الدفن

— سافعل كل ماتقوله بالتدقيق

— اما انا فاني عائد الان الى الادارة لانتظار رجل اثق بمهارته ثقة تامة فاني احب ان يحضر استنطاق عائلتي القتيلين فابق كل شيء على ما كان عليه الى ان اعود ومتى عاد جاك فابقه ولا تدعه يذهب

...

ولنعد الان الى ريموند بعد ان اوضحنا السبب في استدعائه فنقول انه عاد مسرعا الى رئيس البوليس فقابله بارتياح وقال له اني كنت انتظرك بفارغ الصبر فهل لم تكن في منزلك ؟

قال ، كلا فقد اغتنمت فرصة الاجازة التي تكرمت علي بها وذهبت الى كريتيل مع ولدي

— اذن اشكرك لتلبيتي بهذه السرعة

— لم افعل يا سيدى غير ما يجب علي

— دون شك غير اني يسوئني ان امنحك الاجازة بالامس واضطر الى استرجاعها منك اليوم

— ماذا حدث ياسيدى؟

— حدث امر خطير دعاني الى طلبك هذا الظلم اتذكر ما حسبناه حين عثرنا بجثة الكتبي ان قاتليه كانوا شركاءه في سرقة الكتب وانما قتلوه حذرا من ان ينفضح امرهم

— دون شك

— ولكننا مخطئين فى هذا الاعتقاد فقد عثرنا بجثتين ايضا قتلا كما قتل الكتبي ولم يبق ريب ان قاتل الثلاثة واحد

— كيف ذلك يا سيدى أأنت واثق مما تقول ؟

— كل الثقة وستثق وتوقن متى رأيت الجثتين وقرأت التقارير عنهما ثم اعطاه التقارير فلما قرأها ريموندقال ، ارى ان الرجل مات منتحراً والفتاة ماتت بسكتة دماغية فاين الجريمة؟

— هذا هو التقرير الذى ينبغي نشره كتما للجريمة وانما التقرير الحقيق فهو تقرير الطبيب فخذ واقرأ

فقراءه ريموند وقال له، ما هذه الجرائم انها هائلة مخيفة

— أما وقد علمت هذا فاعلم ان بوليس باريس يوصم بوصمه عار لا تمحى اذ لم يضع حداً لهذا القتل الذريع الذى ينذر الامن العام وتقبض على المجرمين ونكشف الحجاب عن هذه الاسرار وانت تعلم يقينا اننا اذا لم نتوفق الى القبض على القتلة لم يبق لى بد من الاستقالة

— اني اعلم كل ما تقول يا سيدى ويسرني ان تشرفني بثقتك .

ـ لقد اصبت فان ثقتي بك عظيمة

— وانا سأقوم بواجباتي خير قيام فمر يا سيدى اطع

— اذن هلم بنا فان الجثتين قد عرفتا وسنستنطق الفتى الذى عرفهما معا فاني احب ان تشترك معي فى ذلك كي تكون على بصيرة مما ستجري

— لقد قلت لك يا سيدى اني مستعد ان افعل ما تشاء

— بقي ان تعلم ان هذا الامر يجب ان يبقى مكتوما اشد الكتمان ولذلك احببت ان تتولى وحدك قضاءه ولا يعينك فيه احد

فاجابه ريموند بصوت خنقه اليأس ، سافعل ياسيدى ماتريد اذ لا بدمن الامتثال

وذهب الاثنان الى محل العرض فقال الرئيس للناظر ، اجاء اهل القتيلين ؟

قال ، نعم

— هل رأوا الجثتين ؟

- كلا ولكن استحال علي ان لا اجيبهم على بعض اسئلته
- ماذا سألوك ؟
- سألوني في البدء عن السبب في استدعائهم الى هذا المكان
- ما ذا اجبتهم ؟
- اني استدعيتهم لمعرفة جثتي فتى وفتاة واخبرتهما ان الفتى مات منتحراً والفتاة ماتت بداء السكتة كما يدل عليه تقرير قومسير نيفلي .
- لقد اصبت فسندخل الان الى قاعة العرض فاتني بالشاب الذى عرف الجثتين واهلهما واطلع قبل ذلك ريموند على التقرير الذى بدأت به هنا .

فاعطاه الناظر التقرير فلم يكد ينظر اليه حتى صاح قائلا ، اميدى ديفرناي اني اعرف هذا الاسم فهو اسم فتى فى التاسعة عشرة من عمره ولد فى ١٠ مارس سنة ١٨٦ واسمه مذ كور فى وصية الكونت دى تونوريو التي سرقت

فقال له الرئيس ، اذا كان ذلك فقد وجدنا أثرا نستدل به وربما عرفنا سارقى الوصية افرغت من قراءة التقرير ؟

- نعم
- اذن لندخل الى قاعة العرض

...

كانت الجثتان لا تزالان معروضتين وعليهما ملابسهما التي وجدتا بها ولكنهم ربطوا عنق كل جثة بمنديل اخفاء لاثر الجرح الذى استنزف جاك منه الدماء

وبعد هنيهة فتح الباب ودخل منه رجلان وامرأتان وهم والد اميدى ووالدته وجاك وام فيرجيني

فلم تكد المرأتان تنظران الى الجثتين الممددتين جنبا الى جنب على مائدة من الرخام حتى صاحتا بصوت واحد صيحة تقطع القلوب من الاشفاق .

وكان منظرا هائلا يدرك بالتصور اكثر مما يدرك بالوصف فدنا رئيس البوليس منهم وقد تأثر تأثرا عظيما لنكبتهم حتى بكى فطيب خاطرهما بأجمل عزاء ثم بدأ سؤالهم كما تقتضيه وظيفته فقال لهم ، اذن لقد عرفتم هذين المنكودين ؟

فتجدد شهيق المرأتين وتجلد والد اميدى وقال، نعم يا سيدى ان الفتى ولدى
- وهذه الفتاة ؟
- هى التى كان يهواها ويريد زواجها وكنت اعارضه لعدم بلوغه سن الرشد
ويا ليتني وافقت على زواجه فما كان حمله اليأس على الانتحار
فالتفت الرئيس الى والدة فيرجيني وقال لها ، وهذه المنكودة هي بنتك يا سيدتي ؟
- نعم نعم انها بنتى الوحيدة انها لاتعانقني ولا تحادثني بعد الان . . ر باه انهاميتة
- ان من مصابك عظيم يا سيدتى فتجلدى على احتمال نكبتك الفادحة فلا مرد لسهم القضاء
- كيف اجد سبيلا الى الصبر . . انها كانت وحيدتى وكانت حسناء يفتن جمالها الجماد ثم هي الان جثة جامدة لاروح فيها فكيف يمكن للام ان تفتكر بالصبر فى مثل هذه المصيبة
- اكانت مقيمة مع اميدى ديفرناي ؟
- نعم يا سيدى وانما اذنت لها بذلك لانى كنت واثقة من اتفاقهما الاكيد على الزواج حين بلوغ اميدى سن الرشد
- اكنت تريهما دائما
- بعض الاحيان فانى كنت ازورهما اذ لم اكن استطيع الصبر على فراقهما واما الموسيو ديفرناى فقد كان مغضباً على ولده فلم يره منذ عهد بعيد
فقال له رئيس البوليس ، احق ما تقول هذه السيدة ؟
قال ، نعم فقد كنت اوبخ ولدي لهذا الزواج لانى كنت اكره ان يعقده قبل بلوغ رشده فلم يحتمل والسفاه تانبيي وافترق عنى فعاش وحده .
- ألم يفترق عنك الا لهذا السبب ؟
- نعم يا سيدى ولولا ذلك لما فارقنى فلم يكن بيننا غير هذا السبب من اسباب الخلاف فقد كان من اهل الجلد والنشاط والاقتصاد وكذلك خطيبته فلا بد ان يكونا قد اقتصدا كثيرا
- هو ذاك فقد وجد معهما كثير من النقود

وقالت والدة فيرجيني ، نعم وقد كان من حظيرة العاملين المقتصدين مع انه لم يكن في حاجة الى الاقتصاد لانه كان يرجو ان يرث مالا وفيرا . .

ـ وممن كان يرجو ان يرث ؟

فأجابه والد اميدي ، ان لهذا الارث يا سيدي حكاية يطول شرحها وملخصها ان ابني ولد يوم ولادة ابنة الكونت دي تونوريو فأعطى هذا الكونت ولدي وغيره من الذين ولدوا في ذلك اليوم هبة مالية وعين لهم مبلغاً عظيما يقبضونه حين بلوغهم سن الرشد وأعطى كل منهم مدالية من الذهب عليها رموز مختلفة وكلمات متقطعة وامر أن يحتفظوا عليها الى حين بلوغهم سن الرشد فلم تكن هذه المدالية تفارق عنق ولدي

فتبودلت بين الرئيس وريموند نظرة سريعة وعاد الرئيس الى السؤال فقال، ولكنهم لم يجدوا هذه المدالية التي تشير اليها في عنقه . .

فقالت والدة فرجيني، انه أعطاها الى بنتي ذلك لانه كان يحذر من ضياعها فكانت تعلقها في عنقها

— ولكنها لم تكن في عنقها كما يدل التقرير

— ان ذلك يدعو الى العجب فانها كانت تلبسها دائماً

— ربما تركتها في المنزل وسنبحث عنها فيه

فقال والد اميدى ، ولكن أرجوك يا سيدي أن تقول لي كيف مات ولدي فلقد قيل لي انه شنق نفسه أحق ما يقولون؟

— نعم واأسفاه

— ولماذا انتحر ؟

— هذا الذي نبحث عنه

— الا يمكن أن تكون فيرجيني ماتت قبله فقنط بعد موتها وانتحر . .

— ذلك ممكن معقول ثم سأل الرئيس والدة الفتاة قائلا ، تقولين يا سيدتي انك رأيت الفقيدين منذ ثلاثة أيام فهل رأيت منهما ما يدل على التنافر والجفاء ؟

— بل رأيتهما على عكس ذلك ·

— أعلمت ما عملا أمس وما كانا يريدان عمله ؟

— كلا

فتداخل عند ذلك النجار جاك وقال ، أنا اعرف يا سيدي فقد لقيت اميدي في الساعة السابعة من مساء أول أمس في خمارة فشربنا معا كأساً من البيرا واخبرني انه عازم على الذهاب مع خطيبته غداً للنزهة في الخلاء . .

— الى أية جهة ؟

— لم يكن قد اتفق مع خطيبته على تعيين الجهة حين اخبرني ولكنه ذكر لي جهة كريتيل فيما أظن

— أكان له أصدقاء ؟

— لا أعرف له أصدقاء فقد كان يحب العزلة ولا يعاشر غير فيرجيني

— الم يكن له رفاق ؟

— لم يكن له من الرفاق غير زملائه في مهنته ولكنه لم يكن يعاشرهم

— أكان يزوره أحد من الاغراب ؟

— لا أعلم فاني لم أزره غير مرة واحدة

— أتعلمون اذا كانت له علاقة ما برجل يدعى فوفيال ؟

— كلا يا سيدي فما سمعته مرة يذكر هذا الاسم

وقال الاب ، لماذا هذه الاسئلة أتظن ان يداً اثيمة قتلته؟

— كلا ولكني ادقق في البحث لاعلم السبب في انتحاره

— والآن الا يؤذن لنا بنقل هذين العزيزين ؟

— سأعطيكم الاوامر اللازمة الى القسم الذي يقيمون فيه ومتى عينتم ساعة الدفن عودوا الي فقد أمرت بصنع تابوتين فتشيعون الجثتين الى المدفن

ثم التفت رئيس البوليس الى الناظر وقال ، الم تجدوا في جيوبهما مفتاح منزلهما ؟

— كلا

وهمس ريموند في أذن الناظر قائلا ، ماذا صنعتم بالحبل الذي شنق به ؟

— انه لا يزال عندي

— أرجوك أن تعطيني اياه . فأعطاه اياه

أما أهل القتيلين فلم يجدوا بدا من الانصراف فكانت ساعة الوداع هائلة ثم انصرفوا بعد ان وقفوا على التقرير

وعند ذلك قال رئيس البوليس لريموند، ما رأيك في هذه الحوادث ؟

— أرى اننا في ظلمات بعضها فوق بعض ثم سكت هنيهة وقال كأنه يحدث نفسه، ما عسى أن تكون الغاية من قتل الفتى

ثم قال الرئيس ، أرى ان الغاية نيل المدالية

— نعم ان هذه المدالية من الذهب ولكنهم تركوا القتيلين نقودهما وهو ما يدل انهم لم يقتلوهما لمجرد السرقة

— اذن لماذا سرقوا المدالية وحدها ؟

— الا تذكر ما قلته لي حين القبض على جيروم خادم غرفة الكونت دي تونوريو وهو ان المداليات عليها رموز يستحيل ادراك معناها ومن يعلم فقد يكون لجيروم هذا شركاء خارج السجن وانهم يعلمون ان هذه المداليات اذا جمعت حلت رموزاً ودلت على ثروة دفينة وانهم يريدون قتل أصحابها اخفاء لاثر سرقتهم

فارتعد ريموند خوفاً على ولده لانه أحد أصحاب المداليات وقال ، اذا كان ذلك فان هولاء الابناء الستة منذرون بالموت

— دون شك

— وان ولدي أحد هؤلاء الابناء ؟

— دون شك وهو مهدد مثلهم

— اني لا افتكر بذلك حتى يضل صوابي ولكنه مستحيل

— بل هو كثير الامكان

— وأنا لا أوافق على امكانه فلقد اخبرتك مراراً اني اعتقد بأن جيروم الخادم بريء مما اتهم به ونعم ان الظواهر كلها تؤيد التهمة عليه ولكنها ظواهر كاذبة فيما أراه والذي اعتقده ان الرجل شريف وانه لم يسرق الوصية فاذا كان ذلك فلا بد أن يكون السارق سواه اليس هذا الكلام معقولا ؟

- دون شك ولكن متى ثبت أنه برىء

- لنفترض أنه بريء فقد كان خطر لي يا سيدي ماخطر لك وهو أن الغرض من الجريمة سرقة المدالية ولكنك تعلم كما أعلم أنه في الامور الجنائية يعتبر أقل خاطر في البدء من الادلة الراسخة ولكن متى تمعن صاحب الخاطر ومحص الفكر بالبحث والمناقشة ذهبت طلاوة الخاطر الجديد ووضعه العقل في مكانه الذي يجب أن يكون فيه . ملنبحث أذن

أن أول جريمة كان ضحيتها فوفيال الكتبي فأستنزفت دماؤه بطريقة علمية ..

أما فوفيال هذا فلم يكن لديه مداليه وليس له أقل أتصال بالكونت تونوريو وقد أعتقدنا أن الذي قتله أحد شركائه فى سرقة الكتب حذرا من ان يبوح بأمره متى قبض عليه وبعد ذلك بيومين قتل فتى من أصحاب المداليات وفتاة بنفس الطريقة التى قتل فيها فوفيال ولم يكن يوجد غير مدالية واحدة ومع ذلك قتلوا أثنين

والذي أستلفت نظرى أن الاثنين ماتا بأستنزاف الدماء ووجدوا في الغابة ولكن لم يوجد اثر لنقطة من ذلك الدم بل وجدوا فوق العشب اثر دواليب مركبة

فيتضح من ذلك أن الجريمة لم ترتكب في الغابة بل انهم نصبوا فخا للفتى والفتاة فقتلوهما وجاءوا بجثتيهما الى الغابة

- وكذلك فعلوا بالكتبي فأنهم القهوه في النهر بعد أن قتلوه فهل تظن انهم أرادوا بذلك خديعة البوليس؟

- كلا فان من كان مثل هؤلاء القتلة يعلم يقينا أن البوليس لا يعتقد أن فوفيال مات منتحرا أو أن أميدي شنق نفسه ولكنهم يريدون الهزء بالبوليس وأحاطته بالالغاز وهم واثقون انهم لا يعاقبون فثق ياسيدي أن هؤلاء القتلة لا علاقة لهم بالمداليات ولا بالخادم جيروم ولا وصية الكونت.

- اذن ما الذي دفعهم الى أرتكاب هذه الجرائم ؟

- لو كنا نعلم السبب لهان الامر

- ولكنك لم تستدل على شيء من طريقة القتل

- كلا بل انها زادت الامر تعقيدا فان القتل على هذه الطريقة يدل ان القتلة قد

نوموا المقتولين قبل قتلهم اذ لم يوجد عليهم اثر من أثار الضغط أو التقييد ولا يمكن تنويمهم بالبنج الا بمحض أرادتهم أو بالعنف ولا اثر في جسومهم للعنف كما تدل شهادة الطبيب . بقي أنه لا بد من تنويمهم بالآت خاصة وهذه الالات لا توجد الا عندعلماء الاطباء وأى غرض للطبيب العالم أن يكون من القتلة ؟

— ربما كان ذلك من قبيل الانتقام

— كيف يتفق الانتقام من ثلاثة لا علاقة لهم ببعضهم فان الكتبي لا صلة بينه و بين القتيلين من صلات الصداقة أو القربى فلا سبيل الى الظن بأن القتل كان انتقاماً واني أعيد عليك ماقلته يا سيدي وهو اننا نسير في ظلمات بعضها فوق بعض

— وأنا ما دعوتك الا الانارة هذه الطريق وحل هذه المعميات فلا تتأخر لحظة عن البحث يا ريموند ولا تمل من التعب اذ يجب انقاذ الباريسيين من هذا الوحش الهائل

— اني سأفعل كل ما يمكن فعله وسابدأ البحث حين اتركك ولكني لا ارجو اكتشاف المجرمين الا بعون الله فانهم أشداء

— اني أود أن اتحقق امراً

— ما هو ؟

— هو أن أعلم اذا كان اميدي وفيرجيني يحملان المدالية حين نصبوا لهما الفخ وساقوهما الى الموت

— الا تزال تعتقد بعد مباحثنا أن الغرض من القتل سرقة المدالية ؟

— لا اعتقد صحة شيء ولكن قواعد مهنتنا تقضي بتحقق كل أمر ولو كان من الظنون ؟

— اذن لنفتش منزل القتيلين

— ذلك لا بد منه فلنفعله اليوم بل الا ن

— اني رهين أمرك يا سيدي انما اسألك أن تأذن لي بارسال رسالة برقية الى كرتيل قبل الذهاب

— اذهب وأنا انتظرك هنا

فخرج هذا الاب المنكود واليأس ملء قلبه وهو يقول،لا شك ان الله قد تخلى عني فانهم فرقوا بيني وبين ولدي حين كنت اعتقد انى سأقيم معه عدة أيام

وما زال سائراً حتى وصل الى محل التلغراف فأرسل الى ولده التلغراف الآتى

(اضطررت الى السفر الآن تشجع واعتن بنفسك واسلم لابيك ريموند)

ثم عاد الى رئيس البوليس

. . .

عند ما ارسل ريموند التلغراف الى ولده كان ولده مهتما بأمرين فانه كان منشغل القلب بأميلي ومضطرب البال على أبيه

وقد كان هذا الفكر الاخير متسلطاً عليه في ذلك الحين اذ لم يكن يعلم السبب في اسفار أبيه الفجائية فانه كان يتلقى انباء أبيه بمل الثقة ولا يسأله شيئاً عن اشغاله

وكان يعتقد ان أباه يشتغل في تفتيش مكاتب الحكومة فأعجب الآن لكثرة تراكم هذه الاشغال التى جعلت اباه عبداً لا يجد ساعة فراغ

وكان مدة تعليمه يقضى كل اوقاته في المدرسة فلا يخرج منها الا في ايام الاجازات فيقيم بضعة اسابيع مع ابيه

وكان ابوه يتأهب لذلك قبل حين فيحتال لنيل اجازة تمكنه من الاقامة مع ولده كل مدة اجازته المدرسية

وفوق ذلك فان بول لم يكن يهتم فى ذلك الحين الا بدروسه اذ لم يكن له غير رجاء واحد وهو السرعة في تحصيل العلوم وتحصيل الكثير منها

أما الان فقد منعه الطبيب عن الاشتغال في الدرس وأصبح من العشاق وهو يكاد يقنط من لقاء التى يهواها وكان معتمدا على أبيه في ايجادها والبحث عنها فبات يفتكر في ما يجر يه أبوه ويبالغ فى تأويل غيابه بما يوحيه اليه تصورة المضطرب و باله القلق

وقد خلا بالخادمة وجعــل يسألها عن أبيه فقال لها ، ايسافر أبي دائما مثل هذه الاسفار الفجائية ؟

قالت ، نعم وا أسفاه فانه عبد وظيفته يتجول فى الاقاليم كل ماصدر اليه أمر رؤسائه فلا يجد ساعة راحة

-ولكن ذلك غريب نادر

-كلا فأن جميع موظفى الحكومة مثله فى هذا الشقاء

— وكيف تظلم الحكومة عمالها هذا الظلم الفادح وتكرههم عن الاعمال الشاقة دون الاجازات ؟

— اية اجازات فانه لا يستطيع الراحة من هذه الاعمال يوماً واحداً

— ولكنه نال اجازه بضعة أيام وهو الذي أخبرنا بذلك

— اذا كان ذلك فربما عاد هذه الليلة

— اتعتقدين أمكان ذلك يامدلين؟

— أني أرجحه الا اذا أرسلوه فجاءة لتفتيش بعض المكاتب

— أذن هو يقضي أيامه في تفتيش المكاتب

— دون شك ويظهر انها كثيرة جدا في فرنسا

— كنت أودلو صحبته هذه المرة ولكنه ابى اجابة اقتراحى ولا أعلم السبب في ذلك

— أن السبب جلي وأضح كما أراه وهو أنه يجب أن لا يتعبك فان هذه الاسفار شاقة .

وقد انتهى حديثهما عند هذا الحد فلم يقتنع بول بكلام مدلين ولبث على ما كان عليه من القلق

ثم قام الى الغداء فاكل دون شهية ولبث مسترسلا الى التفكير فأنتبهت مدلين وذكرته بزيارة صديقه فابيان ثم دعته ان يذهب الى صيد السمك تفريجا لهمه وأزالة لارتيابه

فقال لها ، لقد اصبت يا مدلين فانى اشعر بمضار الكآبة التى تتولاني ولكن الذنب ليس ذنبي فانى لا أفهم شيئا من هذه الالغاز المحيطة بى حتى يخال لي بعض الاحيان اني سافقد صوابي

ولقد كنت في هذا الصباح قرير الخاطر ناعم البال أنظر الى المستقبل بعين الارتياح ولاطمئنان واحلم بالسعادة ولهناء فان كلمة من ابي أحييت في فؤادي هذه

الامال ولكن سفره الفجائي سلخ من قلبي جميع هذه الاماني فأصبحت على ماترين

— اهو سفر ابيك الذي يحزنك وما يدعوك الى القلق وهو يسافر كل يوم؟

— اني موجس خيفة من كل شيء وأتوقع حدوث نكبة تصيبنا جميعنا

— كفى يا بني استرسالا الى الاوهام فان أباك يسافر كل يوم كما تقتضيه وظيفته فكفاك أوهاما فأذهب الى الصيد فانه يسليك ولا تنس أنه يجب ان تطعم ضيفك من صيدك

— لقد أصبت يا مدلين وها انا ذاهب للصيد فاذا جاء فابيان قبل ان اعود فارسليه الي

— سر بامن الله وسأرسله اليك حين رجوعه

فتركها عند ذلك وسار الى المكان الذى كان يصطاد فيه قرب بستان بيتي كاستل

. . .

بعد ذلك بربع ساعة كان بول في القارب منعكفا على الصيد وهو يصطاد كثيرا لكثرة السمك في ذلك اليوم فكان يتلهى بهذا الفوز

وفيما هو على ذلك شعر ان سمكة كبيرة تجذب السنارة فسر بها سرورا عظيما وجعل يعالجها على طريقة الصيادين من ارخاء الخيط مرة وجذبه مرة حذرا من افلاتها وقد انساه هذا الموقف حزنه وغرامه

ولكنه كان قليل الخبرة بالصيد حديث العهد بالتمرن عليه فلم يستطع جذب السمكة وخشي ان تقطع الخيط وتفر

وفيما هو على هذه الحال وقد أخذ يشد الخيط بعنف سمع صوتا يناديه و يقول ، ترفق ومد الخيط وانا قادم لمعونتك

فالتفت بول فرأى القادم ذلك الفتى الصياد المتفلسف أحد أصحاب المداليات .

وقد سر لقدومه لانه كان يحب عشرته فلما وصل اليه اخذ الخيط منه وعالج السمكة مرارا بمهارته المعروفة حتى جذبها فاذا هي تبلغ نحو اقتين .·.

فسر بها بول وقال له ، اشكرك ايها الصديق فقد جئت في حين الحاجة الى مساعدتك

قال ، وانا يسرني اني رأيتك فأني احمل اليك نبأ يسرك اكثر من سرورك بهذه السمكة

فذهل بول وقال له ، ماعسى أن يكون هذا النبأ السار ؟

— سأخبرك بما ترتاح اليه نفسك فهل لم يشف قلبك مما كان يكابده من الغرام؟

فتنهد بول وقال ، كلا وأسفاه .

— ذلك يسرني ايها الصديق فاني جئتك بدواء لا يعرف ان يصفه اشهر الاطباء وانك تود ان تعرف في الحال هذا الدواء ولكن اصبر الى ان اجلس بجانبك والف سيكارة ثم اخبرك

ولم يكن يخطر لبول ان يعلم ما سيحدثه به هذا الصياد فجعل ينتظر حديثه بملء الجزع

وبعد ان اشعل الفتى سيكارته قال له ، لقد مر بنا خمسة ايام دون ان نلتقي اليس كذلك ؟

— نعم خمسة ايام

— اتذكر ماكان يشغلنا معا في اجتماعنا الاخير

— كيف استطيع ان انسى ؟

— لا احب ان اطيل الحديث فاني ارى علائم الجزع بادية عليك فقل لي كم تعطي الذي يخبرك عما جرى لتلك الفتاة الحسناء التي كانت تقيم في بيتي كاستل؟

— اتسألني ماذا اعطي اني اعطيه حياتي

فضحك الصياد وقال ، ان ذلك سيكلفك اقل من حياتك اذ يكفي اجرة السكة الحديدية الى باريس ونصف فرنك اجرة مركبة وهذا كل ماتحتاج اليه من النفقات

فاتقدت عينا بول ببارق الرجاء وقال ، اتعرف اين هي اميلي ؟

— نعم

— أأنت واثق انك غير مخطىء؟

— كل الثقة

- أرأيتها ؟

- نعم نعم وهى في باريس

- في اى شارع ؟

- قلت لك اني وجدتها

- ولكن كيف وجدتها ؟

- اسمع ماجرى انه خطر لي ان اصطاد في نهر السين فذهبت وحين عودتي مررت بغابة بولونيا اتعلم ماذا رأيت فيها ؟

- بالله اسرع باخباري فانك تكاد تقتلني صبرا

فاخبره الصياد كيف انه رأى انجل واميلي تتنزهان في مركبة قرب الغابة وكيف انه اقتفى اثرهما بمركبة الى ان اصتدم بمركبتهما قطار الترمواي

فذعر بول وقال ، العل اميلي اصيبت بمكروه

- اطمئن فلم يجرح غير الجواد وسارت مركبتها فتبعتها بمركبتي حتى وصلتا الى المنزل

- وهذا المنزل؟

- قصر جميل في شارع ميرمونسيل

- اعلمت حالة الفتاة ؟

- دون شك فقد استعلمت

- وماذا علمت ؟

- علمت ان المدموزيل اميلى هي ربيبة صاحب القصر وهوطبيب اميركى واسع الثروة شهير السمعه استوطن حديثا باريس

- طبيب اميركي في شارع ميرمونسيل . قل لي بالله ما اسم هذا الطبيب ؟

- الدكتور تومسون

فاتقدت عينا بول وقال ، الدكتور تومسون . . أتقول انها ربيبته ؟

- هذا ما قالوه لي

فوضع بول يده على قلبه وقال ، انها في باريس وهي ربيبة هذا الطبيب الذي

أظهر لي ما يظهره ابي من العناية . لقد ذكرت الان فان هذا الرجل الذي رأيته في هذا البستان عن بعد يقبل جبين اميلي لم يكن غير الدكتور . أذن فهي عنده فسأراها واعلم اذا كانت تحبني

— اما هذا فهو من شأنك وقد فعلت ما ينبغي علي ويسرني اني ارضيتك

— بل انك كنت السبب في سعادتي وأنقاذي من الموت الاكيد فكيف استطيع أن أفيك هذا الدين ؟

— انك غير مدين بشيء الا باجرة المركبة مدة ثلاث ساعات وما دفعته للسائق على سبيل المكافأة وجميع ذلك يبلغ ستة فرنكات

— ساعطيك مائة

— اتظن ايها الصديق اني أريد اجرة على هذه الخدمة اني انفقت الستة الفرنكات ولا اريد سواها

فاخرج بول محفظة من جيبه وكان يضع فيها اوراقه ونقوده وفتحها كي يعطيه مطلوبه فسقطت منها صورة صغيرة فاسرع الصياد الى التقاطها وقال له ، اتأذن بالنظر اليها ؟

— دون شك

فلم يكد الفتى ينظر الى هذه الصورة حتى نظر الى بول نظرة المنذهل وقال ، اني اعجب كيف تكون معك مثل هذه الصورة ؟

— العلك تعرف صاحبها ؟

— نعم فهو من الجواسيس

فضحك بول وقال ، لو سمعك صاحبها ايها الصديق لما رضي لنفسه هذا التهمة

— اتعرفه انت أيضا ؟

— كيف لا اعرفه وصورته لا تفارقني

— من هو ؟

— هو ابي

فاطرق الصياد برأسه استحياء ولكن بول اعاد اليه الصورة وقال له ، امعن النظر فيها ايضا فعلك تجد شبها بمن تعرفه غير ابي

فنظر الصياد الى الصورة فوجد الشبه تاما ولكنه اضطر الى مخالفة معتقدة فقال، نعم انها تشبه الرجل الذي اعرفه والشبه يبدو عظيما لاول وهله ولكن الفرق يظهر حين الامعان

فابتسم بول وقال ، اتعرف جاسوساً يشبه ابي ؟

— نعم انى عرفته بالصدفة والاتفاق حين انقاذ غريق ولا انكر وجود الشبه التام غير ان لحية الجاسوس اكبر من لحية ابيك ثم قال في نفسه ، أنه هو هو بعينه ولاشك ان اباه جاسوس وهو الذي استنطقني وكتب التقرير في حادثة الغريق

اما بول فانه ارجع الصورة الى المحفظة واعطى الصياد ستة فرنكات ثم شكره وافترقا فذهب الصياد الى الجهة التي تعود ان يصطاد فيها وبقى بول في موضعه

وقد انقلب انقلاباً تاماً وعاد الى نقيض ما كان عليه قبل ان يقابله الصياد فبينما هو قانط يجد الراحة في الموت اذا بقلبه قد ملىء رجاء وباتت السعادة عنده بالحياة فقد عرف الان ان حبيبته ربيبة الدكتور تومسون فبات يؤنب نفسه بعد هذا العرفان لاسترساله الى اليأس ويقول ما أعجب اعمال الصدفة والاتفاق فان ابى حين ذهب بى أمس الى منزل هذا الطبيب كانت حورية البان في غرفة مجاورة للغرفة التى كنت فيها وكنت اعتقد حينئذ انى لن أجدها في هذه الدنيا اما الان فانى سأعود الى منزل هذا الطبيب وسأراها فيه وأبوح لها بغرامي وما اجده في هواها واتوسل اليها ان تحبني وما يمنعها عن حبي ما زالت حرة القلب طليقة القياد . .

ان هذا الطبيب قد دعانا الى الحفلة التي اعدها فأبيت حضورهذه الحفلة ولكني سألبي الدعوة الان واود ان يصحبني ابي اليها فيرى اميلي ويحبها كما أحبها

انه سيعود هذه الليلة دون شك فقد وعدنى تقريبا ان يعود فكم يكون سروره عظيما حين يرانى مستبشرا فرح القلب بل كم يكون اندهاله شديدا حين يسمعني اقول له لا تبحث يا ابي عن التي احبها فقد وجدتها . انى اعلم الان اين هي تلك الفتاة التى عقدت عليها حياتى ولا تأبى الموافقة على زواجي بها لانك لا تريد لي الموت

وقد كان سروره عجيباً حتى انه اوشك ان يضل صوابه فكان يناجي نفسه بصوت مرتفع و يضحك و يغني وهو لا يعلم ماذا يصنع وكيف يفرح

ولبث على ذلك الى ان سكنت هذه التأثيرات فعاد الى الصيد ولكنه لم ينقطع عن مناجاة نفسه ومحادثة من يحب

وفيما هو على ذلك يعلل النفس ببارق الاماني اذ نبهه من غفلته صوت يناديه فالتفت فرأى مدلين خادمته العجوز تناديه من ضفة النهر فسار بقاربه اليها وقال لها ، العل فابيان حضر ؟

قالت ، كلا

— اذن لماذا حضرت الي ؟

— لاعطيك تلغرافاً ورد اليك

— ممن؟

— من ابيك وقد ورد بأسمي ففتحته

فقطب بول حاجبيه وقال ، العله لا يعود الليلة ؟

— كلا فانه مضطر الى السفر في هذا اليوم

فقال في نفسه ، قبحت هذه الرحلة فانه يسافر في اسعد ساعاتي

ثم وثب الى البر فاخذ منها التلغراف فقرأه وقال في نفسه ، لماذا الاستياء فان وجود ابي ينفي عني ضجر الوحدة ولكن فابيان سيحضر و ينبغي ان اكون باش الوجه في استقباله كي لا يسرع بالرحيل

وكانت مادلين تنظر اليه معجبة لابتسامه وما يبدو على وجهه من البشر والرجاء وهو مالم تألفه منه من قبل فعجبت لهذا التغيير الفجائي وقالت له ، ماذا جرى لك فقد فارقتني منذ ساعة وكنت في اشد حالات الحزن والكآبة واراك الان قرير العين ناعم البال كأنما الدهر قد بسم لك فقل لي ماذا جرى

— ذلك اني تلقيت نبأ سارا

— هنا ؟

— نعم هنا

— الملك لقيت احداً ؟

— ربما

— وهذا النبأ السار الا يمكن ان اعرفه؟

— دون شك ولكن ستعرفينه فيما بعد فاكتفي الان ان تعرفي اني سعيد جدا انه لا يمر بي شهر حتى اعود الى العافية والان فقد اصطدت لصديقي فابيان سمكة كبيرة من افضل انواع السمك لم تر مثلها الى الان

— اذن سأسرع بصنعها كي تأكلا منها في العشاء

وبينما كان بول يخرج السمكة من القارب كانت مدلين تقول في نفسها ، ترى ما هذا التغيير الذي اصابه وما هذا النبأ الذي تلقاه ولكن الخلاصة انه فرح القلب وهذا كل ما تريده

وعند ذلك سمع بول صوتا يناديه فالتفت فرأى فابيان فأسرع اليه فصافحه وعادوا جميعهم الى المنزل ضاحكين مستبشرين

. . .

ولنعد الان الى جاك لاجارد او الطبيب تومسون فانه ركب مركبة وسار الى منزل مدام لابار ارملة المحامي ووالدة الفتى الراهب احد اصحاب المداليات فلقي وصيفة الارملة وسألها اذا كانت سيدتها في منزلها

فقالت له ، انها فيه يا سيدي ولكنها عازمة على الذهاب

قال ، اذن اعطها رقعة زيارتي فربما استقبلتني قبل ذهابها

قالت ، اذن تفضل يا سيدي وانتظر في هذه القاعة الى ان أعود اليك

ثم ادخلته الى القاعة واخذت رقعته فذهبت بها الى الارملة وعادت لفورها وقالت ، ان سيدتي تنتظرك في قاعة الاستقبال

فدخل اليها فاستقبلته الارملة بملء الترحاب ثم قالت ، ما هذه المباغتة بهذه الزيارة يا سيدي؟

قال ، رغبتي يا سيدتي العزيزة بأن أراك وهي رغبة تنشأ في نفس كل من يراك اليس هذا السبب كافيا؟

— انها مجاملة ولطف منك يا سيدي ومهما يكن من سبب فاني قد سررت بها . تفضل يا سيدي العزيز واجلس بجانبي

فجلس الدكتور بجانبها في المكان الذي أشارت اليه وعند ذلك ابتسمت له وقالت ، ان رغبتك في رؤيتي السبب في هذه الزيارة كما تقول وهو ما يسرني غير انه ليس هذا كل السبب

— لقد أصبت اذ يوجد سبب آخر

— ما هو ؟

قال مباحثتك بشأن ولدك واسدائك نصيحة صالحة ولكن اسمحي لي في البدء ان اعترف لك بأمر

فأجابته بدلال، بماذا تريد أن تعترف ؟

— اني رأيتك أمس للمرة الأولى فشعرت بميل شديد لك ولابنك

— ان هذا الميل مشترك

— وهذا ما كنت أرجوه وقد توقعته ولولا ذلك لما تجاسرت على هذه الزيارة فاسمحي لي يا سيدتي أن اكلمك بلهجة صديق

— كيف لا أسمح لك يا سيدي ولكني أرجوك ايضاً أن تأذن لي ان أوضح لك أمري في البدء

— ماذا تريدين أن توضحي؟

— لقد سمعت أمس ما كان من حديث ولدي والذي أرجوه هو أن لا يكون حديثه قد أثر عليك ومثلني لك تمثيلا سيئاً

— معاذ الله يا سيدتي

— ان لهجته كانت جافة في محادثتي وهو ما يوسع مجال الظنون بي ولا أنكر عليك بعد ما سمعته أن تتهمني بظلم ولدي

— اني بعيد عن هذه الظنون يا سيدتي فاني اعتبرك من خير الامهات

— أحق ما تقول ؟

— دون شك وسيتضح لك صدقي من نصيحتي التي جئت اسديك اياها .

— وماذا هذه النصيحة ؟

— ستعلمينها قريباً والآن فاعلمي انى قد دهشت من حاله ولدك بل ذعرت .

— ولماذا الذعر يا سيدي؟

— لانى عرفت من أخلاقه انه ثابت الارادة ولكنه شديد التهور والاندفاع

— نعم وأسفاه ؟

— وانه شديد الميل الى الاسترسال في الملاذ والشهوات وليس ما يوقظه في اندفاعه عند حد

— انك ترعبني يا سيدي الا تظن انك مبالغ في حكمك عليه ؟

— كلا بل أقول ما رأيته وهو الآن عليل وستزيد علته انفقاما أخلاقه واميالة وقد اتصل بى انك لا يهمك أكثر من اطالة حياته وان لك فائدة في ذلك فهل أنا مخطىء ؟

— كلا فانى اعتمد على المال الذي سيرثه كي أصلح حالي وأضمن هناء ولدي

— ولكن يظهر ان هذه الثروة التي تطمعين بارثها باتت مشكوكا فيها بعد سرقة وصية الكونت دي تونوريو

— انهم قد يجدونها فكل شيء ممكن في هذا الوجود

— هذا اكيد

— ولذلك أريد لولدي أن يعيش

— وسيعيش فانى سأشفيه ولكني متى شفيته من علته اشتد وقوي ومتى عادت اليه قوته هاجت فيه امياله وشهواته فاحتاج الى المال للاندفاع في الملاذ فمد يده الى الثروة التى تطمعين بنيلها

— ولكني اكون القيمة عليه

— انك قيمة عليه اليوم أي حين لا يملك شيئاً ولكن وصايتك ينقضى أجلها متى بلغ سن الرشد وليس ذلك ببعيد وفي ذلك اليوم يستولى على الثروة هذا اذا وجدت

— ولكنه لا يجسر أن يحرمني حصتي منها

— بل انه يجسر على كل شيء فانه لا يحبك بل هو شديد الحب لذاته وكل امياله تدفعه الى الاستقلال التام فانك كنت شديدة القسوة عليه منذ حداثته

— نعم ولكني أقسو عليه لخيره

فابتسم جاك وقال ، انك لو قلت له هذا القول أتحسبين انه يقتنع بصدقه ؟

— اذن ماذا أصنع

— تصنعين بالنصيحة التي سأسديك اياها

— اني أعمل بها كيف كانت يا سيدي

— لنفترض اذن ان الوصية المسروقة وجدت وان ابنك نال حظه من الثروة ولكنك تعودت البسطة في العيش ولذلك وجب عليك أن تحذري وتضمني راحتك في المستقبل

— كيف يكون ذلك ؟

— انى واثق كل الثقة من أن ولدك لا يعطيك شيئاً من المال الذي سيرثه فخير ما تعملينه الآن ان تعقدى اتفاقاً مع ولدك . .

— ما عسى أن يكون هذا الاتفاق ؟

— اسمحي لي أن اسألك قبل أن أجيبك ، ألم تجتمعي بولدك منذ أمس ؟

— نعم لقد اجتمعنا بعد عودتنا من عندك فوبخته توبيخاً عنيفاً لما قاله لي امامك

— وماذا كانت نتيجة هذا التوبيخ ؟

— ان الشقي هاجه تأنيبي فنسى موقفه أمامى وقال لي انه لم يعد له طاقة على احتمال الاستعباد وانه قد كسر قيد رقه وهو يريد أن يسافر متجولا مدة عام ثم يعود فيشتغل بمهنة أبيه

— وبماذا أجبته ؟

— انى لا استطيع تحقيق امانيه لاسباب كثيرة اخصها انى لست من أهل اليسار

— وعند ذلك ؟

— طالبني بارث أبيه

— وكيف تخلصت بالجواب ؟

— قلت له انه لا يزال قاصراً ولا يحق لي ارضاءه في مطامعه بصفتي الوصية عليه

— لقد أحسنت ، فكم تبلغ حصته من ارث ابيه ؟

— خمسة وعشرون الف فرنك

— وهذه القيمة غير موجودة عندك ، اليس كذلك ؟

— لم يبق لدي غير القليل منها وهذه القيمة التي يحق لي الامتناع عن دفعها اليوم لا بد لي من دفعها يوم بلوغه سن الرشد

— وهذا الذي يجب ان نتلافاه

— كيف ؟

— انى اعود الى الاتفاق الذي ذكرته لك . فاعلمي ان ولدك الان ظمآن الى الحرية والحظ والانفاق عن سعة فاذا اعطيته خمسة عشرين الف فرنك بلغت منه مآربك

فاضطربت الارملة وقالت ، ولكن كيف ادفع هذا المبلغ الجسيم . . .

— من صندوقي ، وارجوك ايتها العزيزة ان لا تعارضيني فانى صديق لك وفوق ذلك فان هذا المبلغ ستردينه الي فهو عبارة عن سلفه واعلمي انه يجب ان تعطيه هذا المبغ على شرط ان يمضي اتفاقا مآله انه يتنازل لك عن حق ادارة الثروة التي سيرثها من الكونت تونوريو ما زلت في قيد الحياة . فمتى يبلغ سن الرشد ؟

— في ١٠ مارس سنة ١٨٨١

— اذن سيكون تاريخ الاتفاق الذي سأكتبه في ١٠ مارس سنة ١٨٨١ فلا يبقى سبيل الى دحضه اذ انه كتبه وهو في سن البلوغ

— لقد فهمت ولكن اتظنه يرضى بالتوقيع عليه ؟

— بل انه لا يتردد لا سيما وهو يعلم انه سيغدو حرا طليقاً وسيكون بيده مثل هذا المبلغ الجسيم وان الارث من الكونت مشكوك فيه لفقد الوصية

— ولكن لنفترض ان الوصية لم توجد او ان ولدي مات قبل بلوغه سن الرشد الا اكون انا المدينة لك بخمسة وعشرين الف فرنك ، وكيف استطيع ردها ؟

— لا يخطر لك ذلك في بال يا سيدتي فاني واسع الثروة وصداقتك عندي

تساوي كنوز الارض . انما ارجوك ان تسمحي لي بالرجاء بأن هذه الصداقة تستحيل يوماً الى معنى اكثر حنوا

وكان اقصى ما ترجوه هذه الارملة ان تولد في نفس هذا الدكتور الشهير مثل هذا الرجاء لا سيما وقد اثرت عليها مروءته وكرمه ولطفه وثروته وباتت تطمع بأن تجذبه اليها وتتزوج به

وهذا الذي كان يطمع به الدكتور ايضاً وهو ان يولد في نفسها هذا الرجاء كي يتسلط على ارادتها كما يشاء ويبلغ من ولدها ما يريد بمساعدتها دون ان تعلم بما يعمل

فلما قال لها هذا القول وهو مجاهرة بالحب اطرقت بنظرها الى الارض وتنهدت تنهداً طويلا ، وكان جاك قد اخذ عند ذلك يدها بين يديه فضغطت على يده دون ان تجيب وكان ذلك ابلغ جواب

وبعد سكوت قصير سألها جاك ، ماذا يصنع ولدك الآن ؟

— انه ذهب الى الخياط لاخذ ملابسه الجديدة بعد تغييره زي الرهبان لانه يرغب في حضور الحفلة التي تعدها في منزلك

— كلا كلا ، لا يجب ان يحضر هذه الحفلة

— لماذا ؟

— لسبب بسيط وهو اني اخشى ان يعلق بتلك الفتاة الحسناء التي رأيتها في منزلي فقد باغته وهو ينظر اليها نظرات الهائمين

— اتظن انه عشقها ؟

— اذا لم يعشقها لاول نظرة فلا بد ان يعشقها في الثانية وهناك الشقاء الاكيد فانه اذا طلب الي الزواج بها رفضت طلبه لاني عقدت النية على تزويجها بسواه ولذلك فقد وجب علينا اخماد هذه الجذوة التي تولدت في نفسه ومنعه عن حضور هذه الحفلة كي لا يرى ربيبتي فيها ، افهمت الآن ؟

— لقد فهمت ، ولكن كيف السبيل الى منعه عن حضور حفلة انت دعوته اليها ؟

— يكفي لذلك ان تبعديه عن باريس

— كيف ابعده وبأية حجة ؟

— لنبحث عنها فقولي لي في اية مدينة نشأت ؟

— في طوربس

— الك فيها علائق ؟

— نعم فقد كنت اذهب اليها في حياة زوجي مرة كل عام فاقيم بضعة ايام

— اتعرفين فيها مسجلا ؟

— نعم اعرف فيها مسجلا يدعى لاندروا وهو صديق عائلي .

— اذن لقد وجدت الحجة فسأعطيك خمسة وعشرين الف فرنك فترسليها الى هذا المسجل وترسلين اليه كتاباً تخبرينه فيه انك مضطرة الى ابعاد ولدك عن باريس لانه يريد ان يتزوج زواجاً لا توافقين عليه وانك ترغبين ان يتحول على رجاء ان تدعوه الاسفار الى السلوان وانك ارسلت الى المسجل هذا المال قبل سفر والدك بيومين كي يدفعه لولدك فلا يقبضه الا وهو خارج باريس

— لقد اصبت ولكن اتظن ان ولدي ينسى ربيبتك بهذا السفر ؟

— ليس في ذلك ادنى شك فان المال الذي سيقبضه ينسيه كل شيء

والآن فاعلمي انه لا يجب ان تتأخرى ساعة عن الكتابة الى المسجل وهذا هو المال ، ثم اخرج من جيبه اوراقا مالية بالقيمة ودفعها اليها فاخذتها شاكرة

وفيما هي تشكره سمعت صوت ولدها في فناء المنزل فاسرعت الى تخبئة الاوراق المالية في درج ودخل ولدها وهو لا يزال بملابس الرهبان فاشرق وجهه بنور البشر حين رأى الدكتور تومسون واسرع الى تحيته بملء الاحترام وقال له ، اني اعد نفسي سعيداً يا سيدي برؤياك

— وانا ما جئت الا من اجلك يا بني فقد علمت انى اهتم لامرك وسرنى ما اخبرتنى به امك وهو عزمك على الاشتغال بالمحاماة مهنة ابيك

— الست مصيبا باختيار هذه المهنة ؟

— دون شك ولكن ذلك يدعوك الى اجهاد جديد في الدروس

— اجتهد واجد

— وانا واثق من حسن رغبتك ، غير انك في حالة لا تسمح لك بهذا الاجهاد اذ يجب عليك قبل كل شيء ان تنظر في اصلاح صحتك ولذلك لا بد لك من الراحة التامة والهواء الطلق ، اي انه لا بد لك من التجول والاسفار قبل انعكافك على الدروس

فضحك الفتى وقال ، اني أحب السفر واشعر بحاجتي اليه ولكن الاسفار والسياحات تحتاج الى الكثير من النفقات وتقول امي انها لا تكاد تستطيع القيام باودي ولا تعطيني شيئاً حتى من ارثي

— اني تباحثت ملياً مع امك فعدلت افكارها في شأنك وقد كانت مشفقة على مالك فاقنعتها بوجوب انفاقه في سبيل صحتك وستضحي مبلغاً عظيماً كي لا يعوزك شيء الى ان تتعافى من هذا الداء

— وهذا المبلغ ؟

— انها ستجعله منذ الغد رهن امرك وهو ٢٥ الف فرنك

فاتقدت عينا الفتى ببارق من السرور وقال ، ٢٥ الف فرنك نقدا

— نعم ولكن بشرط ان تنفق قسما من هذا المبلغ على اصلاح صحتك بالسفر

— الا يوجد غير هذا الشرط ؟

— يوجد شرط آخر لا يراد به غير خيرك وضمانة مستقبلك فانك ستبلغ سن الرشد في ١٠ مارس سنة ١٨٨١ اليس كذلك ؟

— نعم

— اذن يطلب اليك كتابة تعهد امليه عليك تعترف به انه يحق لامك ادارة ثروتك مدة حياتها اذا وجدت الوصية المسروقة وقبضت حصتك من ثروة الكونت تونوريو

فابتسم وقال ، ارى أن أمي تريد ان تشتري بخمسة وعشرين الف فرنك ثروة قد تبلغ المليون

— انك مخطىء في حسابك يا بني ، ان الوصية قد لا توجد فلا تقبض شيئاً وفوق

ذلك فان امك لاتشترى ثروتك بل تكون الوصية عليها

— حسنا ولكنها لم تعطني شيئاً مقابل هذا التنازل فان الخمسة وعشرين الف فرنك حصتي من أرث ابي

— ولكنك لا يحسن بك قبض هذا المال قبل سن البلوغ وامك تعتقد انها ضحت من اجلك تضحية عظيمة وانا موافق لها في رأيها فان ريع هذا المال يعينها على نفقاتها فاختر لنفسك الان ما يحلو

فرفع الفتي رأسه بعد اطراقه وقال ، لقد رضيت فلتكن لها الثروة وليكن لي المستقبل فاذا تعافيت فلا اعدم الطرق المؤدية الى ضمانة هذا المستقبل وانا مستعد لكتابة ما تشاؤون ولكن متى اقبض المال؟

فقالت له امه ، غداً اذا شئت فاني اعطيك كتابا الى المسجل الذي اودعت عنده مالي في توريس فيدفع لك المال

— لقد رضيت فارسلي من يحضر ورقا متموغاً كي ا كتب عليه التعهد وامضيه

فخرجت امه كي ترسل من يشترى ورقة متموغة وعند ذلك قال الفتي الدكتور، يجب ان أختلى بك يا سيدي واحدثك في شأن

فذهل جاك لما رأى من لهجته من دلائل الخطورة وقال له ، الا يمكن ان تقول لي الآن ما تريد قوله يابني؟

— كلا اذ لا استطيع ان اقول شيئاً هنا

— اين ومتى تريد ان اراك؟

— فى الساعة الثامنة من مساء اليوم في كنيسة سانت سيبيس

— سأوافيك في الموعد المعين

وبعد هنيهة احضروا الورقة المتموغة فكتب الفتى التعهد كما املاه عليه جاك ثم استأذن منهما وذهب الى مدرسة الدير ليودع رفاقه التلامذة

. . .

يذكر القراء ان جاك المتلبس باسم الدكتور تومسون اقنع الفتى الراهب على التنازل لامه عن حق ادارة الثروة التي سيقبضها من ارث الكونت تونوريو مدة حياتها

مقابل ٢٥ الف فرنك يقبضها نقداو يسافر بها متجولا لاصلاح صحته وان هذا الفتى خرج من منزل امه لتوديع رفاقه التلامذة في مدرسة الدير بعد ان اتفق بالسر مع الدكتور على ان يوافيه في الساعة الثامنة من المساء الى كنيسة سنت سيبيس

فبعد انصراف الفتى بقي الدكتور مع الارملة فقالت له ، لا ادري كيف تمكنت هذه الاخلاق بولدي فقد اصبح جافي الطبع شديد الحب لذاته ولم يكن على شيء من ذلك قبل هذا العهد

قال ، ان ذلك لشدة فقر دمه غير اننا لم نلق عناء كبيرا في بلوغك ما اردت منه

— لم يكن ذلك الا بفضلك ايها الدكتور العزيز غير اني لا ازال منذهلة لما رأيت منه فانه سيبرح باريس غير آسف ودون ان يحدثك بشيء عن ربيبتك . الا تظن انك مخطيء في ما توهمته من افتتانه بها

— ربما كنت مخطئا وما انا بمعصوم والان فاني ذاهب عنك لعيادة بعض المرضى فلا تنسى انه يجب ان تكتبي الى المسجل وترسلي له المال اليوم

— سافعل ، فمتي اراك ؟

— متى اردت

— اريد دائما

— ايحلو لك ان تصرفي معي يوما فى الخلاء فى منزلي

— اظن انك لا تشك برغبتي ، فمتى تريد ان يكون هذا اليوم . .

— غدا السبت وهو يوم استشارتي ولكني اكون حرا بعد الظهر ، ففي اية ساعة يسافر ولدك ؟

— في الساعة ٨ مساء في قطار الاكسبرس

— اتصحبينه الى المحطة ؟

— ذلك لا بد منه فيما ارى

— اذن اذهبي بعد توديعه الى محطة الباستيل حيث انتظرك للذهاب بك الى منزلي في الخلاء فنبيت فيه ونصحو عند الفجر فنمتع النفس بمناظر تلك الجهات البعيدة

— ومتى نعود ؟

— مساء الاحد اذ لابد لي ان اكون صباح الاثنين في باريس اتوافقين على ذلك؟

— كل الموافقة وسأحلم بهذه النزهة الجميلة الى يوم الاحد

فاخذ الدكتور يدها فلثمها ثم ودعها وانصرف فجعل قلب الارملة يخفق خفوقا شديدا وهي تقول في نفسها ، ما اسعدني بلقاء هذا الدكتور ولا ارى من نظراته الا ما يدل على تمهيد الزواج ، على اني اذا لم يتيسر لي القران به فسأعيش غنية بفضل ماسيرثه ولدي من الكونت تونوريو بعد ان استكتبه ذلك العقد وبات بعيدا عني لا يضايقني في شيء

وعند ذلك قامت الى المكتبة وشرعت بكتابة الرساله الى المسجل في طوريس

اما جاك فانه ذهب توا الى قصره في ميرمونسيل وهو فرح القلب بما لقيه من الفوز ولكنه كان منشغل البال بما عسى ان يريد منه ابن الارملة ولماذا طلب ان يخلو به خلوة سرية

وكان باسكال شريكه في المآتم وسكرتيره في عيون الناس ينتظره في القصر فاخبره جاك بما اتفق له مع الارملة وولدها وقال له ، ربما احتجنا ليلة غد الى زيارة بتي كاستل فكيف حال اميلي ؟

— احسن مما كانت عليه

— اخرجت من غرفتها ؟

— كلا

— اذن انا داخل اليها لا تفقدها ، ثم تركه ودخل الى غرفة اميلي فقال لها ، كيف انت الان يا ابنتي ؟

فابتسمت له وقالت ، اني بخير وعافية وقد شفيت تماما ولكني رعبت رعبا شديدا حين اصطدام المركبة ولا ازال متأثرة من هذا الرعب . .

فجلس قرب سريرها وجعل ينظر اليها نظرات حنو وكلما امعن بالتأمل بمحاسنها شعر باضطراب في نفسه لا يدرك له سراً

فقال لها بصوت يتلجلج ، انك بعد اليوم لا تتنزهين الا بصحبتي فاصرفك عن مثل تلك المؤثرات المضرة بصحتك

قالت ، انى اشكرك يا سيدى اجزل شكر ولا انسى نعمتك علي فانك من خير الناس

قال ، ولكن يظهر انى لم افز الى الا ن بثقتك التامة بى

فنظرت اليه الفتاة معجبة وقالت ، كيف تقول ذلك يا سيدى وانا اثق بك ثقتى بابى وامي

— كلا يا ابنتي

— انى اقسم لك

— لا تقسمي لانك تكذبين على نفسك وعلي بل اصغي الي ولا انكر ان للرعب الذى اصابك حين اصطدام مركبتك يدا عظيمة في ما انت عليه الان من الضعف ولكنى اجد فى نفسك احزان تكتمين عني اسبابها كل الكتمان

— اؤكد لك . . .

— لا تقطعي علي الحديث يا ابنتي فانك حين برحت بتى كاستل الى باريس ظهرت عليك علائم الاضطراب ولم تخف علي يومئذ هذه العلائم ثم انى رأيت بعد ذلك اليوم اي بعد قدومك الى باريس ان حزنك اخذ بالازدياد وذلك يحزنني جدا فاذا كنت واثقة من اني كما تقولين فلماذا تكتمين عني سبب احزانك ؟

فاضطربت الفتاة وقالت له ، لا انكر انى منقبضة الصدر كثيرة السويداء ولكنني انا نفسي لا اعلم اسباب هذا الانقباض فكيف استطيع ان اخبرك عنها

— ايعوزك شيء فى منزلي تخجلين ان تطلبيه ؟

— لا يعوزنى شيء من اسباب السعادة يا سيدى فقد مهدتها لى فى منزلك وغمرتنى بنعمك وانعطافك

— ان للنفس يا ابنتي مطالب سرية يدعو عدم تحقيقها الى انقباضها ، فلماذا تكتمين عني مطالب نفسك على ثقتك من حبي اياك وعطفي عليك ؟

الم تسألى نفسك بعد ان جمعتنى الصدفة ، بك بل العناية الالهية ، عما يسفر عنه وجودك عندى ؟

— انى رأيت يدك قدمدت لانقاذى من شقائى فحمدت الله وصافحت هذه اليد والقيت مستقبلى اليها

— وانى سأ باحثك في هذا المستقبل ويشهد الله انى حين لقيتك اول مرة لم يخطر في بالي غير انقاذك مما كنت فيه من الشقاء وما كنت احبك غير حب الوالد الحنون غير ان هذا الذى لم يكن فى بدئه غير حنو قد استحال ، فانك فتاة حسناء وانا ارمل ولا ازال فى عهد الشباب فوجودك في منزلي يثير الظنون ويكثر فيك الاقاويل وانا احب ان تكون سمعتك طاهرة نقية مثلك بل يجب ان اقطع السنة المفسدين وامنع اهل الشر عن التوغل في سبيل الاراجيف والظنون ولذلك لم اجد بعد امعان الذاكرة غير نهج واحد اسلكه .. اميلى ، اني لا احبك اليوم حب اب كما كنت احبك من قبل ، بل اعبدك عبادة

ثم ركع امامها وقال ، اميلى اني احبك كما يحب الخطيب خطيبته فهل تريدين ان تكونى امرأتى ؟.

فارتعشت الفتاة ارتعاشا عظيما حين سمعت قوله الاخير ورعبت لما رأته من توقد عينيه بلهب الغرام وايقنت ان هذا الغرام الفجائى فتح امامها هوة خطر جديد لا تعلم كيف تتلافى السقوط فيها فقالت له بصوت يتلجلج ، ان امتنانى لك يا سيدى لا يحيط به وصف فقد ساعدتنى عند الشدة وانقذتني من موقف الياس وحببت الي الحياة بجميلك بعد ان لم يكن يطيب لي غير الموت ، وانى اثق بك كما يثق المؤمن بالله غير انك ارعبتني بما قلته لي اذ لم اكن اتوقع منك مثل هذه الاقوال

— ابرعبك انى أحبك وانى ابوح لك بهذا الغرام !

فضمت الفتاة يديها وقالت له بلهجة المتوسل ، بالله يا سيدي لا تكلمنى بهذا الشأن . .

— لماذا ، اتظنين أنى أخدعك ؟

— بل أظنك تخدع نفسك ولا تعلم حقيقة عواطفك وأنك لم تتمعن .

— بل تمعنت كثيرا قبل عزمى على ان افتح لك قلبي فعلمت أن سعادتي وسعادتك متوقفان على هذا الزواج . انى أريد أن تكوني غنية وأن تلاقى من هناء

المستقبل ما ينسيك شقاء الماضى . أن أحترامي لك شديد أيتها الحبيبة ولكن غرامي يعادل هذا الاحترام . انى أحب الحياة ولا حياة بغير هذا القران

فوقفت عند ذلك أميلي وقدراعها ما رأته من صحة عزم الطبيب فقالت له ، أن أمتنانى لك لا يمحوه كرور الايام من قلبي ولكنى لا أستطيع قبول اقتراحك فانى غير خليقة بهذا التشريف

— أنت غير خليقة بأن تكونى أمراتى ولماذا ؟

— لاني يتيمة فقيرة لا تستحق أن تضحي من أجلها حريتك وثروتك ، و هنا أعيد عليك ما قلته وهو أنك مخطيء في تقدير عواطفك فأنك تراني شبه أبنتك التي فقدتها أتم الشبه فكيف تكون ابنتك أمرأتك . . أتوسل اليك يا سيدي أن ترجع عن هذا الغرام

فضغط جاك على يدها وقال ، لكنى أحبك حب غرام يلتهب به صدري وقد استحالت الدماء التي تجول في عروقى الى نار

— أتوسل اليك يا سيدي الطبيب ان لاتقول لي مثل هذه الاقوال فانك تخيفني .

— اخيفك اذا بحت لك بغرامي وعرضت عليك أشرف عواقب هذا الغرام ؟ انك اذا أبيت القران بى فما ذلك الا لان قلبك موثق غير طليق

فأشتد حرج موقف الفتاة ورأت أنها اذا أعترفت له بحبها لبول فورمنتال في هذه الساعة خنقته الغيرة وليس بعدها الا الكره فتضطر الى الانفصال عنه ولا ملجأ لها فقالت له ، أتوسل اليك باسم ابنتك التي أحببتها ورأيتني ممثلة لها أن تنزع منك هذه الافكار فأنك تؤلمنى

فعضت الغيرة قلب هذا اللص السفاك فقال ، لقد أتضح الان أنك تخدعينني وعلمت السبب في تلك الكآبة فانك تحبين رجلا فصلته عنك الاقامة عندي ولا تستطيعين السلو عن هواه ، اليس كذلك ؟

— كفى يا سيدي تسألني وتنظر الي هذه النظرات

— اتجسرين بعدالان على الانكار ؟

فرأت أميلى أنه احرجها ولم يبق لديها الا واحد من امرين وهما الكذب

أو الاعتراف ولكن الكذب تغلب عليها في هذا الموقف فقالت له ، كلا أن قلبي غير موثق بحب أحد وأريد أن يبقى طليقا . .

— أتقسمين بامك تأييداً لصدقك في هذا القول ؟

فتراجعت منذعره لخوفها من حاف يمين كاذبة وقالت له ، انك تهينني يا سيدي لريبك في كلامي وقد قلت لي انك تحترمني ولكني أرى اني كنت منخدعة بما سمعت . كلا اني لا اقسم فلست من الكاذبات

رأى جاك أنه قد جرى شوطا بعيداً وخشى عاقبة العنف فقال لها ، اني أحترمك كل الاحترام ايتها الحبيبة ولا يخطر لي في بال أن أرتاب في ماتقولين ولكني اصبحت كالمجانين وعضت الغيرة قلبي فلم ادرى ما أقول وفي هذا المقام يجب الصفح عنى والا شفاق علي

— انى أصفح عنك بملء الارتياح لوثوقى من أنك قلت ماقلته دون روية ومن غيرهدى لانك لا تريد عذابى بعد ما أظهرته لي من أيات الرفق والحنان

ثم أندفعت في الشهيق والبكاء فاخذ جاك يدها بين يديه وقال لها ، كفى يا ابنتى انى معترف بخطائى وقد وثقت من صدق قولك فكفاك بكاء فان دموعك تحرق قلبي وأنا المسبب لها ولكن دعيني اعتمد على الزمن فاني أرجو أن يكون خير حليف لي وما زلت مطلقة الفؤاد سيأتى يوم تعرفينني فيه حق العرفان وتحبيننى كما أحبك وتأذنين لى أن أجعلك من اسعد النساء

فجذبت يدها من يديه وقالت له ، انى أجهل أسرار المستقبل ولكنى أسألك بالله أن لا تدعني أأسف لتلك الساعة التى اعتمدت فيها على مروءتك فاني أحترمك أحترام البنات لابائهن فلماذا نزعت منى هذه العاطفة الحنونة . .

فعض جاك شفته وقال ، لا بأس فقد كنت ارجوأن تكوني لي خير رفيق وصديق فما لقيت منك غير عكس ما رجوت ولكنك اذا ابيت اقتراحي اليوم فستقبلينه غدا ولا بد ان يأتى يوم تحبينني فيه لانى أريد ولا مرد لارادتى ، والان هلمى بنا الى المائدة فلقد حان وقت الطعام . .

— سأتبعك حالا

فخرج جاك مقطب الحاجبين وهو يقول ، نعم أنها ستحبني ولا بد ان اظفر بقلبها كما ظفرت بها فتغدو أمرأتي ولا ابالي برفضها الان فانها ستخضع لا رادتي مع الزمن على اني لا ازال واثقا انها غير طايقة القلب الا أنها ستنسى هذا الغرام بمرور الايام

اما اميلي فانها جثت على ركبتيها بعد انصراف جاك وهي ضائعة الرشد فجعلت تبتهل الى الله كي ينقذها من مخالب هذا الرجل ، ثم ذهبت الى قاعة الطعام

. . .

في الساعه الثامنة من المساء ذهب جاك الى كنيسة سابيس للالتقاء برينيه لابار ابن الارملة حسب الاتفاق فلقيه ينتظره فيها فخلا به رينيه وقال له ، لا بد ان تكون ذهلت يا سيدى الدكتور لمواعدتى اياك على الالتقاء في الكنيسة وذلك لاني لاازال بملابس الرهبان فلا استطيع الجلوس في المحلات العمومية

قال ، لقد كان بوسعك أن تأتى الى منزلى

— كلا

— لماذا

— ستعلم السبب قريبا والآن فانك قد لقيتني حين دخلت الى هذه الكنيسة راكعا فيها اصلى بحرارة الزهاد وأنت تعلم انني سأخلع غدا ملابس الرهبان فلا بد أن تكون قد ذهلت أيضا ، على أن الأمر بسيط فانني اذا كنت أكره أن أكون في زمرة الرهبان فانني من صفوة المؤمنين وقد كنت أبتهل الى الله أن يهبني من الشدة والقوة ما استطيع به تحقيق الآمال التي أطمع فيها . والآن فاصغ الي

— انى مصغ اليك كل الاصغاء يابني فقل

— انى موضح لك السبب في امتناعى عن الذهاب الى منزلك ولكن اسمح لى في البدء أن أسألك سؤالا

— قل

— انى حين ذهبت اليك مع أمي للمعالجة رأيت في منزلك فتاة من أهلك

— نعم

— أتوسل اليك ياسيدي الطبيب أن تجيبني بحرية هل هذه الفتاة حقيقة من اقربائك ؟

— دون شك

—هل النسب بينكما قريب أو بعيد ؟

— انها ابنة عمي ومات ابوها عنها وهي صغيرة فربيتها بحيث باتت عندي بمنزلة الولد وهي الآن في التاسعة عشرة من عمرها

فقال له بصوت يضطرب ، اذن اتجاسر وأخبرك ياسيدي انى أحب قريبتك حبا ليس بعده حب

- أنت تحبها ولكن كيف احببتها وأنت لم تكد تراها

— نعم انى نظرتها نظرة واحدة كانت كافيه لاضرام حبها في قلبي وأنا غدا مسافر وأقصى أماني أن أعود يوما وأنا بملء العافية والنشاط لاراها مرة ثانية وهذا ما كنت أبتهل الى الله من أجله ، غير انى كرهت أن أرجو هذا الرجاء دون أن اخبرك به

— لا شك عندى باخلاصك يابني

— هل قريبتك مطلقة السراح ؟

— نعم

— ألم تفتكر بتزويجها الى الآن ؟

— كلا

وبعد سكوت قصير قال له الدكتور ، أرى انك قد عرفت الان كل ماتريد ان تعرفة وقد بقي أن أعرف الغاية من هذه الأسئلة .

— الغاية ياسيدى هى انى أسألك أن ترضى بي زوجا لقريبتك .

— انك تعلم يا بنى شدة ميلي اليك وقد برهنت لك عن ذلك لكني لا استطيع اكراهها على قبول زوج ارضى به انا وحدى ولذلك لا بد ان تكون هى راضية بهذا الزواج ، اليس كذلك ؟

— دون شك

- وفوق هذا فانك لا تزال في مقتبل الشاب ويستحيل زواجك الان قبل بلوغك سن الرشد فاجتهد وأشتغل بحزم

فمتى مر هذا الزمن واصبحت رجلا عاملا نشيطا عد الي وجدد هـذا الطلب اجيبك بما لا استطيع ان اجيبك به اليوم

- انى اذا رضيت بالخمسة وعشرين الف فرنك التى ساقبضها غداً من المسجل فى طرربس فذلك لكى يسهل الي المال طرق العمل فاني سأسعى وراء الثروة والشهرة كي اضع شهرتى وثروتى عند قدمى مدموازل امبلي غير ان جدي يتضاعف اذا أتيح لى ان أسافر على رجاء ان أبلغ هـذا القصد وغاية ما أرجوه أن أرى قريبتك واعلم منها اذا كان يمكن ان تحبني متى صرت اهلا لها

— انك يابني لم تتجرب بعد ولم يمر بك شيء من غرائب الحياة واطوارها ودليل ذلك انك تعتبر هذا الحب الفجائى الذى اصبت به خالدا فى نفسك وأنا أيضا قد لقيت ما لقيته أنت من هذا الغرام الفجائى حين كنت في عمرك

— ماذا تعني بذلك ؛

- اعنى بهان المرء معرض للسلوان وانى حين نكبت بذلك الغرام الفجائى سافرت كما ستسافر أنت فما مضى الا عهد وجيز حتى أنطفأت جذوة ذلك الغرام ولم يبق لى منه غـير التذكار

— ولكن قلبى لا يعرف السلوان

- هذا مايوحيه اليك الشباب

— كلا يا سيدى فقد عرفت من نفسي ان هذا الغرام لا يزول من قلبي فاسمح لي يا سيدي ان اراها . اتوسل اليك يا سيدى ان تأذن لي بمقابلتها بضع دقائق وأملي وطيد انها لا تقطع حبل رجائى فلماذا تأبى علي هذه السعادة يا سيدي

وكان هذا الطبيب السفاك يلاعب ذلك الفتى المنكود كما يلاعب الهر الفارة قبل ان يمزقها بانيابه فقد كان عارفاً بما سيطلبه اليه هذا الشاب ولا أحب اليه من هذا الطلب الذي يقوده به الى الفخ غير انه كان يمانعه لزيادة تمكنه منه فقال له اسمح لي يابني ان اعيد عليك ماقلته لك قبلا وهو انى شعرت لاول وهلة بميل شديد اليك ورغبة

عظيمة في خيرك وقد برهنت لك على هذا الميل بما اسديتك من نصائح ارجو ان تعمل بها فانى اراك فتى شديد العزم والاقدام تحب ان تكون ابن نفسك وتنشأ على مبدأ الاستقلال فلا بد أن يكون فوزك مضمونا بعدما تظهره من دلائل العزم فاصبر يابني الى ان يتحقق هذا الفوز وعد الي بما تطلبه اليوم اكون سعيداً بمصاهرتك وفي كل حال فاني اوافق على ان اجمعك بها كي لا اكون مثبطا لهمتك

فقال له المنكود وقد كاد يطير سرورا ، اتوافق يا سيدي ؟

— نعم ولكنى اشترط عليك شرطا

— ما هو ؟

— هو ان لا تعلم امك شيئا مما دار بيننا كي لا تتهمني بالضعف وبتقييدك دون استئذانها ولها الحق أن ترميني بهذه التهمة غير ان ميلى اليك ورغبتى في هنائك يسهلان علي ارتكاب هذا الخطأ

— انك ياسيدى من أكرم الناس ولا اجد عبارة تفي بما اشعر به من الامتنان ، فمتي استطيع ان أراها ؟

— غدا ، ولكنك ستضطر من اجل ذلك ان تؤجل سفرك بضع ساعات

— كيف ذلك ؟

— ذلك ان اميلى ذهبت الى منزلى في الخلاء للاقامة بضعة أيام

— اين يوجد هذا المنزل ؟

— في كر يتيل على ضفاف المرن

— اذن اذهب غدا في النهار قبل سفرى

— ذلك مستحيل لاني لا استطيع ان ابرح منزلى لاضطراري الى استقبال المرضى في الأوقات المعينة

— اذن كيف نصنع ؟

— متى تسافر غدا الى تورس ؟

— فى الساعة ٨ ونصف مساء

— انصحبك امك الى المحطة ؟

— نعم

— اذن فاسمع ما يجب ان تصنع كى لاتعلم شيئاً من أمرك ، فانك تشترى تذكرة السفر أمامها وتضع أمتعتك فى قطار الشحن وتأخذ بها ايصالا ثم تودع امك فتعود هى الى منزلها وتبقى أنت فى المحطة فلا تسافر

— وأمتعتي ؟

— تشحن الى طورس وعند وصولك اليها تستلمها بموجب الايصال الذى تأخذه عند شحنها

— وماذا اصنع بعد ذهاب أمي ؟

— تنتظر في قهوة المحطة الى أن أرسل اليك رجلا يسير بك في مركبة

— وهذه المركبة الى أين تذهب بي ؟

— الى منزلي في كربتيل حيث انتظرك مع اميلي فتقيم معنا ساعة ثم تعود بك المركبة نفسها الى باريس فتبيت ليلتك في فندق قريب من المحطة وعند الصباح تسافر في أول قطار وارجو ان تسافر وقلبك ملؤه الرجاء . .

فشكره الفتى شكرا كثيراً واقبل عند ذلك بواب الكنيسة لأقفالها فقال له الفتى انهم سيقفلون الأبواب فلنخرج

قال ، كلمة أيضاً ، فقل لي الى اين عزمت ان تسافر بعد ان تقبض المال من طورس .

لم اقر على شيء بعد وسا كتب لك منها ، ثم ارجوك يا سيدي اذا وجدت وصية الكونت دي تونوريو واقتضى الامر حضوري ان تكتب لى

قال ، دون شك فلا تنس ان تأخذ معك المدالية التي تثبت حقك بالارث وضعها في محل امين بين امتعتك

قال ، معاذ الله ان اضعها بين امتعتي فأنها معلقة في عنقي منذ ولدت ولا انزعها منه الا حين عرضها على المسجل

قال ، لقد اصبت فهذه افضل طريقة لحفظها ، والالان الى اللقاء غداً يا بني . .

ثم افترقا ورينيه يعلل النفس بأن تقبله اميلى خطيباً لها وجاك يشكر الصدفة التي

سهلت له جذب هـذا الفتى المنكود الى الفخ الذي نصبه له ويقول ، سنضيف غداً مدالية الى ما لدينا من المداليات ثم ذهب تواً الى شريكه بالجرائم وسكرتيره باسكال

. . .

ولنعد الآن الى ريموند فانه بعد أن أرسل الى ولده ذلك التلغراف الذي اخبره به أنه مسافر عاد الى رئيس البوليس وجعلا ينظران معا في تقرير قتل اميدي وفرجيني اللذين ورد ذكر قتلهما فيما مضى

وبعد ان نظرا فيه ملياً قرر رئيس البوليس ان يبدأ بتفتيش منزل القتيلين فقال له ريموند ، اود يا سيدي لو رأيت الحبل الذي شنق به اميدي

— ها هو فخذه ؟

ففحصه ريموند بامعان وقال ، لا بد ان يكون هذا الحبل مأخوذاً من اصطبل فان التبن لا يزال عالقا فيه

— وانا رأيت ما رأيته ولكني لم استخرج شيئاً من هذا الاثر

— وانا كذلك غير انه قد يكون برهانا او دليلا في بعض الظروف ، فاسمح لي ان يبقى معي

— خذ ، والآن هلم بنا الى منزل القتيلين

وذهب الرئيس وريموند فبحثا في ذلك المنزل بحثاً مدققاً عن المدالية فلم يجداها لانها كانت عند جاك وباسكال كما يذكر القراء .

ثم افترقا فعاد ريموند الى منزله وهو منقبض الصدر لهـذه المهمة الصعبة التي تضطره الى مفارقة ولده

واقام طول ليلته يفكر في الطرق المؤدية الى حل الغاز هذه الجرائم وكلما وضع خطة اتضح له بطلانها الى أن قرر أن يبدأ البحث في تلك الجهة من الخلاء التي ذهب اليها القتيلان

وهنا اللغز ، فانه لا يعرف تلك الجهة ولكنه لم ير عرفانها مستحيلا فاندعه في بحثه ولنعد الى قصر الدكتور تومسون في شارع مير مونسيل

فان جاك بعد ان فارق ابن الارملة عاد الى المنزل فاستراح تلك الليلة بالرقاد

ونهض مبكراً في الصباح فدعا اليه سكرتيره باسكال فرأى عليه علائم الاهتمام العظيم فقال له ، ماذا اصابك العله قد حدث مالا تريده ؟

فلم يجبه جاك على سؤاله بل سأله قائلا ، هل قرأت الجرائد في هذا الصباح ؟

— نعم

— الم تقرأ شيئاً عن موت اميدى وفيرجيني؟

— لم تذكر الجرائد شيئاً عنهما الى الآن

— ان هذا السكوت غريب وهو يشغلني بل يرعبني

— لماذا ؟

— لانه لا بد له من سبب

— لا بد ان يكون هناك سبب ولكن هذا السبب لا يصعب معرفته

— ماذا تظنه ؟

— اظن بل اؤكد ان البوليس لما لم يجد قاتل الكتبي فوفيال خشي ان تتهمه الجرائد بعدم الكفاءة وان تهيج عليه الشعب الباريسي فاضطر الى كتمان الامر عن الجرائد وفي ذلك ما يجب ان نطمئن له

— ولكن البوليس مهما تكتم فلا بد ان ينتبه احد حذاق مخبري الجرائد الى اكتشاف الامر ويفضحه في جريدته

— وما ذا يضرنا نشر الخبر ونحن قد اتخذنا كل وسائل الاحتياط فلنسر بعزم الى الغاية التى نسعى اليها لانهم لو علموا ان جميع الذين يقتلون من اصحاب مداليات الكونت دي تونوريو فكيف يتاح لهم ان يعلموا اننا نحن الذين سرقنا الوصية واننا نحن القتله

— لقد اصبت فلنسر الى الغاية فقد قربنا منها وغداً نزيد اقترابا

— غداً ، وكيف ذلك ؟

— ذلك اننا سنظفر بمدالية رينيه لابار

— اوضح ما تقول فانى لم افهم بعد

فأخبره جاك عند ذلك كيف انه احتال على الفتى كي يجذبه الى كرينيل فقال له باسكال ، اذن فهو سينتظر الليله في المحطة بعد سفر القطار

— نعم في قهوة المحطة وستعرفه حالا

— لا سيما وهو بملابس الرهبان

— كلا فهو يلبس مثلى ومثلك

— انى لم اره غــير مرة واحدة ومع ذلك فان صورته لم تبرح ذهني ففى اية ساعة يجب ان اذهب اليه ؟

— في الساعة العاشرة ولكن لا يجب ان تحضر واياه الى بتى كاستل قبل الساعة الحادية عشرة واعلم ان أمه ستكون هناك ايضاً فيجب ان تبالغ في الحكمة والتأنى

فذهل باسكال وقال ، امه ؟

— نعم امه

— ولكن ما هذا التهور

— بل هذه المهارة بعينها فقد فتنت عقل هذه الارمله وباتت تطمع ان اكون زوجها فدعوتها الى العشاء في بتى كاستل بحيث تبيت الليله وتقضي نهار الغد متنزهين في القرية وفى ذلك ما ينفى عنى كل تهمة لو اصيب ولدها بحادث

— غير انها اذا كانت هنا الا نخشى ان يفتضح امرنا فان اقل ضوضاء تسمعها تدعوها الى الانتباه

— انت تعلم مثلى انه لا يحدث ضوضاء ومع ذلك فقــد اخذت كل اسباب الاحتياط فكن مطمئناً

— لا شك عندي بمهارتك ولكن جراءتك ترعبنى ، اليس لك ما تقوله لى غير هذا ؟

— كلا سوى انه يجب ان تتقدمنا انجل الى بتى كاستل كما فعلنا في المرة السابقة وسأخبرها انا بما يجب ان تصنع فادعها الي

وبعد هنيهة جاءت انجل فاخبرها جاك بما يجب ان تفعله ، وتقرر ان تسافر بعد الظهر

وفي الساعة السادسة انتهى جاك من عيادة المرضى فدخل الى غرفةاميلي وسألها عن كسب ذلك اليوم

فاستقبلته مبتسمة فقال في نفسه ، يظهر انها نسيت حديث الامس ولكنها مهما حاولت الانكار فلا ينطلي علي مقالها ولا أزال واثقا انها عالقة بحب رجل ، ولكن من عساه يكون هذا الرجل ؟ . لا بد لي أن أعرفه وعند ذلك لا ادعه ان يكون عثرة في سبيلي

ثم طرد هذه الافكار السوداء من مخيلته وقال ، لا تنسي ايتها العزيزة ان الحفلة التي سأعدها تكون يوم الاثنين وانك ستتولين ادارة هذه الحفله

— سأفعل كل ما استطيعه ولكني ارى عقبة لا اعلم كيف ازيلها

— ما هي يا ابنتي؟

— هي انى لا اعلم ما يجب ان البس فانى بملابس الحداد التام

— اني لا اسألك ان تخلعي ملابس الحداد من اجل هذه الحفله ولكن زيني ثوبك الاسود بالدنتيلا وضعي بين شعورك شريطة بيضاء وذلك يكفي ، انما لا يجب ان تنسى انك تمثلين دور صاحبة المنزل وهو تمثيل أرجو ان يكون حقيقة يوما ما

فارتعشت اميلي وقالت له ، الم تقل لي يا سيدي الدكتور انك تحبني ؟

— ولا ازال اقول هذا القول

— هات برهانك على هذا الحب

— كيف تريدين أن يكون هذا البرهان ؟

— ذلك ان تعدني وعداً صادقا بان لا تكاشفني بأمر غرامك قبل أن ينقضي حدادي على امي

— أى سنة تقريباً ؟

— نعم ، وسأكون لك ممتنة الى الابد ولا اخالك ترفض هذا الطلب

— وبعد انقضاء هذا العام الا تقضين علي بالسكوت اذا فتحت لك قلبي؟

— كلا

— ثم تحبينني كما أحبك

— لا يعلم اسرار المستقبل غير الله

— ولكنك لا تمنعيني عن الرجاء

— لا حق لي بأن أمنعك

ثم ابتسمت ومدت له يدها فأخذها وقبلها بلهف قبلة حارة وقال لها ، يكفي الان انك تركت لي الامل وسترين من حبي ما يحملك على مبادلتي اياه شفقة وحنانا . . . لا . لا تجيبيني بشيء ودعيني احي الان بهذا الرجاء

وعند ذلك تركها وانصرف

اما اميلي فانها لم تنهج معه هذا النهج الا رغبة باطالة الزمن راجية ان ترى في خلال هذه المدة حبيبها بول فينقذها من موقفها الحرج

واما جاك فانه ذهب توا الى المحطة حيث واعد مدام لابار ان يوافيها ويذهب بها الى بيتي كاستل بعد سفر ابنها

وفي الساعة السابعة ونصف خرجت ارملة لابار مع ابنها الى المحطة وكانت علائم الكآبة بادية عليها فقال لها رينيه ، يظهر لي يا اماه انك كئيبة ولا اظن ان هذا الحزن لفراقي

فسالت دمعة على خدها وقالت له ، انك مخطيء يابني فان سفرك يؤلمني كثيرا

— كيف يؤلمك سفري وانت تريديه وفوق ذلك فاني ساعود

— دون شك يابني غير ان قلبي يحدثني بان هذا الفراق سيكون شرا علينا ولكنني اسال الله ان يكون حديث قلبي كاذبا وان لا يكون من سفرك غير الخير

— ولكني اعيد عليك ماقلته يا اماه وهو انك انت أردت هذا السفر الذي لم يخطر لي في بال ، اما حديث قلبك فارجو ان لا تكترثي به فاني لا اتوقع من سفري غير الخير فاقتدي بي فان الثقة خير من الشك . .

وعند ذلك وصلا الى المحطة فاشترى رينيه تذكرة السفر أمام أمه ووضع امتعته في القطار امامها

ثم دق الجرس ودنت ساعة الفراق فودعته باكية وخرجت من المحطة الى مركبة فامرت سائقها ان يذهب الى محطة فنسان

اما رينيه فانه لبث هنيهة الى أن سافر القطار فخرج من المحطة وذهب الى القهوة التي اخبره جاك انه سيرسل اليه من يذهب به منها الى بتي كاستل

ولبث هناك على احر من الجمر الى الساعة العاشرة فرأى مركبة وقفت عند باب القهوة ودخل سائقها فجعل يبحث بنظره بين الحضور حتى استقر على رينيه فاشار اليه اشارة خاصة ولم يكن هذا السائق المتنكر غير باسكال

فلما رآه رينيه اقبل اليه وقال له، العلك تبحث عني؟

— نعم الست انت الذي كنت تريد السفر الى طورس؟

— أنا هو

— ماذا تدعى ؟

— رينيه لا بار

— اذن انت هو

— وانت من ارسلك لي ؟

— الدكتور تومسون

— الى اين امرك ان تذهب بي ؟

— الى منزله في كريتيل

— متى نصل اليه ؟

— بعد ساعة

— اذن هلم بنا

فسارت به المركبة تنهب الارض وهو يحسبها واقفة لجزعه ويود لو كان لها اجنحة فتطير به الى من يحب وما علم هذا المنكود انها سائرة به الى هوة الموت

. . .

واما أمه فقد وافاها جاك في الساعه الثامنة ونصف الى محطة فنسان وسار بها الى كريتيل قبل أن يسير باسكال بولدها بساعة ونصف

وكان العشاء حاضرا فجعلا يأكلان ويشربان ويتنادمان الى ان رأى جاك ان زمن مجيء باسكال ورينيه قد حان فصب لها في كأسها من زجاجة محتوية على مادة

مخدرة ممزوجة بالخمر فلم يكد الشراب يستقر في جوفها حتى سقطت صريعة لاتعي

وعند ذلك دخلت انجل وعلمت ماجرى فقالت له ، الا ترى انه يجب حملها الى السرير؟

قال ، احذرى ان تفعلي بل دعيها حيث هي اذ يجب حين تفيق ان ترى نفسها في هذا المكان فان لى في ذلك مأربا

— والان ماذا يجب أن أفعل ؟

— يجب أن نمد آلة التخدير في المحل فقد آن الاوان

ثم دخل الاثنان الى القاعة الموجودة فيها الآلة فلم يفرغا من أعدادها حتى سمعا صوت مركبة وقفت عند الباب فقال جاك لانجل أذهبي ، فافتحي الباب فان القادم باسكال

فاسرعت انجل ففتحت الباب وقالت لرينيه ، أن الدكتور تومسون ينتظرك يا سيدي فتفضل واتبعني

فتبعها رينيه وسارت به الى قاعة الطعام حيث كان جاك جالسا على المائدة يتظاهر بقراءة جريدة

فنهض واستقبل الفتى وصافحه مبتسما فقال له الفتى ، لقد كدت اقنط يا سيدي فقد خيل لى ان الساعة التي قضيتها بالانتظار في القهوة كانت دهراً واوشكت ان اظن انك نسيتني

— انك تتهمني بما أنا برىء منه . فاني انتظرك وكذلك قريبتي .

— العلك حدثتها بشأني؟

— لم أجد بداً من ذلك كي لا يكون حديثك لها من قبيل المفاجأة

فأحمر وجه الفتى وقال ، العلها ذكرتني وهي لم ترني غير مرة

— دون شك لا سيما وقد كنت بملابس الرهبان

— وهل كرهت منظرى بتلك الملابس ؟

فابتسم جاك وقال ، بل بالعكس

— لا أجسر على تصديقك يا سيدي فني لم اطمع بنيل مثل هذه السعادة حتى يخال لي اني احلم

— ولكنه حلم لا انتباه بعده

— وهل أراها الليلة وا كلمها

— دون شك فانتظر هنا قليلا الى ان أخبرها بقدومك

ثم تركه وخرج من القاعة فاقفل بابها من الخارج وذهب الى الغرفة التي كانت بها الآلة

وكان باسكال ينتظره فيها فقال له ، ماذا حدث ؟

قال ، كل ما توقعته فان الام نائمة

— الا تخاف ان تستفيق ؟

— ذلك مستحيل فانها تبقى نائمة الى الصباح

— اذن لنبدأ العمل

فكشف جاك ساعته وضغط على الالة فانطلق البخار الى القاعة المقيم فيها رينيه

وكان المنكود ينتظر ان يفتح الباب وتدخل اليه اميلي والدكتور ولكنهما لم يحضرا ثم شم رائحة عطريه لم يعلم من اين نفحت فكانت تؤثر به تأثير الخمر ولكن تأثيرها كان سريعا وقد وجد بها لذة عظيمة فجعل يستنشقها بتلهف وهي تتمكن منه وتتمشى في مفاصله فتسترخي

ولم يطل به ذلك حتى شعر بان عينيه قد تراختا كمن اصيب بنعاس شديد ثم شعر كان الارض تهتز تحت قدميه فحاول الوقوف فلم يستطع على مابذله من الجهد وهم ان يتكلم فلم يطعه لسانه وأراد ان يمد يديه فاسترختا ثم ضاق تنفسه وبعد هنيهة نام تلك النومة التي نامها من قبله خاله فوفيال الكتبي وأميدي وفيرجيني وهى تلك النومة التى لا صحو بعدها الى الابد

واننا لا نزعج القراء بتفصيل تلك الجناية الهائلة فقد عرفوه من قبل ونكتفي بالقول انه بعد نصف ساعة تحولت المدالية من عنق هذا الفتى المنكود الى يد جاك السفاك وقد أخذ أيضا محفظة أوراقه التى يظهر منها اسمه

وعند انتصاف الليل حمل جاك وباسكال جثة هذا التعس الى المركبة فجلس جاك بجانبها وصعد باسكال الى مكان السائق فسار بها الى ممر القطار البخاري في جهة قفراء مظلمة من طرق باريس الى اورليان فحملا الجثة ووضعاها فوق الخط بحيث يمر القطار فوقها دون ان يراها سائقه لاربداد الظلام وعدم وجود الناس في ذلك المكان

ثم اسرعا الى المركبة اذ سمعا صوت سير القطار وهربا فمر القطار بسرعة البرق الخاطف فوق جثه ذلك المنكود

وفي الساعة الثالثة بعد انتصاف الليل كان جاك وباسكال في منزلها في بيتي كاستل

وكانت مدام لابار لا تزال نائمة بفعل المخدر على كرسي طويل فجلس جاك بازاء تلك الارملة التي قتل ولدها ونام بملابسه على الكرسي الذي كان جالسا عليه حين كان يشرب مع تلك الارملة قبل رقدتها . .

وعند الصباح صحت من رقادها ففتحت عينيها واجالت في ماحولها نظراً حائراً وهي تحسب انها حالمة حتى رأت الدكتور تومسون نائما مثلها على كرسي فأطمانت وذكرت مامضى

وفي ذلك الحين تحرك جاك حركة خفيفة ثم مديده وفتح عينيه وهو يمثل انه كان نائما فنظر الى الارملة وابتسم لها الطف ابتسام . .

اما الارملة فانها قالت له بلهجة المضطرب ، اني لم اذق في حياتي خمرا افعل في الاعصاب من خمرتك فان هذه أول مرة سكرت فيها في حياتي ولكن مما يعزيني انك سكرت مثلي كما أرى

فاجابها جاك بمايوافق المقام ثم اقترح عليها النزهة في بستان المنزل فاجابت اقتراحه واقاما ذلك اليوم كله في القرية وفي المساء عادت الى منزلها في باريس . .

وكذلك جاك وباسكال وانجل فانهم عادوا جميعا الى باريس . .

. . .

ولنعد الان الى ريموند فانه قضى يوم السبت بجملته باحثا منقبا لعله يظفر باثر يرشده الى الاستدلال على جريمة قتل اميدي وخطيبته فلم يفز وعاد الى البحث في اليوم التالي فعاد عند الظهر الى منزله ورائده الخيبة والفشل . . .

وبعد الظهر ذهب الى منزل الكونتس دي شانلو والدة فابيان . ويذكر القراء انها وعدته بمقابلة سكرتير وزير الحقانية والتماس مساعدته باطلاق سراحه من الخدمة فاحب ان يعلم نتيجة هذه المقابلة

فلما قابلها قالت له ، اني كنت انتظرك لاخبرك خبرا يسرك فاني قابلت امس سكرتير الحقانية كما وعدتك واخبرته عن ماضيك وحاضرك بالتدقيق وصورتك له بما اعرفك حتى رق لحالتك وتعهد بارسال عريضتك الى الوزير بل تعهد بحمله على العفو عنك ، فهل انت راض عن هذه النتيجة ؟

فاضطرب ريموند وسالت دموعه من السرور وقال لها بصوت يتلجلج ، اني لو نظمت الدراري عقوداً في الثناء عليك يا سيدتي لما وفيتك بعض ما يجب وكفى شاهدا على امتناني العظيم انك اطلقت سراحي وجعلتني قادرا على العناية بولدي دون ان يعلم ماضي امري مما يحمر له وجهه خجلا فما اخطأت يا سيدتي باعتمادي عليك

— بل اصبت كل الاصابة فاني اصنع لك كل ما استطيع صنعه . .

— اسمحي لي يا سيدتي ان أسألك متى سترين السكرتير

— لقد وعدني ان يزورني ليلة الثلثاء ويأخذ عريضتك فيجب ان تكتبها وتحضرها الى صباح الثلاثاء

— سافعل ياسيدتي الكونتس

— حسنا والان فلنتكلم عن ولدك وعن ولدي ، فهل رأيت فابيان في كرينيل ؟

— كلا

— كيف ذلك ؟

— ذلك لان رئيس البوليس دعاني امس فجاءة فبرحت كرينيل يوم الجمعه

— ومتى تعود اليها ؟

— لا اعلم واأسفاه

— وماذا قال ولدك عن هذا السفر الفجائي ؟

— ادعيت اضطراري الى السفر

— العلك عرفت شيئا عن تلك المرأة أو الفتاة التي يحبها ؟

— كنت بدأت البحث ولكني اضطررت الى ايقافه وسأعود اليه متى تفرغت ولا بد لي من الوصول الى نتيجة.

— اظن ان بول يكون قد نسي غرامه في خلال هذا البحث

— هذا ما اتمناه ولكني على ريب منه فان غرامه شديد

وبعد ان تحادثا هنيهة استأنف ريموند شكره ثم ودعها وانصرف عائدا الى منزله وقد أضناه التعب فنام.

. . .

في اليوم التالي لذلك اليوم الذي كانت فيه ارملة لابار عند الدكتور تومسون نهضت تلك الارملة من رقادها متأخرة.

وكان اول ما صنعته انها ذهبت الى المرآة وجعلت تتمعن فى وجهها معجبة بجمالها ونفوذها على الدكتور تومسون اذ كانت تعتقد انه فتن بها حقيقة وبلغت من قلبه اقصى ما تريد.

وفيما هى تتمايل عجبا وتطلق العنان لافكارها وامالها بالزواج بهذا الطبيب الغني الجميل دخلت عليها وصيفتها وقالت لها في الباب يا سيدتي رجل يسأل مقابلتك بالحاح الامر خطير

— من هو هذا الرجل ، العلي أعرفه ؟

— لا أعلم اذا كنت تعرفينه ولكنى لم اره قبل الان

— على ماذا تدل هيئته وملابسه ؟

— على انه من القضاة

— وما شأن القضاة عندى ولا علاقة لى بالمحاكم ، ولكن ادخليه على كل حال الى قاعة الاستقبال وساوافيه

وبعد هنيهة قابلته وقد كان حسن الهندام جميل التأدب وهو فى الاربعين من عمره فانحنى امامها وقال لها ، هل انا يا سيدتي بحضرة مدام لابار ارملة ذلك المحامى الذائع الصيت

— نعم يا سيدى فتفضل واجلس واخبرنى عن السبب فى تشريفى بهذه الزيارة

— سأفعل ياسيدتي ولكني ارجوك قبل ذلك ان تأذني لي بسؤالك بعض اسئلة

فذهلت وقالت ، تسألني انا ولماذا ؟

— ذلك لابد منه يا سيدتي

— اذن سل ما تريد

— اليس لك ولد يا سيدتي ؟

فأجابته بلهجة شفت عن القلق ، نعم

— وهل ابنك غائب الان عن باريس ؟

— نعم

— انه يتجول دون شك

— هو ذاك ، مراعاة لصحته

— متى برح باريس ؟

— مساء السبت

— الى اين كان ذاهباً ؟

— الى تورس

— أأنت واثقة من ذلك ؟

— كل الثقة فقد ذهبت معه الى المحطة

— أية محطة ؟

— محطة اورليان

— ان عمر ابنك تسعة عشر عاما ، اليس كذلك ؟

— نعم ولكن ما هذه الاسئلة يا سيدي فلقد اشغلت بالي ، العل لديك بلاغا بشأن ولدي ؟

فاضطرب الرجل ووقف هنيهة موقف المتردد ولكنه لم يجد بداً من الايضاح فقال ، وآسفاه ياسيدتي ان ما علمته منك يزيل كل ريب

— اي ريب هذا ، اني لا افهم ما تقول يا سيدي ولا اجد من خلال كلامك غير

نك تقلقني بل ترعبني بل ارى فيه ما يشبه التحقيق في امر ولدي . فهل دفعه الشباب الى ارتكاب جنحة من الجنح

— كلا يا سيدتي فانه لم يكن جانيا بل مجنيا عليه

— بماذا جنوا عليه العلهم سرقوا ما كان يحمله من المال ؟

— كلا

ـ ولكن ماذا . . قل لي ماذا اصابه ؟

— الم تريني يا سيدتي كيف اضطرب . ان تأثري واضطرابي يدلانك على ان الامر خطير

فايقنت عند ذلك الارملة ان ولدها اصيب بنكبة فاضطربت اضطرابا شديداً وقالت ، رباه ماذا حدث العله مريض او هو جريح ؟

فاطرق الرجل برأسه دون ان يجيب

قالت ، ولكن اجبني يا سيدي ان سكوتك مرعب مخيف قد يستدل منه ان ولدي مات

— لقد عهد الي يا سيدتي بابلاغك امرا عظيما لا احاول قوله لك حتي يقف الكلام بين شفتي ولا يجد مخرجا

ـ اتم حديثك يا سيدي ، فان ولدي مات ، اليس كذلك ؟

ـ نعم واآسفاه

ولقد عرف القراء من قبل ان هذه المرأة لا تحب ولدها حب الامهات للابناء غير ان هذا الخبر الفجائي عن موت ولدها انقض عليها انقضاض الصاعقة ، فان الام مهما كان من قلبها فان عواطف الامومة تعود اليه في مثل هذه الحادثة فتبكي الام ولدها ولو كانت من الوحوش الضارية

وقد عادت في تلك الساعة فنسيت انها بموت ولدها فقدت ما كانت تطمع به من الثروة فجعلت تبكي بكاء مؤلما وتندب ولدها بالفاظ تفتت الجماد

وبعد هنيهة ثاب اليها رشدها فقالت للرجل ، اين مات ، وكيف مات ؟

— لقد وجده عمال السكة الحديدية في صباح اليوم ملقيا على الخط جثة من غير روح وقد شوهه مرور القطار فوقه

فعادت الى البكاء ثم عادت الى الحديث فقالت ، ولكن كيف كنت واثقا من انك غير مخطيء وكيف عرفتم ان هذا القتيل المشوه هو ولدي ؟

— لم نجد سبيلا للشك يا سيدتي فقد وجدنا في جيبه بطاقات زيارة مكتوبا عليها اسمه وعنوانه ، فلما عرفنا اسمه وعنوانه كان من الواجب علينا ان نأتي به الى منزله

— ماذا تقول . اجئتم بولدي . اهو هنا؟

— انه في مركبة واقفة عند باب المنزل ولا انتظر غير أمرك كي يصعد به رجالي

— اني ذاهبة معك

— تشجعي يا سيدتي واصبري على قضاء الله وانتظري هنا

فحاولت الارملة ان تركض الى الخارج لترى ولدها غير ان قواها وهنت فسقطت على كرسي واسرعت الخادمة اليها وقد سمعت الحديث من وراء الباب وعرفت النكبة

اما الرجل فقد قال للخادمة انه يجب قبل كل شيء ان تعدي السرير الذي يجب أن نضع عليه هذا الفتى المنكود

فامتثلت الخادمة ونزل الرجل الى المركبة

وبعد هنيهة صعد رجاله بجثة رينيه فوضعوها فوق السرير مغطاة بوشاح أسود

ودنت الارملة من السرير ومدت يدها تحاول أزاحة الغطاء فمنعها رجل البوليس وقال لها ، أرجوك يا سيدتي أن لاتفعلي ان المنظر شديد هائل

قالت ، كلا فسأتسلح بالصبر والجلد فاني احب أن أرى ولدي . .

ثم مدت يدها الى الغطاء وأزاحته فذعرت ذعراً شديداً وكادت تسقط على الارض لما رأته . ذلك انها رأت جثة ولدها المنكود مقطعة قطعا ولم يبق سالما منها غير الرأس أما الجلد فقد تمزق وتهشم

وعند ذلك جثت الخادمة راكعة وجعلت تصلي

اما الام فلم تعد تجسر على النظر الى جثة ولدها المشوهة فالتفتت الى الخادمة وقالت لها ، اسرعي الى البواب وقولي له ان يذهب الى الدكتور توموسون في شارع

ميرمونسيل فاذا لم يجده فلينتظره واذا وجده فليدعوه الي في الحال فانى على وشك الموت

فاسرعت الخادمة في تلبية امرها ولكنها لم تكد تخرج من الغرفة حتى سقطت سيدتها مغميا عليها

فامر البوليس عند ذلك باخراجها من الغرفة حتى لا ترى ولدها بعد افاقتها

. . .

يذكر القراء ان الدكتور تومسون كان قد عين ليلة الاثنين موعدا لحفلة تدشين منزله الجديد في شارع ميرمونسيل

وكان جاك و باسكال يعتمدان اعتمادا شديدا على هذه الحفلة و يرجوان أن تكون خير اعلان للدكتور تومسون

وكانت انجل واميلي تهتمان اهتماماً عظيما في ترتيب الحفلة والعناية بها اجابةلرغائب الدكتور تومسون

ان هذا الطبيب السفاك كان جالساً وامامه المداليات الثلاث على مائدته وهى مداليةابن الارملة ومدالية فرجينى والمداليه التي وجدها في صندوق الكونت دي‌تونوريو

وكان باسكال جالسا بجانبه يشاركه في فحص هذه المداليات وما عليها من الحروف والرموز المختلفة .

وكان جاك يقول انه مما لا ريب فيه ان كل كلمة من الكلمات المكتوبة على هذه المداليات منتزعة من جملة فاذا رجعت الكلمات الى بعضها عرف المكان المخبوءة فيه الملايين ، وهذا كان واضحا مما جاء في الوصية ولكن يتعذر علينا معرفة هذه الجملة الا اذا جمعنا المداليات كلها

ثم التفت الى باسكال وقال له ، انك لا تكاد تصغي الي ، فبماذا تفتكر . .

قال ، اني ابحث عما تفيد كلمات هذه المداليات الثلاث التي ظفرنا بها فاننا اذا جمعناها تألفت منها هذه العبارات — من كرانج . الدرجة السابعة السوداء مبتدءا من

فهز جاك كتفيه وقال ؛ يستحيل ان نفهم المراد على انه قد ظهر ان المال مخبوء

تحت درجة سوداء ولكن اين هذه الدرجة اهي السابعة ام السابعة والعشرون . ام السابعة والثلاثون . كل ذلك لغز يصعب حله ولا بد لنا من جمع المداليات

فأجابه باسكال بصوت اجش ، اننا سننالها ولكن يجب الاسراع فقد بدأت اخاف

— ومما تخاف ؟

— لا استطيع ان اجيب على هذا السؤال ولكنني اشعر ان الخوف قد ملأ قلبي

— انه خوف فى غير محله ما زلنا قد اتخذنا كل وسائل الاحتياط بحيث لم يبق سبيل للريب بها وانت تعلم من ذلك فوق ما أعلم

— هذا لا ريب فيه غير ان المرء قد يفاجأ و يؤخذ من حيث هو آمن مطمئن وان قلبي يحدثني بوقوع ما نكره

— انه حديث مكذوب لم يظهره غير الوهم فاطمئن ولنعمل

— هذا ما طلبته اليك

— ماذا فعلت بالصياد المتفلسف

— ان فلسفته لا تنجيه من قبضتي فانى لا زال اراقبه وهو لا يزال يتردد بين الكريثيل وسانت مور وهو لم يغير شيئا من عاداته لانه حينما يتعب من الصيد ينام على شاطىء النهر

— ولكن يجب ان ننهي امره ونقضي عليه

— هذا لا بد منه وسافعله في القريب العاجل ولكني لا ارى من الحكمة ان نجيء به الى بيتي كاستل وقد خطرت لي طريقة غير الطريقة التي نستعملها مع اصحاب المداليات

— العلها طريقة مضمونة ؟

— لا ريب فيها فهل تريد ان تعمل؟

— نعم وكن حكيما

— لا تخف فاني ما فشلت في امر الى الان ولكني أرى أنه يجب قبل ذلك ان اسافر الى جنيف وان ابحث عن اميلي برتيه

— وهذه فتاة ايضا يجب قتلها
— ان قتل المرأة اسهل من قتل الرجل
— ليس ذلك سهلا كما تظن
- بل هو سهل وقد وضعت خطتي
- هل لك ان تطلعني عليها ؟
- انها خطة بسيطة هذه قاعدتها . . .

. . .

ان مدينة جنيف مدينة قروية ينام جميع قومها في الساعة العاشرة وسابحث عن منزل هذه الفتاة وادخل اليه خلسة في ظلام الليل وابحث عن المدالية فاذا ظفرت بها كان ذلك لخير الفتاة وأمها والويل لهما اذا استيقظتا حين مجئي . وفي كل حال فلا بد لى من الظفر بهذه المدالية بالخلسة أو بالاغتصاب دون ان أدع احداً يعلم بأمرى . فهل توافق على هذه الخطة ؟

— كل الموافقة ولا أخالفك الا في امر واحد
— ما هو ؟
— هو اني اوثر البدء بالصياد فلنتبعه برينيه لا بار
— ولكن يبقى فابيان وصديقه بول
—ان هذين الشابين سيأتيان الى هناهذه الليلة وسأقر على ما يجب صنعه بشأنهما
— حسنا فضع الان هذه المداليات في مواضعها وسأحضر لك قريبا مدالية الصياد

فوضع جاك المداليات الثلاث في درج وأحكم اقفاله وعلق مفتاحه بسلسلة في عنقه وكان يوجد في هذا المكتب نفسه العلبة الصغيره المحتوية على وصية الكونت دي تونوريو واوراقه

وكانت قدحانت ساعة الغذاء فقام جاك وباسكال الى المائدة حيث كانت انجل واميلي بانتظارهما فكانت اميلي تبتسم ابتساما يزيل عن وجهها اثار الكآبة السابقة فجلوا جميعهم يتحدثون بالحفلة التي سيعدها الدكتور .

فقال الطبيب لاميلي ، ارجو يا ابنتي العزيزة ان لا تكوني نسيت ما أوصيتك به

فقالت ، عن أي شيء تعني ؟

قال ، عن التأنق في لباسك فأني احب ان تكوني فتنة للناظرين لاني سأعرفك بجميع المدعوين

وكان صوت الطبيب يضطرب ويتلجلج بهذه الكلمات الاخيرة فاصفر وجه الفتاه وقالت في نفسها انه لم يرجع عن شيء من عزمه السابق بشأن غرامه وآماله . وعند فراغهم من الطعام وخروجهم الى قاعة التدخين دخل احد الخدم وعليه علائم الاهتمام الشديد فقال ، للدكتور ان على الباب رجلا ياسيدي يريد محادثتك

— ماذا يريد ؟

—انى سألته عن قصده فلم يقل لي شيئاً ولكن يظهر بان الامر خطير فقدجاء في مركبة

— من أين هو قادم ؟

— من شارع سرس ميدي

— حسنا ادخله الى القاعة وانا قادم لاراه

ثم خرج من القاعة التي كان فيها واشار الى باسكال وقال له ، ماذا حدث ؟

فأجابه لا أعلم فان الارملة قد دعتني اليها وسوف ارى ما يكون

ثم ذهب واياه الى حيث كان ينتظره الرجل فقال له من اين جئت ومن ارسلك ؟

— لقد ارسلتني يا سيدي مدام لابار

— ماذا تريد مني ؟

—لا أعلم يا سيدي سوى ان هذه الارملة المنكودة قد أصيبت بنكبة هائلة فقد جاؤوها بولدها وهو جثة من غير روح وقد سحقته عجلات القطار فلما رأته الارملة على هذه الحالة كادت تجن من يأسها وجعلت تصيح وتقول

ائتوني بالدكتور تومسون

فاصفر وجه الطبيب السفاك ونظر الى باسكال فرآه يضطرب ثم نظر الى الرجل وقال له ، اسرع الى السيدة لابار وقل لها اني قادم اليها في الحال

فانصرف الرجل ونادى جاك السائس من النافذة فأمره ان يعد المركبة

وعاد الى باسكال فلقيه قلقا مضطربا فقال له ، ما هذا الاضطراب ؟

قال ، كيف عرفوا رينيه وانا قد فتشت جميع جيوبه واخرجت كل ما كان معه من الاوراق فاحرقتها

قال ، لا بد ان تكون بقيت ورقة في جيبه غفلت عنها وذلك ما يدل على اننا لم نتوفق في قتل هذا الفتى

— ولكني اراك ذاهبا الان الى أمه

— لا سبيل الى الامتناع بعد ان دعتني اليها

— الا تخشى البوليس ؟

— وماذا عسى اخشى ، نعم انى ذعرت حين علمت انهم عرفوا رينيه في الحال ولكني لم اكن مصيبا في الخوف فان البوليس حسب موت هذا الفتى قضاء وقدرا ولولا ذلك لما جاؤا به الى منزل امه بل ارسلوه الى محل عرض الجثث لاجراء المعاملات القانونية

ثم ان أمه قد دعتني اليها لمعالجتها بعد هذه النكبة القادمة وذلك طبيعي معقول فاذا ذهبت اليها فانما اذهب الى احدى زبائني وليس في ذلك ما يدل على الريبه

وفوق ذلك فلمفترض ان البوليس عرف ان الفتي مات قتيلا فاذا علي من ذلك الا تذكر انى بقيت مع أمه طول تلك الليلة التي حدثت فيها الحادثة واننا حين استيقظنا من رقادنا كان كلانا على المائدة بأزاء الاخر

— ان ذلك مما يحمل على الاطمئنان

— اذن اطمئن وانصرف الى الاهتمام بمعدات الحفلة فان موعدها قريب . .

ثم تركه جاك وبعد هنيهة كان ذاهبا في مركبته الى منزل الارملة

اما الارملة فانها بعد ان استفاقت من اغمائها بعناية وصيفتها عادت اليها تلك الذكرى الهائلة فجعلت تذرف دموعا غزيزه وتسأل من حين الى حين عن الدكتور تومسون

. . .

وبعد هنيهة طرق الباب فقالت الارملة ، من الطارق العله الطبيب ؟

فقال لها رجل البوليس ، كلا بل قضاة التحقيق فاعلمي يا سيدتي انى قومسير محطة شوازي ليروا ، فلما اطلعت على تقرير الطبيب بشأن ولدك ارسلت تلغرافا الى النائب العمومي وآخر الى رئيس البوليس رجوتهما فيه ان يحضرا الى منزلك مع احد اطباء الصحة

— ولكن لماذا واي شأن للبوليس في هذه الحادثة؟

— ان تقرير الطبيب الذي اخبرتك عنه ياسيدتي يدل انه لا بد من اجراء التحقيق

فقالت الارملة وهي لم تفهم مراده ، لماذا التحقيق ؟

غير انه قبل ان يجيبها اتت الخادمة وقالت ، على الباب يا سيدتي رجال يريدون محادثتك اتاذنين بادخالهم

قالت ، ادخليهم

فذهبت الخادمة وعادت باربعة رجال وهم النائب العمومي ورئيس البوليس وطبيب وقاضي وجنديان بقيا واقفين عند باب الغرفة

فصاحت الارملة بلهجة القنوط قائلة بربكم ما ذا حدث انهم جاؤوا بولدي منذ هنيهة ميتامشوها ثم جئتم انتم الان تصحبكم الجنود فهل قتل ولدي قتلا ؟

فاجابها النائب العام ، يظهر يا سيدتي من تقرير الطبيب انه اذا لم يكن يؤكد حدوث جناية فهو يرجحها فبات من واجباتنا باسم الشرع وباسمك ان نحقق في امره ولذلك لابد لنا من فحص جثة ولدك المنكود

فامتقع لون الارملة واصفر وجهها حتى صار كوجوه الاموات وقالت ، قتيل . رباه قتلوا ولدي

— سيعلم الطبيب الحقيقة في الحال فارجوك يا سيدتي ان تتشجعي وان تأذني لنا بالدخول الى غرفة الميت

— ساصحبكم اليها

— ولكنك لا تقوين يا سيدتي على مشاهدة هذا المنظر الاليم

— بل أصحبكم فاني اريد أن أعلم اذا كان ولدي مات قضاءوقدراً أو قتل قتلا وفي كل حال فلا بد لكم أن تسألونى ولا بد لي أن اجيبكم .

ثم مشت أمامهم الى الغرفة وقبل أن يصلوا اليها طرق الباب فتوقف الجميع وفتح

عنـد ذلك فظهر جاك لا جارد أو الدكتور تومسون فأسرعت الارملة اليه وهي تقول ، ولدي العزيز ايها الدكتور

فلما رأى جاك رجال القضاء لم يستطع أخفاء ما خالج قلبه من الرعب ولكنه أسرع الى ضبط نفسه فدنا من الارملة وقال لها ، لقد شغلت بالي يا سيدتي فماذا حدث ؟

فشهقت بالبكاء وقالت، لقد قتلوا ولدي

فدنا طبيب البوليس من جاك وقال له ، أحضرتك يا سيدى من الاطباء ؟

قال ، نعم فانى ادعى الدكتور تومسون وأنا طبيب منزل مدام لا بار

قال، أذن فاعلم يا سيدي أن طبيب المحطة التى وجدت فيها الجثة يرجح ان الموت كان قتلا فساشرح الجثة ورجائي أن تساعدني

قل ، أنك تشرفني يا سيدي بهذه المساعدة

وعند ذلك عرفه بمن كان معه من القضاة

و بعد أن تم التعارف قال جاك في نفسه لا شك أن الابالسة من انصاري فانى سأقف على تقرير البوليس وأعلم كل مايقولون. ثم أخذ يد الارملة وقال تشجعى . فأشارت بيدها الى الغرفة التى وضعت فيها جثة ولدها اذ لم تكن تستطيع الكلام ففتح جاك بيده ذلك الباب ودخل مع الجميع الى الغرفة فدنا من السرير وكشف عنـه الغطاء فصاح الجميع صيحة ذعر لهول مارأوا وكان أشدهم تأثراً بالظاهر ذلك الطبيب السفاك فجعل يتأوه على ذلك الفتى القتيل كأنما ليست هى يده التي أنتزعت دماءه وشوهت جسمه هذا التشويه الفظيع

أما تلك الوالدة الشقية فقد سترت وجهها بيديها كي لا ترى فاجلسوها على كرسى بعيدة عن السرير ووقف النائب العام ورئيس البوليس عند مقدم السرير وجعل الطبيبان يفحصان الجثة ، وفيما هما يفحصانها بدرت من طبيب البوليس بادرة اندهال فقال له النائب العام ، ماذا رأيت ؟

قال ، رأيت أن هذا الفتى المنكود قد مات قتيلا وان قاتله هو نفس ذلك الوحش المفترس الذي قتل الكتبي فوفيال وفيرجيني وأميدي

فجعل كل من الحاضرين ينظر الى الاخر نظرات يصعب وصفها واضطرب

جاك اضطراباً شديداً ولكنه حاول ان يتكلم اخفاء لاضطرابه فقال ، لا أدري على أي دليل اعتمد زميلي الفاضل فى اثبات الجناية ، ولكني أرى امراً غريبا وهو ان هذه الجراح الهائلة التي أصيب بها رينيه حين مرور القطار عليه لم ينزف منها نقطة دم وذلك من الغرائب الخفية

فقال له الطبيب ، لا أنكر ان ذلك من الغرائب ولكنه ليس من الامور التي يصعب حلها وهذا القتيل الثالث منذ عشرة أيام ولا ريب عندى أن قاتل الثلاثه واحد وهو يقتل بطريقة واحدة هى استنزاف الدم ، ثم لا ريب عندي ان هذا القاتل من حذاق أهل الجراحة

فاجابه جاك ، لقد اصبت فان عدم سيل الدماء من الجراح لا يؤول غير هذا التأويل ولكن ذلك امر شديد يلقى الرعب في قلوب الباريسين

فقال له رئيس البوليس ، كلا يا سيدي الطبيب ، بل في قلوب بعض العائلات

— ماذا تعني يا سيدي بهذا التخصيص؟

— اعنى ان القاتل أو القتلة لهم مأرب خاص فى ما يرتكبونه من الجنايات ، ثم التفت الى قومسير شوازى لاروا وقال له ، أوجدتم في جيوب القتيل غير رقعة الزيارة التي أرشدتكم الى عنوانه ؟

قال ، كلا يا سيدي

فقال جاك ، اذن لم يكن الغرض من هذا القتل غير السرقة لانى اعلم ان مدام لابار أعطت ولدها قبل سفره مالا نقدا وحوالة على المسجل في تورس بمبلغ كبير يدفع حين الاطلاع

فقالت الارملة ، نعم فقد كان الدكتور تومسون حاضرا حين أعطيت ولدى المال والحوالة المذكورة فاذا كانوا قتلوا ولدى من اجل هذه الحوالة فقد ضل سعيهم فان المسجل لا يدفعها الا اليه فمروا يا سيدي بالقبض على كل من يذهب الى المسجل بهذه الحوالة

فقال النائب العام، سنرسل تلغرافاً الى تورس بهذا الشان ، ولكني ارجوك يا سيدتى ان تأذنى لي بسؤالك بعض الاسئلة

— تفضل يا سيدى وسل ماتشاء

— هل صحبت ولدك الى المحطة ساعة سفره ؟

— نعم

— هل اشترى تذكرة السفر امامك؟

— نعم ولم أفارقه الا عند باب قاعة أنتظار المسافرين

— في اية ساعة كان موعد سفر هذا القطار؟

— في الساعة الثامنة والدقيقة ٥٤

فقال رئيس البوليس، لقد زاد الامر اشكالاوغموضا

وقال جاك ، دون شك فان مثل هذه الجريمة لا ترتكب الا بعد التمعن والتأهب ولا يعقل ان تكون دماؤة قد استنزفت في مركبة القطار

فقال النائب ، لقد صدقت فاني أرى في ذلك سراً غريبا ولاأخجل باعترافي انى رعبت لهذه الحوادث الجسام وأنى عاجز عن حل معمياتها

فقال جاك ، ولكني سمعت حضرة رئيس البوليس يقول ان الغاية من هذه الجنايات واحدةوأن ويلاتها تصيب عائلات خاصة

فقال رئيس البوليس ، نعم لقدقلت هذا القول وهو معتقدى وسأسأل مدام لابار اسئلةوأناعلى اليقين ان جوابها يرجح أعتقادى . ثم التفت الى الارملة وقال لها ، ألم يخلق ولدك يا سيدتى سنة ١٨٦٠ في ١٠ مارس ؟

— نعم

— ألم يولد في القسم السادس من باريس في يوم ولادة ابنة السكونت دي بونوريووكان واحداً من الابناء الذين ولدوا في ذلك اليوم وخصهم السكونت بثروه يقبضونهاحين بلوغهم سن الرشد

— كل ماتقوله أكيد يا سيدى

— أن الكونت اعطاه مدالية يوم ولادته كما اعطى سواه من اولئك الابناء يقدمها للمسجل يوم بلوغه الرشدو يقبض المال ، فهل كان يحمل هذه المدالية ؟

— نعم فانه كان يعلقها بسلسلة في عنقه فلا تفارقه لحظة

— هل كانت معه يوم سفره ؟

— دون شك

فالتفت النائب الى القومسير وقال له ، الم تجدوا معه هذه المداليه ؟ قال ، كلا

فقال رئيس البوليس ، كل ذلك يؤيد معتقدي فان ورثاء الكونت دى تو نوريو يصابون الواحد تلو الآخر ، ونعم ان الكتبي وفيرجيني لم يكونا من ورثاء الكونت غير أن فيرجيني كانت تلبس مدالية خطيبها اميدى

فقال جاك ، اذا كان ذلك فقد سهل عليكم معرفة المجرمين

— كيف ذلك ؟

— ذلك أن تبحثوا عن الذين يستفيدون من هذه الجرائم فهل عرف الكونت دي تونوريو بأمرها

— انه مات

— ولكنه قد ترك وصية دون شك يعين فيها ورثاءه

— ان الوصية سرقت

— أذن لم يبق شك في ان سارق الوصية هو القاتل

— أن المتهم بسرقة الوصية سجين

— من هو هذا الرجل ، و كيف اتهم ؟

— انه كان خادم غرفة الكونت تو نوريو وقد عهدت اليه حراسة الاختام يوم موت سيده ففضت الاختام وسرقت الوصية وثبت انه يستحيل أن يكون السارق من خارج المنزل ونحن نعتقد أن هذا الخادم سرق الوصية والمال ولكننا لا نعتقد أنه القاتل لانه سجين وفوق ذلك فاذا كانت الوصية عنده فاية فائدة له من الحصول على المدليات لان المال مخبوء كما يظهر وموضعه مكتوب فى الوصية دون شك

— لقد اصبت يا سيدي ولكني اذكر قولك منذ هنيهة أن أثنين من القتلى لم يكونا من ورثاء الكونت وذلك يدل أن القتلة لا يقتلون لغرض معين واذا كانوا ياخذون المداليات من اصحابها بعد قتلهم فلذلك الاخفاء لاثرهم فان اسماءهم مكتوبة فيها وعندي

انه لما كان هذا القتل حادثا بطرق علمية فلا سبيل الى الظن أن المراد به السرقة ولابد ان يكون للقتلة غرض آخر

— ما هذا الغرض ؟

— سأخبركم بما خطر لي ولكني اسألكم قبل ذلك اذا كانت هذه الجرائم كلها حدثت بطريقة واحدة واذا كانت دماؤهم قد استنزفت من موضع واحد

فاجابه الطبيب ، نعم ثم دله على المكان الذي استنزفت منه دماء رينيه

ففحص جاك ذلك الموضع وقال ، ارى ان يدا ممرنة قد استنزفت هذه الدماء وذلك يؤيد اعتقادي

— ما هو اعتقادك ؟

—اعتقد ان القتلة ليسوا من اللصوص بل هم اولئك العلماء الذين ذهب العلم بعقلهم فجعلوا يقتلون بغية المباحث العلمية ويوجد في لندرا عصابة من هذا النوع وقد قبضوا حديثا في امريكا حين كنت فيها على عصابة من اولئك الاطباء الذين لم يكتفوا بتجاربهم بالارانب فجعلوا يمتحنونها في الانسان

— ولكن هذا عمل وحشي هائل

— وهذا الذي اعتقده ثم انى اسالكم سؤالا آخر وهو هل كانت تبدو على الجثة اثار المقاومة والعنف

— كلا

— وهذا برهان اخر فان القاتل لا بد ان يكون نوم من يريد قتله بالبنج ثم فصده ويوجد آلة خاصة لمثل هذا التبنيج الخفى لا توجد الا عند علماء الاطباء فابحثوا عن غريمكم بين هذه الطائفة وانا لا احول اعتقادي

فأجابه جاك ، انى اعاهدكم على الكتمان وعسى ان توفقوا الى كشف الحقيقة والقبض على القاتل تعزية لهذه الارملة والام الثاكله ، والان فهل يجب ان ننتظر كثيرا لدفن الجثة؟

— كلا فاني سأصرح لكم الان بالدفن

فقال له رئيس البوليس ، اني أوصيك بالكتمان يا سيدي

وقد اثر كلام جاك على النائب ورئيس البوليس تاثيرا عظيما وغير اعتقادهما بالقتله فان رئيس البوليس حين عاد الى ادارته دعا اليه ريموند واخبره بما ارتآه الدكتور تومسون وامره ان يبدأ البحث في محطة شوازي لاروا حيث وجدت الجثة على الخط، فامتثل ريموند وانصرف

ولنعد الان الى كوربتيل حيث تركنا فابيان يباغت صديقه بول وهو في قارب الصيد وقد عاد واياه الى المنزل

وقد رأى فابيان ما طرأ على صديقه من التغيير ولكنه لم يحاول اكتشاف سره وكتم كلاهما سره عن رفيقه وهما لا يعلمان انهما هائمان بامرأة واحدة

وقد سهرا تلك الليله في الحديقة تحت الاشجار واتفقا على نزهة الغد في الضواحي فصرفا اليوم التالي في صيد الطير واليوم الثالث في صيد السمك وفي صباح الاثنين افتكر فابيان بحفله الدكتور تومسون وانه سيرى فيها اميلي فاستأذن صديقه بول وعاد الى باريس

اما بول فقد كانت تبدو عليه علائم القلق والحيرة وبالرغم عن ارتياحه العظيم لما علمه من الصياد عن اميلي

ويذكر القراء ان الدكتور تومسون كان قد ارسل الى ريموند وولده دعوة لحضور حفلته وان بول ابى على ابيه حضور هذه الحفلة قطعياً على ان بول رجع عن عزمه بعد ما عرف ان اميلي مقيمة في منزل صاحب تلك الدعوة وعول على ان يحضر الحفله طمعا بلقاء من يحب ولكنه خشي اعتراض الخادمة اذ كانت عنده بمنزلة امه فرأى ان يذهب خلسة فلا يخبرها ولا تراه

وبعد العشاء قال لها انه في حاجة الى الراحة بعد ما لقيه من عناء الصيد ثم دخل الى غرفته مدعيا انه يريد النوم ودخلت العجوز الى مخدعها فنامت

وعند ذلك غافلها بول وخرج من المنزل فذهب توا الى المحطة فركب القطار الى باريس فبلغها في الساعة التاسعة ثم ركب مركبة وانطلق بها الى المنزل كي يلبس الملابس اللائقة بمثل هذه الحفلة

اما والده ريموند فانه بعد ان تعشى في الفندق عاد الى منزله واخذ يكتب تلك العريضة التي تعهدت الكونتس دي شالوان تقدمها الى وزير الحقانية

وكان قد كتب مسودتها فاخذ في تبييضها وكتب على جانب ورقة خاصة بالعرائض ما يأتي

ريموند فورمنتال

محكوم عليه بتهمة سرقة وقتل بالسجن عشرين عاما في ٢٥ مارس سنة ١٨٦٤ وقد عفي عنه بشروط في ١٥ اغسطس سنة ١٨٦٩ وادخل في سلك البوليس السري في اول سبتمبر من ذلك العام

ثم كتب في رأس الورقة ما يأتي

سعادة ناظر الحقانيه

حكم علي منذ ١٥ عاما بالسجن ٢٠ عاما لاتهامي بجريمة القتل والسرقة وسجنت في سجن كايرغو فاشتهرت فيه بحسن السلوك

وقد اتفق لي اني اكتشفت مكيدة دبرها بعض الاشقياء وفضحت امرهم وقبضت على اثنين منهم بعد ان خاطرت بحياتي فعفت الحكومة عني مكافأة لي ولكنها اشترطت علي في سبيل هذا العفو ان اخدمها بقية المدة المحكوم علي بها فقبلت تلك الحرية المقيدة بالامتنان لانها مهدت لي سبيل العيش مع ولدي الذي عاش في ظل بعض اهل الخير دون ان يعلم شيئا عن ماضي أبيه

وانا الآن اخدم البوليس منذ عشرة اعوام وقد عرضت حياتي لخطر الموت في كثير من المواقف فما كنت اكترث لهذه المشاق غير ان ولدي قد كبر اليوم فبات رجلا وهو يحبني ويحترمني فماذا عسى يصيبني لو علم من امري ذلك الماضي الذي اخشى ان يكشف النقاب عنه على فرط مبالغتي بكتمانه

ان كلمة واحدة تكفي لافتضاحي عنده فترفق يا سيدي باخلص خدمك واشفق علي

ان الأمر لو كان منوطا بي لما فهت بكلمة ولا التمست عفوا اخر ولكني أب وأنا

اشفاق على ولدي الوحيد لا سيما وهو عليل ولا بد لي من ملازمته كي أصد عنه غارة الموت ولذلك التمس منكم حياته كما التمسها من الله

أنه اذا كانت الاعوام الماضية لم تكن كافية للعفو عني على اظهر لكم من خضوعي وحسن خلوصي فانا التمس هذا العفو من مراحم القضاء بل من مراحمكم وقلبكم الابوي

ان ذلك العفو يا سيدي لا يكون عني بل عن ولدي ذلك الغلام البرىء فأني ان ابتعدت عنه قضي عليه بالموت ولم يجن ذنبا يستحق عليه هذا العقاب

كلمة منك يا سيدي ترد اليه الحياة فاذا عفوت عني لازمته واذا لازمته دفعت عنه الموت

فهل تمن بهذه الكلمة ؟

اني منتظر وأرجو فتفضل يا سيدي بقبول اصدق عواطف الاحترام

من أصدق خدمكم ريموند فورمنتال

وأتم تبييض هذه العريضة ثم جعل يقرأها و يعيد النظر فيها

اما ولده بول فقد كان في هذا الحين قادما بمركبة الى منزل أبيه حتى اذا وصل اليه فتح الباب الخارجي ودخل فنظر عرضا الى نوافذ المنزل فرأى نورا ينبعث من غرفة أبيه فاضطرب وقال ، ماهذا النور في غرفة ابي وهو مسافر ، العل اللصوص قد دخلوا الى المنزل ؟

وعند ذلك حاول أن يعود فيدعوا البواب ورجع خطوة الى الوراء ولكنه توقف فجاءة وقد ذكر امراً هائلا وهو ماقاله الفتى الصياد حين رأى صورة ابيه من ان صاحب هذه الصورة من الجواسيس

وعند ذلك خطر له كل ماكان يراه من ابيه غامضا ولا يستطيع تأويله مثل أسفاره الفجائية الداعة وأمتناعه عن أن يصحبه في تلك الاسفار فقال في نفسه ايمكن أن يكون الصياد مصيبا في ماقاله والا فما بال أبي لم يقم معي في كريتيل واذا كان قد جاء حديثا من السفر فلماذا لم يأت الي فيراني اذن لا بد أن يكون سر هائل يجب أن أعرفه

ثم تقدم وصعد السلم ببطىء وبملء الحذر ففتح باب غرفته وهي مستقلة ودنا من

نافذتها المشرفة على غرفة أبيه التى ينام فيها وأزاح ستائرها وجعل ينظر فرأى النور ينبعث من خلال النافذة فقال ماعساه يصنع أبي الان

وعند ذلك سمع قرع الباب الخارجي فاصغى وبعد هنيهة سمع أن الباب فتح وأغلق ثم رأى من نافذته رجلا يصعد السلم ذاهبا الى أبيه فقال بول في نفسه، من عسى يكون هذا الزائر؟

وبعد حين أنطفأ النور وسمع بول وقع أقدام مزدوجة فعلم أن أباه قد خرج مع الزائر فصبر الى أن خرجا وسمع صوت اقفال الباب الخارجي فدخل الى غرفة أبيه دخول السارق فانار المصباح ونظر الى المائدة التي كان جالسا ابوه عليها يكتب العريضة فرأى مسودة العريضة وقرأ هذه الجملة التي افتتحت بها وهى

— ريموند فورمنتال . محكوم عليه بتهمة سرقة وقتل بالسجن عشرين عاماً فى ٢٥ مارس سنة ١٨٦٤ وقد عفي عنه بشروط فى ١٥ أغسطس » سنة ١٨٦٩ وأدخل في سلك البوليس السري في أول سبتمبر من ذلك العام »

فصاح بول صيحة منكرة وسقط واهى القوى على الكرسي ولبث هنيهة وهو لايعي لفرط تأثره ، ثم جعل ينظر الى هذه العريضة السوداء ويقول هذه الكلمات المتقطعة . .

اذن كل ماقيل لي اكيد . ان ابي سارق قاتل سفاك محكوم عليه وقد عفى عنه بشرط أن يكون من جواسيس البوليس .انها حقيقة هائلة لا ريب فيها قد كتبت بخط يده فياليتني لم اخلق ويالينى مت قبلما اقرأ هذه السطور . وأى ذنب جنيته في هذا الوجود فاعاقب به هذا العقاب الهائل . .

ايكون هذا الرجل الذي اعبده وأحترمه لصا سفاكا جاسوساً ثم يكون ابى . . أانفق على علمى من ماله ويكون هذا المال من الجاسوسية، فلا كان العلم ولا كانت الحياة . ثم اتكون تلك اليد التى اصافحها بالاحترام منغمسة بدم الجرائم، رباه ان ذلك لا يطاق

وعند ذلك عاد الى المائدة وقد أمتلاء قلبه يأسا فجعل يقرأ تلك العريضة وملامح وجهه تتغير من حين الى حين وهو ضائع الرشد لا يعي شيئاً من يأسه حتى أن الباب الخارجى فتح وأقفل فلم يسمع صوته ولم يسمع وقع أقدام في الغرفة المجاورة ولم ير

رجلا دخل الى الغرفة التي كان فيها وقد صعق حين رآه يقرأ العريضة واتكأ على الجدار خوفا من السقوط

اما هذا الرجل فقد كان أباه ريموند فجعل ينظر الى ولده نظرات تعرب عن يأسه بعد تيقنه من أفتضاح امره

واما بول فانه لم يره لانشغاله بهذه العريضة حتى اذا أتم تلاوتها وضع رأسه بين يديه وجعل يتمتم قائلا بلهجة القانطين .

أنه يريد الحياة لاجلى . . انه يطلب العفو كي احيى . . واية فائدة بقيت لى من الحياة وهى ملطخة بالعار ، واذا كان سفاكا فما باله لا يقتلني . ان موتى خير من حياة اذكر فيها كل يوم ذنوب ابى

وعند ذلك لم يطق ريموند الصبر فتنهد تنهدا كاد ينشق به صدره وركع أمام ولده وقال ، العفو العفو يابني

فتراجع بول مذعرا وقال ، من أرى أهذا أنت يا ابى . . هلم وقل لي انى حالم وان هذا اللص القاتل هو سواك وأنى كنت منخدعا فيما قرأته

قال ، كلا يا بني فهذا اسمى الذي قرأته

— أسمك ؟

— نعم بل أسمى واسمك

— ولكن هذه الجرائم المكتوبة في العريضة مكذوبة لاصحة لها

— بل هى حقيقة لاريب فيها

— أذن اقتلنى يا ابي دون رحمة فان في موتى كل الرحمة . اقتلنى فانى لا اريد أن أعيش

— أنك ستصغي الي يا بنى قبل ذلك إذ أن المتهمين حق الدفاع ومتى سمعت دفاع أبيك فلك الخيار بين الموت والحياة

وكان ريموند يتكلم بلهجة خطيرة ولم يكن بول قد فقد عادة احترامه لابيه فاطرق برأسه الى الارض وبدأ ريموند حديثه فقال اصغ ، الي يابنى وثق بحديثى فاني لا أعرف الكذب

اني كنت منذ عشرين عاماً مديراً لاراضي الكونت دي شاتلو ولم يكن لي شيء من الثروة غير اني كنت أحسب نفسي سعيد لان الله انعم علي بأمرة جميلة صالحة وكانت تحبني وأحبها حبا شديداً وقد بارك الله زواجنا وانعم علينا بمولود فكان هذا المولود انت

وكان يوجد بالقرب من منزلنا منزل صبي اشاب من أغنياء البار يسيين وهو رجل سافل الاخلاق ناقص المروءة شديد الاعتزاز بماله فرأى يوماً أمك فأعجبه جمالها وحسب انه يشرفها بحبه لما بينهما من تباين في المقام فلم يوقفه نفور أمك منه عند حده بل زاد في تهوره حتى صار يتعرض لها في كل سبيل

ففي ذات ليلة كانت امك وحدها في المنزل فحسب الخاسر انها فرصة تغتنم وتجاسر على الدخول الى المنزل وبذر امامها كثيرا من الاوراق المالية بغية اغوائها

فامتقع لون بول وقال ، تبا له من شقي لئيم

قال ، على انه لما رأى أمك ابت هذه الهبات باحتقار وايقن انها طاهرة لا سبيل الى اغرائها حاول استعمال القوة والاكراه

وفي هذه الساعة كنت عائدا الى المنزل فسمعت استغاثة امرأتي المحبوبة فركضت مسرعا وانا هائج هياج اللبوة فقدت أشبالها وبيدي مسدسي فلم اسمع غير صوت قلبي وانقضضت على هذا الوحش المفترس الذي أراد تدنيس عرضي فالهبت دماغه بالرصاص

فقال له بول لقد احسنت يا ابي لقتلك هذا الشقي وفعلت ما ينبغي

— دون شك وكنت معذورا لدى القضاء ولكن العدالة ليست من لوازم القضاة كما يظهر فقد كانت عائلة هذا الفتى الذي قتلته من اهل النفوذ والجاه وكرهت ان يوصم بما جناه ابنها فاتهمتني اني نصبت فخا للفتى واستعنت بجمال امرأتي على جذبه الى منزلي بغية قتله وسلبه

— ولكنها تهمة وحشية هائلة

— وقد اتهمت بها

— الم تدافع عن نفسك

— لم ادع سبيلا من سبيل الدفاع الا سلكته واستشهدت بماضي حياتي وتولاني

بحمايته الكونت دي تونور يو والكونت والكونتس دي شاتلو فلم يفد ذلك شيئا وتمسك القضاء بهذه الحجة وهى ان جثة الفتى واوراقه الماليه وجدت عندي وفي ذلك دليل ظاهر على ثبوت تهمة القتل والسرقة فحكموا علي كما يحكمون على القاتل والسارق بالسجن عشرين عاما وكنت في عيون الناس لصا سفاكا

ولقد وددت لو حكم علي يومئذ بالاعدام غير انى طمعت بالحياة من اجلك ومن اجل امك فحملونى الى السجن ومن ذلك الحين اظللتك واظلت امك بحمايتها الكونتس دي شاتلو

اما امك فقد قتلها الحزن بعد شهر وبقيت انت يتيما وحيدا عند الكونتس

مضى على ذلك خمسة اعوام فرأى عمال السجن من سلوكي ما لم يروه من المجرمين وكان الكونت والكونتس لا ينقطعان عن التماس العفو لي ثم اتفق اني اكتشفت مؤامرة فعفي عنى ولكن على شرط ان اخدم البوليس السري بقية المدة المحكوم علي بها اي خمسة عشر عاما فرضيت هذا العفو شاكرا وانما رضيته على قصد ان اراك واتولاك بعنايتي وقد مضى علي في هذه الخدمة الشاقة عشرة اعوام كنت في خلالها احذر كل الحذر من ان يتصل بك شيء من ماضي حكايتي المحزنة

ولهذا طلبت فى عريضة اعفائى من السنين الخمس الباقية كى الازمك لما رأيته من انحطاط صحتك ولاشفاقى من ان تتصل بك حكايتي الماضية على غير حقيقتها فتعجل فى اتلاف صحتك

والان عرفت اتفاقا ماضي امري و بسطت لك حكايتي بالتفصيل وعلمت نكبتي التي عدها الناس جريمة فهل تخجل من جريمة ابيك بعد ان عرفت السبب فى ارتكابه جريمة القتل وهلا تزال تريد الموت ؟

فركع بول امام ابيه وقال له بصوت يتهدج ، بل انا اسألك العفو يا أبي عما بدا مني واذا لم تعف عنى عدت الى حب الموت

فانهضه ريموند وكان بين الاب والابن ساعة حنو ذرفت فيها الدموع من العيون وبعد ان فرغ الاب من تقبيل ولده قال له ، اذن انت لاتزال تحبني وتحترمنى ؟

— كيف لا أحبك يا أبي وكيف لا احترمك وانا اكاد اجن يأسا لتجاسري على الشك بك اما وقد عرفت حقيقة امرك فاني اذكر بالاشفاق ما تكابده من الهموم والمشاق

— الحق اني تعذبت كثيرا يابني ولكني اقسم لك ان عذابي قد انتهى منذ الان

— كيف انتهى ؟

— لانك علمت هذا السر الهائل الذي كنت اخشى ان تعلمه على غير حقيقته اما وقد علمت حقيقة هذا السر و بقيت على حبي فلم يعد لدي ما اخشاه وسأذهب غدا فأقدم العريضة حتى اذا عفي عنى واطلق سراحي برحت واياك باريس وعشنا عيش السعداء

— الى من تقدم العريضة يا ابي ؟

— الى الكونتس دي شاتلو وهى نفسها تقدمها الى الوزير

— اتأذن لي بالذهاب معك ؟

— لماذا ؟

— كى ارجو انا ايضا والدة صديقى فابيان فتستعمل كل ما لديها من النفوذ في سبيل الافراج عنك

— اشكرك يا بنى ولكن يجب ان تجهل الكونتس الان انك عرفت ماضي امري فذلك اوفق والان اجبنى

— سل ما تشاء

— كيف اتفق انك برحت كريتيل وأتيت الى باريس هذه الليله

فاتقدت عينا بول واحمرت وجنتاه واذكره سؤال ابيه ماكان قد نسيه من امر حبيبته فقال له وهو يتلعثم ، اني اتيت للبحث عن كتاب الدعوة الذى ارسله الينا الدكتور تومسون

— وماذا تريد من هذا الكتاب ؟

— أريد أن اقدمه حين حضوري الحفلة

— كيف ذلك وأنت قد أبيت حضورها كل الاباء منذ بضعة أيام ؟

— هو ذاك

— اذن ما هذا الانقلاب الفجائي؟

— ذلك اني عرفت اليوم ما كنت اجهله منذ ثلاثة أيام

— ماذا عرفت ؟

— عرفت اني سألاقي عند الدكتور تومسون في الحفلة تلك الفتاة التي أحبها

— كيف عرفت ذلك ؟

— بالاتفاق وسأراها الليلة فاعلم اذا كانت مطلقة الفؤاد واذا كانت تأذن لي أن أحبها

— أتسألها هذه الاسئلة ؟

— كلا بل اسأل الدكتور وهو يجيبني

— أوضح ما تقول فاني لم أفهم بعد

— كلمة واحدة تكفي للايضاح فان الفتاة ربيبة الدكتور تومسون

فاصفر وجه ريموند وقال، ربيبته ؟

— نعم يا ابي واني احسبني سعيداً بهذا الاتفاق لما رأيته من عطف الطبيب على ألم يقسم لك انه سيشفي جسدي على أن تشفي نفسي وقد عرفت الدكتور ان حياتي متعلقة بغرامي فهو لا يرضى أن اموت

فنظر ريموند الى ولده نظرة شفت عن الرعب وقال له ، هي ربيبة الدكتور ؟

— ولكن ما هذا الرعب الذي أراه باديًا عليك في حين انه يجب ان تسر لهذا النبأ فما يحملك الآن على هذا الرعب ؟

فتأوه ريموند وقال ، مسكين أنت يابني الم تفهم بعد ؟

— وماذا تريد أن افهم ؟

— انك في حلم وان تحقيق امانيك محال وان العقبة الحائلة بينك وبين قصدك لا تغلب

— بل اني أحسب نفسي حالماً بسماع هذا الحديث منك فما هي هذه العقبة ؟

— انك اذا كنت لا ترى هذه العقبة فذلك لأن الحب اعمى بصيرتك وكيف

يرضى من كان في منزلة هذا الدكتور ان يزوجك من بنته أو ربيبته وأنت لا منزلة لك وقد عرفت منزلة أبيك فمن يزوج بنته من ابن رجل حكم عليه بجريمة السرقة والقتل؟

— رحماك يا أبي اشفق علي بالله ولا تقل لي مثل هذه الاقوال

— اني أقول الحقيقة يابني واني حين وعدتك أن اطوف الارض باحثاً عمن تحب كنت في حالة من الاشفاق عليك انستني مركزي في عيون الناس بل كنت قانطاً من شفائك وكنت أحسب ان هذا الحب الذي علقت به عرض يزول أثره من فكرك ومن قلبك تباعاً ولكني أرى اليوم ان جذوة هذا الحب قد زادت اشتعالا بدلا من أن تخمد وقد أسقط في يدي فلا أدري ماذا أصنع

— خفف روعك يا أبي ولا تكن من القانطين فلم نر الى الآن ما يثبت ان هذا الداء لا دواء له وأنا ايضاً حسبت هنيهة انك من المجرمين حين قرأت ذلك في عريضتك ولكني حين وقفت على أسرار ماضيك أيقنت انك بريء فاذا حبتني اميلي كما أحبها اخبرتها بحقيقة أمرك كما اخبرتني به أنت وأنت تخبر الدكتور بانكبت به فتتضح لها حقيقة أمرك ويعلمان يقيناً انك شهيد خطاء القضاء كما علمت انا

— انك تثق بصدق ما أخبرك به لانك ولدي

— وأنا واثق ان اميلي تثق بكلامي كما اثق انا بكلامك وأما الدكتور تومسون فهو يحترمك ويجلك وسنستعين عليه بالكونتس فلا يبقى مجال عنده للريب فلا تيأس يا أبي اني أحب ان أرى اميلي وسأحدثها واقف منها على الحقيقة النهائية وان التسويف في ذلك يقتلني دون شك فاعطني يا ابي كتاب الدعوة واسمح لي ان احضر حفلة الدكتور

— اتلح في ذلك ؟

— بل التمس واتوسل فان الساعة قد بلغت الآن الحادية عشرة ونصفاً وسأكون في منزل الدكتور عند انتصاف الليل وفي صباح غد اخبرك بما كان

فأخذ ريموند كتاب الدعوة من درج فدفعه الى ولده وقال له ، سر يابني على بركات الله والله اسأل ان يوفق مساعيك

فأخذ بول الكتاب بعد أن عانق اباه وذهب الى غرفته فلبس ملابس تليق بحضور

مثل هذه الحفلة ثم عاد الى أبيه فعانقه ايضاً وقال له ، لا تقنط يا ابي فان قلبي يحدثني ان المستقبل لنا

فلم يجبه أبوه بحرف بل اطرق برأسه وذهب بول فاستأجر مركبة وأمر سائقها ان يسير به الى شارع مور منسيل

***

كان جاك لاجار أو الدكتور تومسون يستقبل ضيوفه بملء البشاشة والبشر وقد سحرهم بظرفه وآدابه

وكان من جملة القادمين الكونتس دي شاتلو وولدها فابيان فاحسن الدكتور استقبالهما وبالغ في اكرامهما

فقالت له الكونتس ، اني قد وفيت بوعدي وحضرت حفلتك ولكنك لم تف بوعدك بعد

قال ، أي وعد ياسيدتي؟

— وعدتني أن تعرفني بربيبتك

— انها كانت متوعكة المزاج يا سيدتي وهي لا تزال تلبس ملابسها وستحضر قريباً فانشرف بتقديمها لك

وعند ذلك وفد غيرهما من المدعوين فاستأذن جاك من الكونتس وذهب لاستقبالهم ثم التقى برفيقه باسكال وهو يطوف بين المدعوين فقال له ، اني لا أرى بول واباه فهل لا ينويان الحضور ؟

— لا أعلم ولكني واثق ان كتاب الدعوة قد وصل اليهما فاني كتبته بيدي ولم أرسله في البوسطة بل مع رسول سلمه الى بواب المنزل

— اكان الأب والابن في باريس ؟

— نعم

— الم تعلم أمراً جديداً عنهما ؟

— كلا فان أمر هذا الأب محاط بالاسرار ولكن لا يجب أن نكترث لذلك بشرط أن ننال المدالية

وهنا افترق الحليفان وذهب كل منهما يحدث فريقاً من المدعوين

وتأبطت الكونتس ذراع ولدها فابيان وجعلت تسير به بين جموع المدعوين فيرى فابيان من جمال العذارى ما يدهش العقول ولكنه لم ير من تشبه ربيبة الدكتور بجمالها الفضاح

وبعد حين بدأت الموسيقى فدخل خادم ودنا من الدكتور توسون فهمس في اذنه بعض كلمات فغادر جاك موقفه وعاد بعد هنيهة وهو يتأبط ذراع حورية البان وهي على أبدع ما رأته العيون من آيات الجمال وظهرت علائم الاعجاب على جميع الوجوه وخفق قلب بول خفوقاً شديداً فبات يضطرب كأجنحة الطائر

أما جاك فقد كان أشد غراماً بها لا سيما وقد رأى العيون أحدقت بها كالنطاق فكان ينظر اليها نظرة العاشق الغيور ويكاد يفترس بعينيه من ينظر اليها

ثم سار بها يخترق الجماهير الى أن وصل الى الكونتس دي شاتلو فقدم اميلى لها ثم عرفها بجميع المدعوين ولما تم التعارف بدأ الرقص فدنا فابيان من اميلى وقال لها ، اتأذنين لي يا سيدتي ان اراقصك ؟

قالت ، كنت أود يا سيدي بملء الرضى اذ يعز علي أن ارفض أول سؤال تسألني اياه ولكن ذلك محال

— ولماذا يا سيدتي ؟

— انظر الى ملابسي يا سيدي تعلم السبب فانها ملابس حداد على أمي وأنت ترى أن الرقص يستحيل علي في هذا الحال

فشق ذلك على فابيان اذ كان يرجو خلال الرقص أن يتنعم بمحادثتها وقد أدركت اميلى ذلك منه فقالت له ، ارجو يا سيدي أن تأذن لي بمراقبة الحفلة ثم أعود اليك فنتحدث ملياً لاني لم اشكرك بعد لما تكرمت به علي من المساعدة في حادثة المركبة

وأما جاك فانه اجتمع بانجل و باسكال فقال لانجل ، الم تراقبي فابيان ؟

قالت ، نعم

— وماذا رأيت ؟

— رأيت انه ينظر الي أميلى نظرات الهائمين وانه لا تمضي ساعة حتى يبوح لها بغرامه

فقال باسكال، وهذا الذي رأيته انا ايضاً

قال ، اذن لقد بات في قبضتنا فان اميلى ستصغي الى حديثه وتجامله كما اوصيتها ومتى رأى فابيان هذه المجاملة منها يطمع بأن تحبه وهذا كل ما نرجوه غير انى أرى انه يجب على انجل أن تحتال عليه كي تحمله على الثقة بهاوتصبح كاتمة أسرار غرامه

فضحكت انجل وقالت ، ان ذلك سهل ميسور مع العشاق

قال ، اذن ابدأي منذ الليلة وأنت يا باسكال يجب ان تراقب كل شيء

قال ، كن مطمئن البال فسأكون خير رقيب والآن قل لي متى يجب أن افتح قاعة الطعام

قال ، عند منتصف الليل واذا لم اكن موجوداً في القاعة حين يحضر ريمond وابنه فاستقبلهما بالنيابة عني واسرع الى اخباري

ثم تفرق الثلاثة الاشقياء فبحثت انجل عن فابيان حتى رأته فمرت بقربه وهي تتظاهر أنها لم تره

أما فابيان فانه رآها فأسرع اليها فقال لها ، اسألك العفو يا سيدتي لتأخرى عن تقديم احترامي لك الى الان فليس الذنب ذنبي بل هو ذنب كثرة المدعوين فقد بحثت عنك فلم أجدك

قالت ، وانا يسؤني يا سيدى الكونت اني لم أرك من قبل فانى كنت اريد اغتنام هذه الفرصة لتجديد شكري لك عن تلك الحادثة التي تفضلت بمساعدتنا فيها فقد كان خوفنا شديداً

— لا سبيل الى لومك يا سيدتى على هذا الخوف فقدكان الخطر أكيداً

— هو ذاك فان اميلى عارفة بذلك الخطر وهي مدينة لك بالجميل ولا تنقطع عن محادثتي عما اظهرته من البسالة والمجاملة

فسر فابيان سروراً لا يوصف وقال في نفسه ، لا شك اني من أسعد البشر فانى

اخطر في بالها وهذه ابنة عم الطبيب تؤكد لي هذا القول ثم قال لها ، يسرني جداً يا سيدتي أن تشرفاني بمثل هذا الحديث

— اننا لم نتحدث بغير حديثك منذ تلك الحادثة فان اميلى تعتقد انها مدينة لك بالحياة وقد فطرت على عرفان الجميل

— انك تبالغين كثيراً يا سيدتي

— كلا بل هي الحقيقة يا سيدي فمن يعلم ما كان يصيبها لو طال اغماءها دون أن تجد منك تلك المساعدة فلقد اتفق كثيراً لبعض النساء ان يغمى عليهن فلا يستفقن الى الأبد اذا لم يتفق لهن من يساعدهن على الاستفاقة نعم انها طاهرة القلب وهي لا تنسى ما باتت مدينة لك به

— أتظنين انها تذكر ذلك ؟

— ان ذاكرتها كقلبها

— لا شك عندي في ذلك ولكن تقادم الايام يمحو كل أثر على انى لم أفعل الا ما وجب علي بل ما يفعله كل انسان سواي وقد تفضلت مدموازيل اميلى بشكري فوفت ذلك الدين

فابتسمت انجل ابتسامة معنوية فقال لها فابيان ، أتأذنين لي يا سيدتى ان اسألك سؤالا ؟

— سل عشرة اسئلة اذا شئت

— لماذا ابتسمت هذا الابتسام ؟

— لما سمعته منك

— لماذا ؟

فابتسمت انجل ايضاً وقالت ، لا تزد كلمة اذ لا فائدة من الزيادة فانك تعلم يقيناً ان اميلى لا تنسى كما برهنت لك نظراتها هذه الليلة

— نظراتها ؟

— نعم نظراتها الفاتنة ومن كان في سن العشرين لا يفوته معنى من معانى هذه النظرات على انى لو كنت واثقة بانك من أهل الكتمان لبحت لك بما تجهله

— بماذا تبوحين؟

— اقسم لي في البدء انك لا تبوح بحرف مما أقوله لك

— اقسم

— بماذا؟

— بشرفي

— ان هذا اليمين فوق الكفاية اذن فاعلم انك اثرت في مخيلة الصبية تأثيراً عظيما فهي لا تفتكر الا بك ولا تتحدث الا عنك و . .

ثم توقفت هنيهة عن اتمام الحديث فقال لها فابيان بلهجة المضطرب ، اتمي حديثك بالله

قالت ، وان من يؤثر على المخيلة يؤثر على القلب فاذا كانت لم تحبك بعد فهي ستحبك

فسكر فابيان بخمرة الرجاء وأخذ يد انجل بين يديه فشد عليها للدلالة على امتنانه وقال ، انك صيرتني من أهل السعادة يا سيدتي . . نعم انها تحبني ويجب أن تحبني فاني أعبدها

قالت ، أسكت فان الناس قد سمعونا وهم ينظرون الينا واعلم انه اذا حلم الدكتور بشيء من ذلك لا يقف باستيائه عند حد منا نحن الثلاثة

— نحن الثلاثة؟

— نعم وهم اميلي وأنت وانا

— ولماذا الاستياء؟

— اتريد اكراهي ايضاً على الاباحة لك بسر آخر اذن فاعلم ان الدكتور يكبر جمال ربيبته الذي يفتن الجماد

فارتعش فابيان وقال ، العله يهوى ربيبته؟

— انه لم يبح لي بغرامه ولكني واثقة من أنه يرجو يوما ان يكون زوجاً لربيبته

فاصفر وجه فابيان وقال ، لقد ارعبتني

— من اين فاجأك هذا الرعب؟

— من هذا الزواج الذي تقولين عنه

— انى لم اعتقد بامكان حدوثه

— كيف ذلك الا يمكن أن تحب اميلى هذا الرجل وهو اليها من المحسنين ؟

فضحكت انجل ضحكا عالياً فقال لها ، بالله لا تضحكي واجيبيني

قالت ، انى أجيبك فأقول لك مقدماً ان اميلى تحبك ولا ينفى ذلك انها تحب ابن عمي الدكتور ولكنها تحبه حب صداقة أما ما يرجوه من الزواج بها فهو ليس من الممكنات

— أتعلمين انى كنت موشكا ان اكشف له خفايا قلبي

— احذر يا سيدي الكونت أن تبوح له بحرف واكتم أمرك عن جميع الناس فقد عاهدتني على الكتمان

— اكتم عنها ايضاً ؟

— ان ذلك يكون من باب المبالغة فلا اشترطه عليك ولكني أرجو أن تكون حكيما فانى أحب اميلى بملء الحنو ولا أريد لك ولها غير الخير فاذا اتفق قلبك وقلبها كنتما خير زوجين فقد خلق كل منكما للآخرين على انى سأسهر عليكما وامنع عنكما كل خطر بشرط أن تتبع نصائحي ولا تحيد عنها في شيء فاكتم أمر غرامك عن جميع الناس ما خلا اميلى وانا اعلم انك اذا بحت لها بغرامك فقد لا تحمله على محمل الجد ولا تجيبك عليه بمثله فلا يزعجك هذا الحذر فانها تخاف الدكتور وتخشى أن تغضبه وكل ما اطلبه اليك أن تكون كتوماً وصبوراً فقد يتمنى لي اقناع ابن عمي أن من كان في سنه لا يجمل به الزواج بفتاة لم تبلغ بعد سن الرشد فيتنازل عن زواجها للكونت دي شاتلو اذا أراد الكونت دي شاتلو أن يشرف اميلى كرانشان بهذا الزواج

— ان هذا الزواج اقصى ما تطمع به نفسي

— اذن اعتمد علي واعلم انى حليفتك المخلصة ولكني أعيد عليك التوصية بالكتمان فاذا علم احد بما اتفقنا عليه افسدت علي امري ولم أعد أستطيع مساعدتك في شيء

— سأكتم السر يا سيدتى واعتمدي علي كل الاعتماد

فأجابته انجل بابتسامة وافترقت عنه وهي مسرورة لفوزها بهذا الدور الذي مثلته أمام هذا الفتى

أما فابيان فقد كاد يطير فؤاده سروراً بعد ما علم من ان اميلى تحبه أو انها على وشك أن تحبه فلم يخطر له الا أن يبحث عن تلك الحبيبة و يبوح لها بغرامه ويخبرها انه لم يختر غيرها من الحسان لمشاطرته الحياة

وما زال يبحث عنها حتى لقيها تتحدث مع امه فدنا منهما وحيي فقالت له اميلى، اني كنت انتظرك يا سيدي الكونت

قال ، لماذا يا سيدتي ؟

قالت ، لاظهر لك امتناني

فقالت لهما الكونتس ، تحدثا بما تشاآن يا ولدي فاني ذاهبة إلى محادثة احدى صديقاتي وسأعود اليكما

ثم تركتهما فقال فابيان لاميلى ؛ اتأذنين لي يا سيدتي ان اقدم لك ذراعي فنطوف في القاعات ونتحدث

فأجابته باسمه ، ليكن ما تشاء وسار الاثنان حتى انتهيا الى قاعة لم تكن مزدحمة بالناس فجلس كل منهما بازاء الآخر وبدأ فابيان الحديث فقال، انك لا تعلمين يا سيدتي مقدار سروري بتلك الصدفة التي وجدت فيها في الغابات حين اصطدام مركبتك وتمكنت من مساعدتك

قالت ، ولكن يخال لي يا سيدي انه يجب علي انا أن ابارك هذه الصدفة فانك بفضلها أتيت لمساعدتي

فأجابها بلهجة شفت عن اضطرابه ، انى أعد هذه الصدفة عناية من الله فهي التي قضت أن تكون حياً ، لك منذ أول نظرة فبات قلبي وروحي ملكا لك

فكانت اميلى تسمع هذا التصريح الجلي بملء السكينة اذ ذكرت وصية الدكتور حين قال لها ، « انك حسناء بل ان جمالك نادر فضاح يجذب القلوب اليك كما يجذب نور المصباح الفراشة فلا تعجبي اذا كثر العشاق من حولك ولا يذهلك كلامهم المتشابه بل اصغي الى احاديثهم بسكينة وابتسامة كما تصغين الى آلة موسيقية تصدح دائماً

بنغم واحد وجاوبيهم بكلام يحتمل التأويل فيأولونه كما يشاؤون فانك في ذلك لا تسيئين الى أحد ويكثر من حولك الاصدقاء »

فقالت في نفسها ، لقد اصاب الدكتور في ما كان يتوقعه من اولئك الشبان فان هذا الفتى أخذ يكاشفني بغرامه وهو لم يكد يعرفني فلا بد لي اذن من العمل بوصية الدكتور ولذلك لم تجب فابيان بل اطرقت مفكرة فقال لها فابيان ، اتأذنين لي ياسيدتى ان اسألك عماذا تفكرين ؟

قالت ، انى افتكر بما قلته لي

— الم تصدقى ما قلته ؟

— انى لم اكذب في حياتى فحكمي على الناس حكمي على نفسي وبعد فكيف اسيء اليك بعدم التصديق

— انك اولى بالعبادة من الحب يا سيدتى نعم ان حبي صادق طاهر شريف جدير بك فثقي به ودعيني ارجو أن تبادليني هذا الحب واذا كنت تريدين أن تكوني الكونتس دي شاتلو . . .

فاحمر وجه اميلي وأطرقت ايضاً تفكر

فقال فابيان بنفسه ، انها تحذر التصريح خوفاً من الدكتور كما قالت لي ابنة عمه ثم قال لها ، لماذا هذا السكوت يا سيدتى ولماذا لا تجيبيني ؟

قالت ، كيف استطيع أن أجيبك يا سيدي الكونت على هذا الامر الخطير بهذه السرعة فأنك قد تسرعت دون شك لان هذه المرة الثانية التي رأيتني فيها وكان اول ما أقترحته تقييد حياتى . . أنك تعرض علي ياسيدي تاج الكونتية وهو تاج جميل ولكن أقتراحك على حسنه لا بد فيه من التفكير ، على أننا سنلتقي ايضا دون شك وعند ذلك نتحدث بهذا الامر الخطير أما الليلة فانى أرى مباحثتنا في هذا الموضوع غير موافقة بين هذا الجمهور العظيم

فاستنتج فابيان من هذا الكلام المبهم أن الفتاة تحبه كما أكدت له انجل فقال لها ، ولكن اسمحي لي على الاقل أن ازورك فهل تسمحين لي ان اراك ؟

— دون شك

— وان اكثر التردد ؟

— ان زيارتك تسرني

— احق ماتقولين ؟

— لقد قلت لك انى لااعرف الكذب الملك نسيت ؟

فأخذ فابيان يدها فلثمها بحرارة وقال ، انى اعبدك وانك تعبدين

فاضطربت اميلي ورأت ان امرها بات حرجا فتكلفت الابتسام وقالت له ، اسمح لي ان افارقك الآن لقضاء بعض مهام عهد الي قضاءها في هذه الحفلة فانك انسيتني سائر المدعوين

ثم تركته وانصرفت فكان يشيعها بنظرات ملؤها الغرام

اما اميلي فانها خدمت أغراض الدكتور دون ان تعلم

واما انجل فقد كانت واقفة وراء ستار تصغي الى حديثهما دون ان يراها فلم يفتها كلمة من هذا الحديث واسرعت الى الدكتور تومسون فاخبرته بكل ماسمعته وقالت له ، لقد بات هذا الفتى مفتونا باميلي وله بى ملء الثقة فلو شئت ان ارسله الى الصين لما تأخر

فابتسم الدكتور وقال لها ، ان الصين بعيدة وسنرسله الى محل اقرب اي الى كريتيل.

وعند ذلك دخل بول فورمنتال فأسرع جاك الى استقباله فتكلف لهجة الحنو وقال له ، اهلا بك ياولدي العزيز فقد تأخرت حتى يأست من حضورك

قال ، يسوئني ياسيدي انى اضطورت الى هذا التأخير الذي لم يكن بد منه

— وانا يسرنى ان ارى دلائل العافية بادية في وجهك فان البريق قد عاد الى عينيك واوشك خداك ان يتوردا وفي كل ذلك مايدل على انك سائر في طريق العافية

— هذا الذي ارجوه يا سيدي وفي كل حال فاني مدين لك بشفائي

— ولكني اراك وحدك فاين ابوك الم يحضر معك ؟

— كلا فانه اضطر الى السفر

فقال جاك في نفسه ، ان ابتعاده عن ولده يوافق اغراضي ثم قال له ، انه سافر دون شك لاشغال

— كلا يا سيدي بل سافر للقيام بواجب وظيفته

— ما كنت اعلم قبل الان ان اباك موظف بل كنت احسبه مستقلا فما هي وظيفته ؟

— مفتش في وزارة المعارف على المكاتب العمومية وقد سافر للتفتيش

— اذن لقد كان سفره فجاءة ؟

— هو ذاك

— يسوئني اني لا اراه فاهنئه بشفائك السريع وهو قد اوصاك دون شك باستعمال علاجي

— لا حاجة الى ان يوصيني بذلك يا سيدي فان ثقتي بك لا تقف عند حد

— ولكن علاجي يشفي الجسد وانت في حاجة ايضا الى شفاء النفس فهل وجد العلاج ؟

— نعم

— من اوجده ؟

— الصدفة

— انك تتكلم بالالغاز يا بني

— ولكن حلها ميسور فاني كنت ابحث عن التي احبها وهي قريبة مني

— واين وجدتها . . عفوا فقد اكون تطرفت بسؤالك هذا السؤال ؟

— كلا يا سيدي الطبيب فاني اذا كتمت أمري عن جميع الناس فلا اكتمه عنك ولكني قبل ان ارجوك سماع اعترافي اريد ان اعلم اذا كانت تسمح لي التي احبها بان احبها وان اذكر اسمها

— لقد اصبت يابني فان جوابك يدل على صفات نادرة لسوء الحظ وفي كل حال فاني ارجو لك ما تستحقه من السعادة ثم قال له في نفسه ، ولكنها السعادة لن تنالها ايها المنكود فانك على حداثة سنك اصبحت اقرب الى الموت من الشيوخ اليه

وعند ذلك جعل بول يبحث بنظره بين جموع المدعوين ويقول في نفسه ، لا بد ان تكون في هذه الحفلة فانتبه جاك لاهتمامه وقال له ، عمن تبحث يا بني

— لا ابحث عن شخص معين ولكني انظر لارى اذا كان يوجد من اعرفه بين المدعوين .

- لا شك انك ستجد كثيرين ممن تعرفهم وسأفتتح المقصف فيتوافد اليه المدعوون وتراهم جميعهم غير اني اريد ان اقدمك قبل ذلك لربيبتي

فارتعش بول ارتعاشا تمكن من اخفائه وقال ، اني اعد نفسي سعيدا يا سيدي بهذا التعارف

وقد اتفق عند ذلك ان اميلي كانت خارجة من أحدى القاعات مع فتاة من المدعوات فرآها جاك وقال له ، هذه هي

فلما رأى بول حورية البان شعر كان الارض تميد به وبذل جهداً عنيفا كي يتمكن من ضبط نفسه فسار به جاك اليها وقال لها ، اسمحي لي يا ابنتي ان اقدم لك ابن احد اصدقائي الاخصاء وهو المسيو بول فورمنتال

فلما رأت اميلي ذلك الفتى الذي هامت به بعد أن يأست من لقائه اضطربت لهذه المباغتة فصاحت صيحة ضعيفة ووضعت يدها على قلبها وقد اوشكت ان تسقط لو لم يعنها جاك

وقد حاول بول ان يسرع اليها فيعينها ولكن الحكمة تغلبت على عواطفه ايضا فتوقف

واما جاك فقد داخله الشك في الحال وعضت قلبه الغيرة فقال لها ، ما بالك يا ابنتي فما هذه الصيحة وما هذا الاضطراب؟

فايقنت اليتيمة أن سرها سيفتضح اذا لم تتدارك الامر فتادركت بسرعة التصور موقفها الخطر فملكت نفسها وقالت وهي تبتسم ، لا اعلم ماذا اصابني فقد اصابني ما يشبه الدوار ولكن ذلك العارض قد انقضى تماما

فلم يجز كلامها على جاك وتغلب الشك عليه فقال في نفسه ، ماذا أرى العلها تخدعني بقولها لي انها لا تحب احداً ثم نظر فجاة الى بول نظرة الفاحص وكان بول يكاد يفترس حبيبته بالنظر ولكن اميلي كانت قد وضعت اصبعها على فمها اشارة الى تحذيره فلم ير جاك عليه شيئا مما يؤكد شكه

اما بول فانه قال لاميلي ، يسوءني جدا يا سيدتي ان يتفق لك حدوث مثل هذا العارض ساعة تشرفت بمعرفتك فانه سيبقى لك تذكاراً سيئا لهذه المعرفة

فابتسمت اميلي وأجابته قائلة، كلا يا سيدي فقد نسيت هذا العارض منذ الان فاهلا بك ومازلت صديق الدكتور تومسون المحسن الي فانت صديقي

وأما جاك فقد كان من طبعه سوء الظن وقد زاده حبها ريبا فجعل يراقب نظرات العاشقين عله يباغتهما بنظره تجعل شكه يقينا فلم يفلح حتى قال في نفسه اخيراً، انهما لا يعرف احدهما الآخر قبل الان فيستحيل ان يكون هو الذي تهواه على انهما قد يكونان متفقين على خداعي فاذا كان ذلك فالويل لهذا الفتى فسيكون نصيبه الموت

ثم اتقدت عيناه ببارق الانتقام فخفق قلب اميلي وعلمت مايخامر قلبه من الشك غير أنه لم يلبث ان عاد الى ما كان عليه من السكينة فنظر اليهما بعطف وحنان وقال لهما وهو يتبسم، تحدثا يا بني ووطدا بينكما الصداقة فانكما ستكونان صديقين فان والد المسيو بول من اصدقائي وسيكثر ترددهما على منزلي فليكن حديثكما دون كلفة وليتعود كل منكما عشرة الآخر أما أنا فاني سادعكما الان للاهتمام بضيوفي ثم تركهما وانصرف

فحارت اميلي في أمرها لانها رأت من بريق عينيه ما يدل على الشك الظاهر ورأت من سكينته بعد ذلك ما يدل على انخداعه ولكن بول لم يدع لها وقتا للتفكير فقال لها، اتأذنين لي يا سيدتي بالتجول معك في القاعات فان اعجابي بهذه الحفلة يزيد اذا كنت معي

فتأبطت اميلي ذراعه وهي ترتعش واختلطت واياه بجماهير المدعوين فكان جاك يراقبهما من بعيد و يقول في نفسه، يجب أن يموت واذا قتلته بعد الان فلا اكون سفاكا بل منتقما وفي ذلك عذر يخفف وطأة الجريمة

وكان العاشقان يتجولان بين الحضور وقد لزما السكوت فلم يجسر احدهما ان يكلم الآخر الى أن بدأ بول الحديث فقال، لو تعلمين يا سيدتي مايجول في قلبي لاشفقت علي وسمعت حديثي

— فالتفتت اميلي الى الوراء قبل ان تجيبه فلم تر الدكتور تومسون فضغطت على يد بول وقالت له، تعال معي

ثم سارت الى تلك القاعة التي حادثت فيها فابيان من قبل ففتحت بابا فيها

ودخلت منه الى غرفة صغيرة مع بول واقفلت الباب فكان اول ما فعله انه جثا راكعاً امامها وقال بصوت يتهدج ، ان ما اريد قوله لك يا سيدتي هو صدور حكمك علي بالحياة او بالموت

فارتعشت اميلى ولم تستطع ان تجيب واستطرد بول حديثه فقال ، لقد علمت انك خفت ورأيت اشارتك القاضية علي بالحذر فكانت هذه الاشارة خير دليل على انك عالمة بما يجول في نفسي . . نعم اني رأيتك مرة فكانت هذه المرة كافية لان يملأ شعاع حبك فراغ قلبي ثم سافرت وانا لا أعلم شيئا عنك فخشيت ان لا اراك بعد ذلك الفراق وتمكن اليأس مني فالتمست الموت ولكن الله اشفق علي دون شك واراد لي الحياة اذ يسر لي اسباب لقاك وعرفت المنزل الذي تقيمين فيه فاتيت وانا لا اعلم اذا كنت ماشيا الى الرجاء والسعادة او الى اليأس والشقاء

— ان قلبي لك بجملته وكلة تخرج من شفتيك يتوقف عليها مصيري من موت اوحياة فقولي يا سيدتى هذه الكلمة . . هل انت مطلقة الفؤاد الايمكن ان تحيي هذا المدله بهواك . . قولي هذه الكلمة يا سيدتى تخففي شقائي بل تزيلينه

ثم توقف ينتظر الجواب وكانت اميلى تضطرب اضطراب اوراق الخريف فتمتمت بكلمات لم تستطع ايضاحها ثم تمالكت نفسها وقالت له بصوت يتهدج . . بول اني احبك

فنهض بول وقد طار فؤاده شعاعا فضم حورية البان الى صدره الخافق وهو يقول ، لقد احييتني بعد الموت

فافلتت منه برفق وقالت ، كفى بالله فانى اعلم كل شيء من امرك الا تذكر ذلك اليوم الذي اتيت فيه مع ابيك لاستشارة الطبيب اني كنت واقفة في ذلك اليوم وراء الباب فسمعت كل ما دار بينكم من الحديث وسمعتك تتكلم عني دون ان تذكر اسمي . . نعم انك تحبني بملء جوارحك وانا احبك ايضا مثل هذا الحب ولكن يجب علينا ان ندفن هذا الحب في اعماق قلبنا الى ان يحين زمن ظهوره فاحذر ان تبدو منك بادرة تفضح حبنا واصبر الى ان اغدو مطلقة السراح

— كيف ذلك الملك مقيدة ؟

— نعم ولا استطيع كسر قيدي الا بعد المراعاة والملاينة وحسن التدبير

— انى لا افهم شيئاً مما تقولين

— اذن فاعلم ان الدكتور تومسون يحبني و يريد ان يتخذنى امرأة له

— الدكتور يحبك اباح لك بغرامه ؟

— نعم ولكن اطمئن فان ذلك لن يكون ما زلت مقيدة بهواك

— العل لهذا الطبيب سلطاناوحقوقا عليك ؟

— كلا فما هو وصي علي ولا هو قريب لي ولكنه كان عضدي الوحيد فى اشق ساعة من ساعات حياتى ولذلك قيدنى باحسانه فانا مضطرة الى مداراته بسبب احسانه الي ولكن امتناني لجميله لا يقضي علي بتضحية قلبي

— اتعلمين انى كنت عازما على الاباحة له بحبي لك؟

— احذر ان تبوح له بشيء من ذلك بل احذر ان يخامر قلبه شيء من الشك فانه شديد الغيره حتى ليوشك ان يغير من نفسه وقد رأى ما كان من اضطرابى حين رأيتك فجأة فهو سيبحث عن السبب دون شك كما علمت يقينا من بريق عينيه فاحذر يا بول منه كل الحذر فان الغضب والغيرة قد يدفعانه الى ما تخشاه

— ولكن هذا الموقف لايمكن ان يبقى على ما هو دون تحديد ولا بد ان يكون له مخرج

— دون شك

— وهذا المخرج ؟

— اتريد ان تثق بي وتعمل بما اريد؟

— اتسأليني اذا كنت اريد مري بما تشائين اطعك فماذا يجب ان اعمل ؟

— عملا بسيطا وهو ان تفتكر بي دون انقطاع كما افتكر بك وان تزورنا ما امكنك ولكن زيارة صديق لا زيارة عاشق واصبر الى ان اشير اليك اشارة تعلم منها انى صبحت مطلقة السراح فتقول عند ذلك ما تريد

— لقد قلت لى كما أذكر انك لست ربيبة الدكتور تومسون

— كلا فما انا الا فتاة يتيمة فقيرة انقذني هذا الطبيب من مخالب الشقاء ولولا مروؤته لما كنت الان في قيد الحياة وانت ترى انه لا بد من الاعتراف بجميله

— اميلي انك ترعبينني؟

— لماذا؟

— لاني ارى ان الدكتور قد بات له سيادة عليك لا تنكرينها فاذا كان يحبك حقيقة كما يقول فهو يستطيع اكراهك على الزواج به

فابتسمت اميلي وقالت له ، لا تخف ايها الحبيب فاني مهما كنت ضعيفة فارادتي قويه لا تستطيع أية قوة بشرية ان تتغلب عليها وقد وهبتك قلبي فلا استرجع ما وهبت فاذا لبثت على حبي غدوت امرأتك واذا رجعت عنه فثق اني لا احب سواك

فسحر بول بمعانيها وقال لها ، انت املي الوحيد ولا رجاء لي بغير هواك

— وهو رجاء لا يخيب فاصبر الى ان يحين الاوان وتشجع يا خطيبي العزيز فنحن الان خطيبان

ثم قدمت له جبينها فقبله وقلبه يضطرب ويخفق كاجنحة الطائر ثم قالت له ، سنمتزج الان بالناس حذرا من عيون الرقباء

وعند ذلك خرج الاثنان الى احدى القاعات العمومية فقالت له ، لنفترق الان ومتى دنت ساعة الحرية تعلم من اشارتي

فتركها بول وهو يحسب انه طائر فرحا فقد علم الان انها غير ربيبه الدكتور وليس بينها وبينه علاقه فلا حق له عليها في شيء وهي حرة باختيار من تريده زوجا لها وقد وقع اختيارها عليه وبات واثقا من صدق وفائها فجعل يقول وهو يسير بين الجماهير، المستقبل لي

وكذلك اميلي فقد افترقت عنه وهي تناجي نفسها بمثل هذه الاماني وكلاهما لا يعلمان بشيء من ذلك الفخ الذي نصبه ذلك الطبيب السفاك

فهل يبلغ جاك وباسكال قصدهما الهايل من ورثة الكونت دي تونوريو وهل يستطيعان التفريق بين ذينك الحبيبين . ان ذلك من اسرار الغيب لا يدركه غير الله

وقد التقى بول وهو يتجول في القاعات بصديقه فابيان وكان فرحا مثله

بمقابلته اميلي ولكن كلا العاشقين اصر على الكتمان فلم يبح احدهما لرفيقه بشيء من غرامه على ما بينهما من الاخلاص

اما اميلي فانها التقت بالدكتور تومسون فقال لها ، اني اراك وحدك يا ابنتي العزيزة فاين تركت صديقي بول؟

قالت ، لقد ظهر لي انه يريد التمتع بهذه الحفلة ولما كان حدادي يمنعني عن الرقص فقد اطلقت سراحه

— ولكنه فتى ظريف حلو الشمائل اليس كذلك ؟

— ربما ولكنه قليل الكلام

— ذلك لان جمالك ادهشه فحبس لسانه

فضحكت اميلي وقالت ، انك تبالغ في وصف جمالي ولا شك انك تنظر الي بغير عين الحقيقة

— بل انظر اليك بعين الغرام الصادق وحين ارى العيون محدقة بك كالنطاق يلتهب قلبي من الغيرة واحسب نفسي من المجانين

وحاول ان يمضي في حديثه غير ان اميلي استوقفته وقالت، يظهر يا سيدي الطبيب انك نسيت اتفاقنا

فاطرق جاك برأسه وقال ، لقد اصبت وسأذكر الاتفاق منذ الآن

وبعد ساعة انقضت المسئلة وتفرق المدعوون فاجتمع جاك وباسكال وانجل فقال لهما ، يجب ان ننتهي قبل ثمانية ايام

فاجابه باسكال، هو ذاك وسأهتم بالفتى الصياد وبعد ان اجهز عليه اسافر الى جنيف

— اذن لا يبقى لدينا غير فابيان وبول فنغدو والملايين لنا والان فلنفترق فقد آن اوان الرقاد

وعند ذلك تفرقوا فدخل جاك الى مخدعه وهو يكاد يتميز غيظا ويقول في نفسه ، انها تعشق ابن ريموند دون شك، وقد اتفقا على خداعي ولكني لا انخدع وقد قضى على بول بالموت مرتين

اما بول فانه حين برح منزل الدكتور ذهب توا الى منزله فلقى اباه لا يزال ينتظره فبادره بقوله ، اذا اردت يا ابي ان تعرف حقيقة السعادة فانظر الى وجهي فانها مرتسمة فيه

قال ، العلك رأيت ربيبة الدكتور ؟

— نعم وقد كان خوفنا في غير محله فباتت سعادتنا اكيدة

فابتسم ريموند لما رآه من سرور ولده وقال له ، العلك بحت للدكتور بغرامك؛

— معاذ الله ان افعل

فشغل بال ريموند لهذا الجواب وقال ، لماذا ؟

— لانه اذا عرف بشيء من حبي فقدت كل هنائي

— ولكني لم افهم بعد

— ذلك ان الدكتور مزاحمي في هواها فهو مفتون بها يريد ان يتزوجها ثم اخبر اباه بجميع حديثه مع اميلي فكان ابوه يصغي اليه وعلائم الكآبة تنطبع على وجهه

فاجفل بول لما رآه من حزن ابيه وقال له ، ما هذا الحزن يا ابي ولما لا تشاطرني في سروري ؟

— لان مزاحمة الدكتور في هذا الغرام تزعجني والحق انه يسوءني ان نسيء الى هذا الرجل بعد ما رأيناه من مروءته فهو الذي يتولى معالجتك بغيرة ابوية وانت تجازيه عن جميله بسلب من يحب

— ولكن اميلي لا تحبه يا ابي

— اقالت لك ذلك ؟

— دون شك وفوق ذلك فكيف تحبه وهي تهواني . انها تعترف بفضله عليها وتقر لجميله ولكنها لا تستطيع تضحية قلبها في سبيل هذا الجميل

— اذن سر يا بني في الطريق الذي يدفعك اليه قلبك وليحقق الله امانيك وفي كل حال فقد سرني ان هذه الفتاة فقيرة يتيمة فليس لها اهل يسألوننى عن ماضي حياتى فاذهب يا بنى الان واسترح بالرقاد فان الفجر قد انبثق ولا تنسى انه يجب ان تعود غدا الى كرينيل

— بل يجب ان اعود الان فانى برحت المنزل خلسة دون ان اخبر الخادمة بامري فاذا لم ترني في الصباح تيأس من خوفها علي

— اذن سر الان واخبرها انك رأيتني وانك عارف بكل امري فان مدلين كانت عارفة ايضا بماضى حياتي وحليفتى عليك بكتمان هذا الماضى

وعند ذلك ودع اباه وسار عائدا الى كرينيل

وفي الساعة العاشره من صباح اليوم التالى ذهب ريموند الى الكونتس دي شاتلو واعطاها العريضة لتقدمها الى وزير الحقانية فوعدته خيرا وعاد يبحث عن تلك الجرائم التى اقامت ادارة البوليس واقعدتها فلا يرى غير العقبات ولا يكتنفه غير الظلام

وكان ذلك اليوم موعد دفن ابن الارمله الذي قتله الدكتور تومسون وجرد من المدالية فذهب هذا السفاك الى منزل الارملة وكان في طليعة الذين مشوا في جنازة القتيل الذي سفك دمه بيده الأثيمة

وفي اليوم نفسه ظهرت جرائد الصباح وذكرت موت الفتى قائله انه كان مسافراً في القطار وبينما هو متكأً على الباب فتح الباب وهوى منه فسقط بين العمدان فحطمته

وقد أبلغت ادارات البوليس الجرائد هذا الخبر على هذه الصورة كي لا يحذر القتلة فتبحث عنهم وهم آمنون

ولنعد الان الى باسكال فقد سمعناه يقول انه سيبدأ بالفتى الصياد المتفلسف احد اصحاب المدالية فيقضى عليه ثم يسافر الى جنيف لسلب مدالية املي برتيه

وقد ابر بوعده فانه نهض في الصباح وهو لا يفكر الا بهذا الصياد فدخل الى غرفة خاصة فيها كثير من الملابس التى يلبسها حين يريد التنكر فأخذ ثوبا رثا من تلك الملابس التي يلبسها الصيادون وغير ذلك فوضعها في ملاءة وخرج من المنزل الى دكان حلاق فحلق شاربيه ثم ركب القطار الى كرينيل حتى اذا وصل اليها عطف الى غابة قريبة من النهر فخلع ملابسه فوضعها عند جذع شجرة ولبس الثوب الذي جاء به ووضع على رأسه شعرا مستعارا ثم ذهب ومعه عدة الصيد الى المكان الذي

يصطاد فيه عادة ذلك الفتى المتفلسف فلقيه جالسا على شاطيء النهر يصطاد وليس في تلك الجهة سواه فدنا منه وحياه برقة ولطف فاجابه الفتى بمثل تحيته وقد استأنس به حين رآه يحمل عدة الصيد فقال له ، الملك صياد ؟

— كلا بل اني احب الصيد وقد اتيت اليوم خصيصا من باريس للنزهة والتلهي بالصيد في المدن فهل تأذن لي ان اصطاد بقربك ؟

فضحك الفتي وقال ، ان النهر لجميع الناس على ان هذه الجهة وان كانت خاصة بي لاني اطعم سمكها كل يوم فاني اسمح لك بالصيد معي فيها على شرط يتلوه شرط

قال ، ما هو الشرط الاول ؟

قال ، ان تكون ماهراً بالصيد كي يصح عقد الشرط الثاني

قال ، اني من الماهرين فقل شرطك الثاني

قال ، هو ان نتراهن على اربع زجاجات من الخمر يكسبها من يفوز على جاره اربع مرات

— ما شروط الفوز ؟

— هي ان نلقي الصنارتين في وقت واحد فمن اخرجها غانما قبل الآخر كان الفائز ونوالي ذلك الى ان يتم الرهان

— واذا اخرجنا الصنارتين وكنا غانمين في وقت واحد ؟

— يكون الفوز لصاحب السمكة الكبرى

— واذا كانت السمكتان بحجم واحد فان ذلك يتفق كثيرا

— اذن يكون كلانا فائزين وخاسرين معا

— اي ان الفوز لصاحب الحانة

— هو ذاك فيدفع كل منا ثمن زجاجتين اذ لا بد من الشرب مع ظريف مثلك

فسر باسكال من تسهيل بغيته مع هذا الفتى وأقاما يصطادان الى الظهر فكان باسكال الخاسر وعند ذلك ذهبا الى اقرب حانه فاستوفى الفيلسوف حقه من لرهان وكانا يأكلان ويشربان و يتحدثان بنوادر الصيد والصيادين فروى له باسكال

كثيرا من تلك النوادر واخبره انه كان شديد الولع بالصيد وانه كان يصطاد حين مجيء الى كربتيل في مكان بعيد الغور قرب بتي كاستل ثم اقترح عليه ان يصطادا بعد الظهر في تلك الجهة فوافق الفتى على هذا الاقتراح لانه كان محتاجا الى صيد سمك كبير وهو لا يوجد الا في تلك البقعة

وكان باسكال يميل عليه بالشراب حتى اوشك ان يسكره وفي الساعة الرابعة بعد الظهر ملأ باسكال سلة من الطعام والشراب وذهب مع الفتى في قاربه الى ذلك المكان فجعلا يصيدان بعناية واهتمام الى الساعة السابعة

وعند ذلك اخرج باسكال ما في السلة من الطعام والشراب فجعل يسقي الفتى من الكونياك جرعات كبيرة وهو يتظاهر بمشاركته بالشراب ويصب ما في كاسه في النهر

وداما على ذلك الى الساعة التاسعة فاتفقا على ان يستريحا على ان يعودا الى الصيد عند انتصاف الليل

وكان الشراب قد تمكن من الفتى واتخم الطعام معدته فدب النوم الى عينيه وصبر باسكال عليه الى ان سمع غطيطه فنظر الى ما حواليه نظرة الفاحص فلم ير شيئاً لاشتداد الظلام فجرد خنجره ومد يده الى صدر الفتى كي يسحب المدالية المعلقة في عنقه والداخلة بين صدره وقميصه فيقطع خيطها المتين بالخنجر ويسرقها ويفر

وقد اخذ يجذبها من خيطها برفق حتى صارت في يده وفيما هو يهم بقطع الخيط تحرك الفتى وانقلب من جنب الى جنب والمدالية لا تزال في يد باسكال فضغط خيطها على عنق الفتى وانتبه مذعورا وقد علم لاول وهلة ان مداليته العزيزة بيد سواه فاسرع بالنهوض فعاجله باسكال بضربة خنجر كادت تكون القاضية على هذا المنكود لو لم يصب الخنجر زرا معدنيا صلبا فانكسر ولكنه جرح الصدر

وعند ذلك هب الصياد هبة القانط والمداليه لا تزال في قبضة باسكال وخيطها في عنق الصياد فكان بينهما خصام هائل اسفر على انقلاب القارب بهما وسقوطهما في النهر

وكان باسكال سابحا ماهرا وكذلك الصياد غير ان الصياد كان جريحا وقد

اضعفه السكر والرعب فجذب باسكال المدالية بعنف شديد فقطع خيطها واسرع بتلك المدالية الى الشاطيء

ولما وصل اليه وقف مصغيا فلم يسمع حسا فقال في نفسه : لا شك انه اغمى عليه للجرح الذي اصيب به فغرق

وعند ذلك وضع المدالية في جيبه واسرع الى الفرار فلم يسر بضع خطوات حتى سمع صوت جسم يتحرك في النهر فاصغى فانقطع الصوت ثم عاد فسمع الصوت نفسه فقال ، لاشك ان هذا الصوت صوت حركة سمكة في الماء

ثم هرول مسرعا وهو يسير ركضا في تلك الظلمات حتى وصل الى الشجرة التي اودع تحتها ثيابه فخلع ثياب تنكره المبتله ولبس تلك الملابس العادية

وبعد ساعتين كان قد وصل الى باريس ودخل الى غرفته في منزل الدكتور توMسون فنام بملابسه لفرط ما لقي

ولندعه الان يغط في نومه ولنعد الى تلك الحركة التي سمعها في النهر حين فراره فقد اخطأ في اعتباره انها حركة سمكه ولو ظهر له القمر ساعتئذ ورآه من خلال الغيوم لرأى ان هذا السابح في النهر لم يكن غير الصياد الذي حسب انه مات قتيلا أو غريقا

فان الفتى حين سقط في النهر بعد ذلك العراك الشديد ذهب سكره وشعر ان خيط المدالية يكاد يخنقه ثم أحس بألم شديد من جرحه فكان أول ما خطر له ان يتخلص من خصمه حذراً من ان يعرفه لما رآه من تباين القوتين

وفي ذلك الحين كان باسكال قد رفسه برجله وجذب المدالية بعنف شديد فانقطعت وانفصل الخصمان فاسرع باسكال الى الشاطيء وبقي الفتى في موضعه يحجبه عن خصمه شدة الظلام

وبعد ذلك عاد ببطيء الى الشاطيء فكان أول ما فعله انه خلع ثيابه المبتلة فعصرها وبسطها فوق الرمل واضطجع عريان الى أن يجففها الهواء

وجعل يفتكر في ما أصابه فقال ، ان هذا اللص لم يكن يريد مني غير المدالية وما غرض هؤلاء اللصوص من مدالياتنا فان أميدى وخطيبته قتلا بعد ان سرقت المدالية منهما ولكنهم لم يقتلوني انا بل اقتصروا على جرحي ولكني سارى قومسير البوليس

وأخبره بما اتفق لي مع هذا اللص . وهنا توقف هنيهة ثم قال ، واذا اخبرت القومسيير فماذا عسى يجيبني . . انه يقول لي لقد افرطت في الشراب حتى بت تثق كل الثقة برجل لم تكن تعرفه ثم يقول لي انك كنت تصطاد في الليل والصيد في الليل ممنوع فوجب عليك العقاب فبينما أكون شاكيا اصبح مشكوا واكون أنا الجاني على نفسي وبعد فكيف اصف له هذا اللص وكل ما أعرف منه انى لا أعرف شيئا . وجملة القول انى فقدت المدالية وفقدت قاربي وعدة صيدي وأصبت بجرح لا ادري مايكون من امره وليس بعد هذا الشقاء شقاء

ثم قام وهو يقول اليوم خمر وغداً أمر وسنرى ما يأتينا به الى الغد فجمع بعض الاعشاب فاكتف بها ونام تلك الليلة وهو يتألم من جرحه

وعند الصباح لبس ثيابه وذهب الى الصيدلية فأخبر الصيدلي انه سقط على صخر ناتىء فجرح صدره فضمد الصيدلي جرحه وقال له، أنه جرح بسيط يكفي لعلاجه مدة يومين فتركه وعاد الى النهر يبحث عن قاربه وعدة صيده

ولنعد الان الى باسكال فانه أخبر رفيقه جاك في الصباح بكل ما اتفق له واعطاه المدالية فجمعا ما عليها من حروف مع حروف المداليات الاخرى فلم تحل لهما لغز الملايين فتقرر ان يسافر باسكال في الحال الى جنيف للبحث عن مدالية اميلي برتيه المذكور اسمها وعنوانها في وصية الـكونت دي تونوريو

وسافر في اليوم نفسه الى جنيف وبحث عن المنزل الذى كانت تقيم فيه اميلى برتيه مع امها برين فوجده ولـكنه لم يجد من يعرفها بهذا الاسم لانها كانت معروفة في جنيف باسم اميلى كرانشان نسبة الى زوج امها الذى تسمت باسمه بعد موت ابيها

غير ان باسكال لم يقنط من هذه الخيبة وذهب الى حانة تقابل ذلك المنزل وصاحبتها امرأة ثرثارة فشرب عندها كاساً وقال لها ، أنك تعرفين ياسيدتى دون شك من يقيم في ذلك المنزل ؟

قالت ، كيف لا اعرفهم وكلهم من خيار زبائني

— اذن ارجو ان تخبرني اذا كان يوجد فيه امرأة تدعى برين برتيه

— برين برتيه ؟

— نعم وهي فرنساوية ولها ابنة في التاسعة عشرة من عمرها تعيش معها
فهزت العجوز رأسها وقالت، كلا يا سيدي لا يوجد في هذا المنزل امرأة تدعى بهذا الاسم

— ولكني واثق انى لم انخدع بالعنوان اليس المنزل في شارع لوسان ونمرته ٤٩؟
— ان نمرته لم تتغير منذ أنشائه ولكن لم يقم فيه امرأة بهذا الاسم
— انى ابحث عن هذه المرأة لشأن خطير ولا أدري بعد هذه الخيبة ماذا اصنع وكيف ابحث
— أأنت واثق يا سيدي ان هذه المرأة وابنتها كانتا تدعوان باسميهما الحقيقي في جنيف
— ربما كان ذلك ولكني لا استطيع اثباته
— لقد اقام في هذا المنزل امرأة وبنتها وكانت المرأة فرنساوية ولكنها تزوجت رجلا من جنيف
— ماذا كانت تدعى هذه المرأة؟
— برين
— والرجل الذي تزوجته؟
— كرانشان
فارتعش باسكال اذ ذكر ان اميلي تدعى اميلي كرانشان ولكنه اخفى ارتعاشه وقال للعجوز، اتذكرين اسم ابنتها؟
— انها تدعى اميلي ولها جمال يفتن العقول
فزاد اضطراب باسكال وقال لها، كيف كانت معيشتها في جنيف؟
— كان لها محل للخياطة وبيع حاجات النساء فباعت الام المحل بعد وفاة زوجها كرانشان وسافرت بابنتها الى باريس

فلم يبق شك لباسكال ان صاحبة المدالية هي اميلي المقيمة في منزل الدكتور فان أمها ماتت في جوانييني وهي قادمة الى باريس ولكنه أراد البلوغ الى النهاية في التحقيق فسأل العجوز قائلا، وماذا فعلتا بثمن المحل الم تودعاه عند صراف؟

- هو ذاك وقد كان لصا فسرق مال الارملة واليتيمة وجميع ما كان مودعا عنده من اموال الناس وفر هاربا

فلم يبق بعد ذلك اقل مجال للشك فودع باسكال العجوز شاكراً ثم عاد لفوره الى باريس فى قطار الليل فوصل الى منزل الدكتور تومسون في الساعة الخامسة من الصباح وجميع من في القصر نيام فطرق باب غرفة جاك فاستيقظ جاك منذهلا وقال، من ؟ قال ، انا باسكال فوثب عند ذلك من سريره وفتح الباب

فدخل باسكال واقفل الباب من وراءه اما جاك فقد ذهل لقدومه وقال له ، انى لا اكاد صدق عيني فكيف انت وهل قضيت المهمة ؟

قال ، عد الى سريرك لنتحدث فاتكأ الطبيب على سريره وجلس باسكال على كرسي امامه وبدأ الحديث فقال ، ابدأ فأقول ان المهمة لم تنقض بعد

— اذن لماذا عدت ؟

— سأخبرك بالأمر فتأهب له فانه خطير

— العل اميلى برتيه قد ماتت أو اختفت ؟

— بل هي في قيد الحياة وأنا عارف اين هي

— اذن لماذ القلق فما لم نفعله اليوم نفعله غداً ؟

— هو ذاك غير انه يعترض هذه مصاعب اذا عرفتها علمت انها لا تقاوم

— ومتى كنت من الذين يكترثون للصعاب ولكن قل لي الحقيقة فقد قتلتني صبراً فلماذا هذا التسويف بالقول ؟

— ذلك لانى أخاف ان أقول

— ولكنك تعلم يقيناً أن لا شيء يخيفني

— من يعلم ؟

— أنا اعلم وذلك يكفى

قال ، تسلح بالثبات و بالصبر فاني سأضربك ضربة هائلة

— وأنا شديد القوى فسأتحملها

— وسأجرح قلبك جرحاً بليغاً

— تجرح قلبي ماذا أسمع العلك جننت يا باسكال واذا كانت زيارة سويسرا تحدث مثل هذا الجنون فاني لا اشير على أحد بالسفر اليها والآن فلننتهي ارأيت اميلي برتية وأمها ؟

— كلا

— لماذا ؟

— لانهما برحتا جنيف بعد أن باعتا محلهما

— متى كان سفرهما ؟

— في شهر مايو من هذا العام

— أوقفت على أثرهما ؟

— دون شك فانهما كانتا قادمتين الى باريس حين برحتا جنيف

— اذن هما في باريس ؟

— ان الأم مرضت اثناء سفرها فتوقفت في الطريق في جواني

فاصفر وجه جاك وقال ، في جواني ؟

— نعم وقد اقامتا في ذلك الفندق الذي اقمنا فيه حتى خروجنا من السجن

فاضطرب جاك اضطراباً شديداً وقال ، ماذا اسمع اني أراك تروي لي حكاية اميلي جران شان

— هو ذاك فان اميلي جران شان هي نفس اميلي برتيه ولكن أمها تزوجت جران شان بعد موت زوجها الأول فتسمت الفتاة باسمه

فكبر وقع هذا النبأ على جاك وقال ، اذن ان اميلي هي احدى ورثة الكونت دي تونوريو ؟

— نعم وهي محكوم عليها مثلهم

— ولماذا يحكم عليها ؟

— لانها تحمل المدالية ومن شرطنا أن نستولى على المداليات بعد قتل اصحابها

فوثب جاك من سريره وثبة المجنون وقال ، كلا ان اميلي لن تموت ولا تسقط شعرة من رأسها ولي عرق ينبض .. نعم انها لا تموت لان ..

— لأنك تحبها أنظن أيها الصديق اني اجهل ذلك الغرام

— نعم ، اني أحبها أصدق حب بل انى مدله بهواها

— ومن أجل ذلك عدت مسرعاً وقد ملىء قلبي رعباً حين علمت الحقيقة بل لهذا قلت لك انى سأجرح قلبك جرحاً بليغاً أونهلك جميعاً

— ولماذا نهلك ؟

— لاننا سائرون الى الهاوية فقد اعمى الحب عينيك حتى انك تخليت عن الملايين ونسيت تلك الدماء التي سفكناها وأصبحت كشمشون بعد أن قطعت دليلة شعره فانتزعت قوته وأنت كذلك فقد نزع الحب ما كان بين جنبيك من قوة الارادة وقذفت بنفسك الى الهاوية وقذفتنا واياك

— كل هذا التهديد والتخويف من أجل انى أحب اميلى ؟

— نعم لان هذا الحب يدعو الى هلاكك فانك ضحيت كل مشروعاتنا بغية انقاذ من تحب

— ومن انبأك انى سأتخلى عن تلك المشروعات فاننا نستطيع بلوغ ما تريد منها دون أن نقتل اميلى

— كلا فان ذلك محال

— هات برهانك ان كنت من الصادقين

— برهانى ان مدالية اميلى لا بد لنا منها اضمها الى سائر المداليات ومعرفة موضع الكنز المدفون

— لا انكر انا في حاجة اليها ولكننا نستطيع نيلها بغير طرق القتل

— هو ذلك ولكننا بعد أن نظفر بهذا المال تبدأ قضية الخادم جيروم المتهم بسرقة الوصية ولا بد عندذلك للقضاء من البحث الدقيق في جميع تفاصيل حياة الكونت دي تونوريو وسيرد في التحقيق ذكر البنين الذين ولدوا يوم ولدت بنته فوهب كلا منهم مبلغاً من المال ومدالية من الذهب يقبض بها ذلك المال حين بلوغه وعند ذلك يبحث البوليس عن اولئك الابناء فلا يجدهم لانهم قتلوا ما خلا اميلى فان القضاة يستدعونها فتحكى لهم حكايتها وكيف دخلت الى منزلنا وكيف فقدت هذه المدالية وهي

بيننا ثم هنا ملاحظة أخرى وهو ان الفتى الراهب و بول فورمنتال والسكونت فابيان وكلهم من أصحاب المداليات كان لهم بك اتصال شديد الا تحسب ان كل ذلك مما يثير عليك الظنون ثم الا تخشى الا أن تكون امبلى من اعدائك؟

- كيف تكون من أعدائي ؟

- دون شك . بل ربما كانت الآن من الد اعدائك لانك تفترض هواها وهي تحب سواك

فارتعش جاك وقطب جبينه وقال ، لماذا تدعي انها لا تحبني؟

- لان ذلك ظاهر للعيون

- ولكن لا بد لها أن تهواني

- هذا محال ما زالت تحب سواك

- أتقول ذلك من قبيل الظن؟

- بل أنا واثق كل الثقة

- من قال لك انها تهوى سواي ؟

- لم يقل لي أحد ولكني عرفت ما عرفته من مراقبتي وأما أنت فقد اعمى الحب بصيرتك حتى لم تعد ترى

- ومن هو هذاالذي تهواه ؟

- بول فورمنتال

- لقد توقعت ذلك ولكن هذا الفتى محكوم عليه بالاعدام

فهز باسكال كتفيه وقال ، اننا اذا قتلنا هذا الفتى يقتل اليأس الفتاة

- كلا فان اليأس لا يميت فهي ستنساه وستكون لي

- ذلك محال الا اذا جنحت الى الحيلة أو الى العنف

- لا حاجة لي بذلك

- اذن فاندب حظك فقد عرفت هذه الفتاة حق العرفان وعرفت ان لها ارادة لا تغلب فاذا عرفت بقتل حبيبها قتلت نفسها دون شك

- اذا كانت لا تحبني ولا يمكن أن تكون لي فاني اتعزى على الاقل أن لا تكون لسواي ولتمت بعد ذلك

- لقد أحسنت وهذا ما كنت أتوقعه منك

فأطرق جاك برأسه الى الأرض وقال بصوت اجش ، نعم انها ستكون لي أو تموت

- لندع الآن حديث الغرام ولنبحث بالمهم من أمرنا فاني لم أر مرة اميلى معلقة في عنقها سلسلة أو شريطة تدل على انها تحمل هذه المدالية التي نبحث عنها فكيف تأول ذلك ؟

- ربما تكون قد وضعتها في صندوقها مع مجوهراتها التي يمنعها الحداد عن التزين بها

- يجب أن نتأكد ذلك

- أتريد الاستيلاء على المدالية ؟

- لا فائدة من الاستيلاء عليها فقد خطر لي خاطر جديد وهو اننا نستطيع أن نكتفي بقراءة حروف المدالية وفي ذلك ما يغنينا عن قتل هذه الفتاة وتبقى المدالية معها بحيث لا يبقى لديها أقل مجال للريب بنا ولا يبقى سبيل للبوليس باتهامنا في شيء

- ما أشد ضعفك وقد رجعت عما عزمت عليه منذ لحظة

- لا أريد قتل هذه الفتاة

- على ماذا عزمت بشأن فابيان ؟

- اني انتظر الى أن يكثر تردداه علينا ويزيد تعلقه باميلى فمتى رأيته أصبح خاضعاً لكل اشارة تبدو من انجل ابدأ بالعمل

- ولكنك تريد أن تنهي المهمة بثمانية أيام وها قد مضى منها ثلاثة

- يبقى خمسة وذلك فوق الكفاية ومع ذلك فاذا زادت المهلة يوماً أو يومين فلا تنقص شيئاً من خطورة المهمة

فأجابه باسكال بلهجة خطيرة ، اني احذرك يا جاك فاني أراك على غير ما اعهده منك وأرى دلائل الضعف ووهن العزيمة بادية بين عينيك بعد أن الان الحب قلبك

وصبرك بهذا الضعف ولكن لتعلم انى اسير في نفس طريقك وانا قد تعاهدنا على العمل يداً واحدة باتفاق ثم اسألك أن لا تنسى انك لست مستقلا في العمل وانى شريكك فيه

- انى لن أنسى ذلك على الاطلاق

وعند ذلك علمت انجل ان باسكال قد عاد من السفر فدخلت الى غرفة الطبيب واختلطت مع الاثنين وأخبراها بكل ما اتفق وعهدا اليها أن تبحث عن المدالية في صندوق اميلي فوعدتهما باغتنام فرصة لقضاء هذه المهمة في القريب العاجل

. . . .

وأقامت انجل يومين تبحث عن فرصة صالحة لفتح صندوق اميلي والتفتيش فيه عن المدالية فلم تجد وكان فابيان يزور المنزل كل يوم فتزيده انجل تملقاً باميلي واندفاعا بهواها حتى بات آلة بيدها تعبث به كما تشاء فكانت اذا اخبرت جاك بأنه بات طوع أمرها وانها تستطيع ارساله الى كريتبل أي الى الموت حين تشاء قال لها اصبري ، فلم يحن الوقت بعد

ولم يكن هذا التسويف لغاية يريدها ولكن تدله بحب اميلي اضاع رشده وأضعف عزيمته فكان اذا تمثلت له تلك الفتاة تحدث بول وتبتسم له جن من يأسه والتهب قلبه بنار الغيرة

الى أن صحا في صباح يوم بعد ارق طويل وقد احمرت حدقتاه وهاجت أعصابه وتبينت دلائل العزيمة من عينيه فنادى باسكال وانجل وقال لهما ، لقد آن الأوان ويجب أن يكون فابيان غداً في كريتبل فقالت له انجل ، لماذا لا يكون فيها الليلة ؟

قال ، أتستطيعين ارساله الليلة ؟

- لقد قلت لك مراراً انه طوع يدي

- اذن ليكن اعدامه الليلة

- في أية ساعة يجب أن يكون في كريتبل ؟

- بين الحادية عشرة وانتصاف الليل

- سيكون ما تريد ولكني أطلب اليك أن تسير باميلي في الساعة الرابعة بعد الظهر فتتنزهان في مكان غير مطروق فان فابيان يحضر عادة في الساعة الخامسة ولا تعود بها الا في الساعة السابعة

وفي الساعة الرابعة دعا جاك اميلي الى التنزه معه فلم يسعها الا الامتثال و بعد ذهابهما أقبل فابيان فاستقبلته انجل وأخذت بيده فدخلت به وأقفلت بابها

ورأى فابيان عليها دلائل الاهتمام فاضطرب وقال ، الملك تريدين يا سيدتي العزيزة أن تبلغيني أمراً خطيراً ؟

قالت ، بل أمراً في أشد الخطورة

— أهو متعلق باميلي ؟

— وبك أيضا

— أرجو أن لا يكون خبرا سيئا على الاقل

— ما أشد نكد العشاق فانهم لا يتوقعون غير السيء من الانباء كأنما الاقدار قد تحالفت عليهم

— ولكن تكلمي يا سيدتي فقد قتلتني صبرا وأثر بي اضطرابي

— لو لم يكن الدكتور غائبا لسألته أن يصف لك علاجا

— أهو غائب ؟

— بل هو مسافر فقد دعي مع سكرتيره الى خارج باريس مع ستة من مشاهير الاطباء للنظر في حالة مريض شديد الخطر ولا أعلم متى يعود

— أذن أن أميلي وحدها في المنزل وأستطيع أن أقدم لها احترامي

فضحكت انجل وقالت ، أنك لا تستطيع شيئا يا سيدي الكونت

— ماذا أسمع العلها ترفض مقابلتي ؟

— معاذ الله أن يخطر لها هذا الخاطر ولكن الحوادث تحول دون هذه المقابلة

— ما هي هذه الحوادث العلها مريضة ؟

— ا كنت تراني اضحك لو كانت مريضة ؟

— أعود فأقول يا سيدتي أنك قتلتني صبرا

- أحذر أن تموت بل يجب أن تعيش لتكون سعيداً
- كيف أكون سعيداً وأنت تعذبين قلبي هذا التعذيب
- ليكن قلبك مطمئنا فقد كان يجب عليك أن تعلم
- ومع انفسي ماذا تريدين أن أعلم؟
- أذن يجب أن أخبرك بكل شيء فاعلم أن اميلي ليست في باريس
فاصفر وجه فابيان وقال ، أسافرت من باريس ؟
- نعم ولكن لا تحزن لهذا السفر بل يجب أن تسر فأن الدكتور رأى انها في حاجة الى الهواء النقي فأرسلها الى الخلاء ارادتها وسافرت في صباح اليوم
- اسافرت دون أن تفتكر بي ودون أن تعهد اليك بكلمة تقولينها لي؟
- بل افتكرت بك اكثر مما تظن فانها حين صعدت الى المركبه اعطتني رسمها كي اعطيك اياه وهذا هو فخذه اتريد بعد اعظم من هذا البرهان
فأخذ فابيان الرسم وجعل يقبله ويقول ، لاسعادة فوق هذه السعادة
- انك مخطيء يا سيدي الكونت اذ يوجد فوق هذه السعادة فان اميلي حين سفرها عهدت الي بأقوال اقولها لك فاعلم ان اميلي طلبت ان تسافر الى الخلاء بحجة استنشاق الهواء النقي . لها بذلك مأرب خفي الم تعلمه ؟
- لا أجسر على قوله
- بل ان الجسارة واجبة ولاسيما معنا نحن النساء اترى كيف انى افضح اسرار بنات جنسي من اجلك فاعلم الان انها في الخلاء تستطيع ان تحدثك كما تشاء دون ان تخشى مراقبة الرقباء
- اهي قالت لك هذا القول؟
- كما اوردته لك دون زيادة ولا نقصان
- رباه اني أحسب نفسي حالما واكاد ان لا اصدق ماتقولين
ومتى تريد اميلي أن أذهب اليها ؟
- منذ هذه الليلة اذا كنت حرا
- لا يشغلني غير هواها في هذا الوجود فهلم بنا الان

فضحكت انجل وقالت ، لا تكن عجولا يا بني فانى لا أستطيع السفر معك قبل الساعة العاشرة من المساء

- ايجب ان أحضر الى هنا ؟

- كلا بل انتظرنى في الساعة العاشرة في أول شارع اسكندر دياس فامر بركبتي واسير بك الى من تحب ولكنى اشترط عليك واستحلفك بشرفك ان لا تبوح بحرف من ذلك لاحد من اصدقائك أو لامك حذرا من أن يتصل هذا السر بالدكتور فاذا رضيت بهذا الشرط فانك تقيم نهارك في باريز بين اصحابك وليلك في الخلاء مع من تحب

- انى اقسم بشرفي على الكتمان

- اذن الى اللقاء في الساعة العاشرة في شارع اسكندر دياس

فودع فابيان هذه الحية الرقطاء وهو لا يعلم كيف يشكرها وعاد الى منزله وهو يكاد يطير سرورا

وعند العشاء قالت له أمه ، اني سأسهر الليلة عند المركيزة دي ريشمون اتصحبني اليها؟

قال ، كنت أود يا اماه غير أن احد اصحابى المؤلفين سيمثل الليلة رواية جديدة انشأها وقد دعانى الى حضورها فتقيدت معه

قالت ، اذن يجب ان تحضرها وسأذهب وحدي ولكن متى ينتهي التمثيل ؟

- انها رواية ذات خمسة فصول لا تنتهي الا بعد انتصاف الليل

- على ذلك لا اراك الليلة الا في الصباح

- نعم يا اماه فاني ساعود متأخراً وانت نائمة

وبعد العشاء دخل فابيان الى غرفته فلبس خير ملابسه وتأنق كثيراً ثم ذهب الى تياترو فحضر الفصل الاول من رواية صديقه الجديدة وحادث كثيراً من اصدقائه وفي الساعة العاشرة ذهب الى شارع دياس حسب اتفاقه مع انجل وقلبه يضطرب سروراً لذلك اللقاء وهو لا يدري انه سائر الى الفخ الذي نصب له

وبعد هنيهة مرت انجل بركبتها وكان باسكال يسوق الخيل وهو متنكر فوقفت في المكان المعين وجاء فابيان فصعد اليها فانطلقت تسابق الرياح الى كريتيل دون

ان يعلم فابيان الى اين تسير به فانه كان منشغلا عن كل ذلك بمناجاة اميلي وماسيحدثها به عند اللقاء

وبعد ساعة وقفت المركبة عند باب بني كاستل فخرج فابيان من المركبة وخرجت انجل بعده ففتحت باب المنزل ودخلت اليه وفابيان يتبعها فسارت به توا الى تلك القاعة الجهنمية التي عرفها القراء وهي قاعة الطعام التي تنفذ اليها المادة المخدرة بشكل بخار من الغرفة المجاورة لها فوجد فابيان في هذه القاعة معدات الطعام لثلاثة اشخاص اما انجل فانها طلبت اليه ان ينتظر في تلك القاعة الى ان تستدعي اميلي ثم خرجت واحكمت اقفال الباب من ورائها فبات فابيان وحده اسيرا

واما جاك وباسكال فقد كانا مقيمين في الغرفة المجاورة قرب تلك الآلة الجهنمية فلما علم جاك ان الفتى قد بات وحده في الغرفة وان انجل احكمت اقفال الباب ضغط على الانبوبة فانبعث منها تلك الرائحة الطيبة التي تحمل الموت فسرى بخارها من ثقب الغرفة الى قاعة الطعام وبدأ الفتى المنكود ينتشق تلك الرائحة وهو لا يعلم من اين اتت

وبعد ربع ساعة اسرع جاك وباسكال الى قاعة الطعام ففتحاها واذا بفابيان ممدأ على الارض لا حراك به فامر جاك باسكال ان يسرع الى التفتيش عن المداليه ففك ازرار ثوبه وكشف عن قميصه فلم يجد المدالية اثرا فكبر ذلك على جاك وقال ، ويح لنا لقد ذهب تعبنا سدى

ثم امر رفيقه ان يبحث في جيوبه ففعل ولم يظفر بشيء وعاد الى جاك يقول ، ما يجب ان نفعل فان قتله لا فائدة منه الان

فقال له جاك ، لقد صدقت ولكن لا يسعنا ان نطلق سراحه ولا بد لنا من مداليته

— اذن على ماذا عولت؟

— ان ادعه حيا الى ان اتبصر في الامر

— ولكن تفكر بالخطر

— لا خطر علينا فانه لا يخرج من هذا البيت

— وكيف ذلك ؟

— سوف ترى

ثم تعاون مع باسكال وانجل على حمل فابيان ونزلوا به الى قبو في المنزل له باب حديد شديد ففتحه بمفتاح خاص ووضع فابيان فيه ثم طلب الى باسكال ان يسرع باحضار سرير والى انجل ان تسرع باحضار معدات الطعام ومصباح زيتي للنور واخذ هو يزيد في تخدير الفتى كي لا يستفيق قبل حضور المعدات التي طلبها

وبعد حين نصب السرير فى القبو ووضعت امامه مائدة وعليها من الطعام والماء ما يكفى ليومين فقال جاك لباسكال، الم تجد معه صورة ابولي حين تفتيشه؟

— كلا

— انه تركها فى البيت دون شك ولكن ذلك لا يجب ان تقلق له فلنحمله الى السرير

وبعد ان مدده على السرير خرجوا جميعهم من ذلك القبو واحكموا اقفال بابه الحديدي فقال له باسكال، والان ما ذا يجب ان نصنع بهذا الفتى؟

— ما صنعناه به

— انه اسير وما نتيجة هذا الامر؟

— هي ان نحصل على المدالية اذ لا بد لنا ان نعرف مكانها

— انها فى منزله دون شك

— ولكن منزله عظيم كبير جدا فلا نستطيع تفتيشه بجملته ولا بد له ان يهدينا الى مكانه . والان فلم يعد فائدة لنا من البقاء هنا فلنعد الى باريس ولنفكر بالمداليتين الباقيتين

وبعد هنيهة كانوا جميعهم سائرين في طريق باريس وهم يضحكون ويمزحون كأنهم لم يرتكبوا جريمة

ولنعد الآن الى فابيان فانه بعد ذهاب اولئك اللصوص استفاق من تخديره فبدأ بفتح عينيه فخيل له في البدء انه حالم وان هذا الحلم لا علاقة له بشيء مما ذكره من امره فقد خيل له لاول وهلة انه فى قاعة الطعام تلك القاعة البديعة التي كانت الانوار تتلألأ فيها والرائحة الطيبة وتنبعث منها فتسكره بأريجها

ثم رأى كأن حجابا كثيفا قد مد على عينيه فحجب تلك الانوار المتلألئة وشعر ان رأسه قد تثاقل بحيث لم يستطع انهاضه

فاجال بذلك القبو نظرا حائرا فرأى ذلك المصباح الزيتي يرسل نورا ضعيفا وهو موضوع على مائدة من الخشب عليها طعام وشراب فاكبر ذلك الدون البعيد بين تلك المائدة التي رآها في قاعة الطعام حين دخلت به اليها انجل فقال في نفسه ما هذا ..

ثم وثب من سريره فشعر ان رجليه واهيتان لا تستطيعان حمله فسقط راكعا وقال ، رباه اين انا ثم فرك عينيه وقال العلي من الحالمين ؟

كلا فان عيني منفتحتان وانا في يقظة دون شك بل ارى نفسي في قبو نقلت اليه مدة رقادي وهو رقاد لم يكن طبيعيا فهل نصب لي فخ فسقطت فيه وكيف كان هذا النوم العجائي !

وعند ذلك نظر فرأي باب القبو فسار اليه وهو يمشي متثاقلا وحاول فتحه فوجده محكم الاقفال فقال ، أرى اني اسير فكيف اسرت وما سبب اسري ؟

ولاعد الان الى ذكر الماضي عساي افوز بحل هذا المعمى فالذي اذكره اني كنت في باريس في ملعب الجمباز فحضرت فصلا واحدا من الرواية ثم ركبت مركبة وذهبت بها الى شارع اسكندر دياس وهناك مرت انجل بمركبتها فصحبتني معها الى بيت لا اعرفه ودخلت بي قاعه كثرت انوارها وعليها معدات الطعام لثلاثة اشخاص ثم تركتني وقالت لي انها ذاهبة الى اميلي لتخبرها بحضوري فصبرت ولكني بعد خروجها شعرت فجأة كأنما عصابة من الرصاص قد طوقت صدغي وضاق تنفسي وتثاقلت عيناي فحاولت الخروج لاستنشاق الهواء ومشيت ..

وهنا لا افتكر شيئا ولا اعلم شيئا سوي اني اسير ..

ولكن من الذي اسرني . ولماذا اسرت العل اميلي اسرتني ان ذلك محال .. ايمكن ان تكون انجل صاحبة هذه الخدعة ؟

ان ذلك محال ايضا

وهنا أرتعش بخاطر فجائي خطر له فقال

رباه الا يمكن ان يكون ذلك من صنع الدكتور تومسون وأنه عاد من باريس الى هنا فوجدني في هذا المنزل وعرف غرامي باميلي فدفعته الغيرة الى الانتقام

نعم هذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها ولا بد أن تكون اميلى تتألم الان نفس الامي

ولكن كيف عرف الدكتور بأمر هذا الغرام وهو لم يرني مع اميلي وكيف يعقل ان انجل تخدعني وهي التي مهدت لي سبيل هذا الغرام وايه فائدة لها من أن تجذبني الى هذا المكان لاقع في هذا الفخ !

كل ذلك لا يعقل ولكن الذي لا ريب فيه أن ذلك من صنع الدكتور أذن لابد لي من أن أرى هذا الطبيب وأعترف له بأنى أحبها وتحبني وأنى اريد الزواج بها وهولا بد ان يعودالى هذا القبو اذ لا يمكن ان يدعني اسيراً فيه الا اذا كان يريد ارتكاب جريمة ولا يستطيع أن يمنعني من الذهاب الى امي فانها قد تكون جنت من يأسها وخوفها علي لانى لا أعلم كم بقي لي في هذا القبر

وعند ذلك جعل يصيح بملء صوته مستغيثا وينادي الدكتور فلا يجيبه غير الصدى فقال في نفسه وقد كاد يستولى عليه القنوط ، العلهم يريدون قتلي في هذا القبر ؟ ولكن وجود هذا الطعام يدل على انهم لا يريدون قتلي جوعا

وفي كل حال فأن أسرى في هذا السجن الضيق امر هائل لا يطاق وعاد الى الصراخ والاستغاثة فلم يكن نصيب استغاثته غير ردها اليه فانقلب عائدا الى سريره وهو اشبه بالمجانين

في صباح تلك الليلة الهائلة دخلت انجل الى غرفة أميلي وقالت لها ، اسرعي ايتها الصديقة والبسي فان الدكتور يريد ان تخرجي معه للتنزه لاعتقاده أنك في حاجة الى الهواء النقي فلم تجد الفتاة بدأً من الامتثال فلبست ثيابها وبرحت المنزل مع الدكتور

اما غاية انجل من ذهاب اميلي مع الدكتور فهي اغتنام غيابها للتفتيش عن المدالية في صندوقها

وقد وقفت تراقب من النافذة حتى اذا رأت المركبة أبتعدت بهما دخلت الى غرفتها فأخذت سلسة علق فيها نحو عشرين مفتاح مختلفة القياس ودخلت بها الى غرفة اميلي

وهى تقول في نفسها ، أن الوقت فسيح لدي وليس في غرفة الفتاة غير صندوقها مما يحتاج الى مفتاح

وعندي أن المدالية لابد أن تكون في هذا الصندوق في علبة مجوهراتها فلابدأ بالصندوق

وعند ذلك جعلت تجرب المفاتيح في قفله ففازت بفتحه بعد أن كادت تقنط منه وبحثت في علبة المجوهرات التى أهداها اليها الدكتور تومسون فلم تجد اثرا للمدالية فبحثت بحثا مدققا في الصندوق فلم تجد شيئا فاعادت كل ما أخرجته منه الى مكانه

و بعد أن أقفلت الصندوق نظرت نظرة الفاحص الى أثاث الغرفة فرأت خزانة ومغسلة ذات أدراج فبحثت فيهما فلم تجد شيئا حتى اذا أوشكت أن تيأس رأت فوق الخزانة علبة صغيرة محلاة بالصدف فصعدت على كرسي وأنزلت هـذه العلبة ففتحتها ووجدت فيها أوراقا مختلفه كورقة ولادتها وفيها اسمها الحقيقي أميلي برتيه وغير ذلك وبين هذه الاوراق ورقة صفراء استلفتت انظار انجل اذ رأت مكتوبا عليها اسم بنك الرهونات ففتحتها وقرأت فيها ما يأتي

« مدالية من الذهب من أفضل عيار ببلغ وزنها خمسة وأربعين غراما وقد كتب عليها تاريخ وكلمات ونمرة »

فبرقت اسرة أنجل وقالت ، أنها بوليسة المدالية التي أبحث عنها وقد رهنتها انجل في بنك الرهونات اما لخوفها عليها وأما لحاجتها الى المال حين رهنتها

فاخذتها وأرجعت سائر الاوراق الى العلبة ثم أرجعت العلبة الى موضعها وعادت الى غرفتها تنتظر قدوم جاك وباسكال

وبعد ساعة عادوا من نزهتهم فاستقبلتهم انجل وقال لها باسكال بصوت منخفض ، ماذا جرى ؟

فقالت له ، اذهب وأنتظر في غرفة الاستشارة مع جاك وساوافيكما اليها و بعد هنيهة اجتمع هؤلاء اللصوص الثلاثة فبدأ جاك الحديث فسأل انجل بلهف قائلا ، اوجدت المدالية ؟

قالت ، نعم ولا

— كيف ذلك ؟

— لم أجد المدالية ولكني كاني وجدتها

— ما هذه المعميات أوضحي ما تقولين

— ان الفتاة رهنت المدالية في بنك الرهونات وقد وجدت صك الرهن

— ولكن لماذا رهنتها؟

— لا أعلم ، أظنها فعلت ذلك لخوفها عليها من الضياع وفي كل حال فان الرهن اكيد وهذا هو الصك

فنظر جاك في صك الرهن وقال ان هذه الأوصاف تنطبق على المدالية التي نبحث عنها دون شك

فقال باسكال ، أهي مرهونه في بنك باريس ؟

فاعاد جاك النظر اليها وقال ، كلا بل في بنك جوانيني وقد ظهر الان السبب فى رهنها فانها كانت محتاجة الى المال في ذلك الحين لمعالجة أمها ولا بد لك ياباسكال من الذهاب الى جوانيني واسترجاعها من البنك

— كم دفع لها البنك ؟

— مائة وخمسين فرنكا

— ولكني أرى مشكلة تعترضنا وهي أن أملى لا بد أن تكون قد رهنت في ذلك البنك جميع مجوهراتها قبل رهن المدالية ثم اضطرت الى بيع تلك المجوهرات

- ذلك ممكن فاين المشكلة ؟

— انها اذا كانت باعت المجوهرات بعد رهنها فلا بد أن تكون قد وقعت على صك البيع فكيف أوقع بتوقيعها اذا كنت لا استطيع تقليده ؟

— وما يمنعك عن تقليده ؟

— يمنعني عدم وجود التوقيع لاصلى

— أنا اعطيك رسالة منها بامضائها فتمرن يدك على تقليده حتى تبلغ الغاية من الاتقان

— اذا كان ذلك فقد هان الامر وساسافر غدا فماذا عزمت أن تصنع بفابيان ؟

— سنتحدث بامره حين عودتك من جوانيني والان قل لي اقرأت جرائدالصباح ؟

— لم أجد متسعا من الوقت لاننا خرجنا للنزه

— أذن لنقرأها معا فأن الحالة التي نحن فيها تقضي علينا بمطالعة الجرائد كل يوم كي نعلم ما تفعله ادارة البوليس .

وكان جاك مشتركا بمعظم الجرائد التي استعان بها لاذاعة شهرته بين الباريسين فذهب باسكال الى غرفته فأحضر جميع جرائد الصباح فأخذ جاك جريدة منها وفتحها فأستلفت نظره هذا العنوان المكتوب بحروف كبيرة ضخمة وهو « ادارة البوليس » وقرأ بصوت مرتفع ما يأتي

« سنكشف قريباً للقراء أموراً عن البوليس الباريسي ينذهل لها كل قاريء

« وفي انتظار ذلك فأننا نروي لقرائنا حوادث فظيعة هائلة لاتزال ادارة البوليس تكتم مرها عن الجرائد الى الان في حين ان حياة الباريسين باتت معرضة كل يوم لاشد الأخطار

« أن بوليسنا الحاذق الذي تحسدنا عليه اوربا باسرها رأى من الحكمة والتعقل « ان يكتم عن الناس جرائم هائلة يتوالى حدوثها في باريس منذ شهر

« ولكننا لانقتدي بالبوليس في تكتمه ونقول بصوت مرتفع ليبلغ الى جميع « الاذان دون أن نخشى التكذيب انه يوجد في باريس عصابة من اهل الجرائم تفتك « بالناس فتكا ذريعا لغرض لا يزال خفيا وهي تقتل جميع ضحاياها بطريقة واحدة غريبة

« ونحن نثبت الان ولو كره البوليس انه منذ شهر اخرجت جثة قتيل من نهر «السين وهي جثة الكتبي فوفيال فلم يحقق البوليس هذه الجريمة ولم يبلغ الصحف شيئا عنها

« وثبت ايضا انه بعد ذلك بثمانية ايام وجدت جثة فتى وفتاة في غابة بولونيا « قتلا بنفس الطريقة ولم يجر البوليس شيئا من التحقيق اما الفتى فهو اميدى ديهوناي « واما الفتاة فقد كانت تدعى فيرجيني الجميلة

« وثبت ايضا ولو كره البوليس انه بعد ذلك بستة ايام وجدت جثة فتى يدعى «رينيه لا بال على الخط الحديدي بين باريس واورليان وهي مهشمة ولكن ثبت بعد

«الفحص الطبي ان هذا الفتى مات قتيلا بتلك الطريقة الهائلة التى قتل بها من تقدم
« ذكرهم قبل ان يمر فوقه القطار

« هذه هي الحوادث الفظيعة التي جرت منذ شهر في عاصمة العواصم ، عاصمة
« الامن والسلام ، عاصمة العلم والنور والتمدن والعرفان وهنا يحق لنا أن نسأل لماذا
« تبالغ ادارة البوليس في كتمان هذه الجرائم الهائلة الوحشية وكيف يسع وزير الحقانية
« والنائب العمومى أن يجهلها أو يتجاهلها وكيف يتغاضيان عن ادارة البوليس في معرفة
« المجرمين وقد أطلقت يد هذه الادارة في الانفاق على بوليسها السري فباتت ميزانيتها
« تشبه ميزانية الجيش

« ان ذلك من الامور الخطيرة التي لا يخلق التغاضي عنها ولا يصح التسامح فيها
« فاذا لم تحقق ادارة البوليس هذه الجنايات فاننا نذرها وننذر وزارة الحقانية اننا نتولى
« التحقيق بأنفسنا وعند ذلك تقضي علينا واجباتنا الصحافية باظهار نتائج تحقيقنا
« للعموم وقد اعذر من أنذر»

فلما أتم جاك تلاوة هذه المقالة قطب باسكال حاجبيه وقال ، ان الأمر بات خطيراً بعد اتصاله بالجرائد فان وزير الحقانية سيطلع دون شك على ما كتب في هذه الجريدة فيأمر بالبحث الدقيق

فقال جاك ، ذلك لا ريب فيه ولكن ماذا علينا من ابحاثهم ونحن محتاطون لكتمان أمرنا

— هو ذاك ولكن كيف اتصلت هذه الانباء بالجريدة وكيف عرفت أن الموت كان قتلا بطريقة واحدة في حين ان ادارة البوليس كانت تذيع انه حدث بالقضاء والقدر

— لا يهمنا أن نبحث كيف اتصل النبأ بها بل يجب علينا أن نبالغ باتخاذ الاحتياط فان احتجاب فابيان سيقيم باريس ويقعدها بالنظر الى منزلة اسرته

أما هذه المقالة فقد قرأت في ادارة البوليس كما قرأت في منزل الدكتور تومسون وكان لها دوى شديد فدعى رئيس البوليس اليه مأمور الضبط وتداول واياه ملياً في أمر هذه الجريدة فكان من رأي المأمور أن تحاكم اظهاراً لبراءة البوليس وخطائها

في النقل وكان من رأي البوليس ان في ذلك خطراً شديداً على سمعة البوليس وانه لا سبيل الى تبرئته الا بالقبض على المجرمين واظهارهم للناس

فذهب المأمور وقد اتفقا على البحث ليل نهار عن المجرمين وأما الرئيس فابث وحده مفكراً مهموماً وهو يتوقع من حين الى حين أن يدعوه اليه الوزير

أما الوزير فلم يكن عارفاً بشيء مما جرى ولكن عماله لا يلبثون أن يطلعوه على هذه المقالة فلما عاد الى غرفته حيث كان ينتظره سكرتيره وجد على مائدته كثيراً من العرائض والتقارير بينهما تقرير عليه عنوان البوليس فسأل سكرتيره عنه فقال له ، انه بشأن ريموند فورمنتال الذي وقعتم أمس على العفو التام عنه

قال ، وهل أبلغت البوليس هذا العفو ؟

قال ، نعم ولا بد أن يكون ابلغه الرئيس خـبر هذا العفو الذي ينتظره منذ عهد بعيد

قال ، لقد سمعت أموراً كثيرة عن هذا الرجل فما سمعت عنه غير أحاديث المادحين وقد فعل افعالا خطيرة استحق بها هذا العفو على ان اعتزال خدمة البوليس يحرمه من أصدق عامل ولكن العدالة لا بد منها فهل كتبت كلمة الى الـكونتس دي شانلو عن تحقيق رغائبها بالعفو عن هذا الرجل

قال ، كلا ولكني سأكتب اليها اليوم

وعند ذلك قرع أحد الحجاب باب الغرفة فأمره السكرتير بالدخول وسأله عما يريد فاعطاه رقعة زيارة وقال له ، ان صاحبة هذه الرقعة يا سيدي تطلب مقابلة حضرة الوزير

فقال له الديها كتاب يدل على موعد المقابلة ؟

— كلا يا سيدي ولـكنها واقفة على الباب تبكي وقد سألتها عن هذا الـكتاب فقالت لي ، انك تعرفها واعطتني رقعة زيارتها كي أقدمها لك

فنظر السكرتير في الرقعة فاندهل وقال الـكونتس دي شانلو باكية اسرع بادخالها ثم خف لاستقبالها فقال لها ، أنت هنا يا سيدتي وعليك ملامح اليأس فماذا حدث .. اسرعي يا سيدتي بالدخول فان الوزير ينتظرك

ولم تكن الكونتس تستطيع الكلام ليأسها بل انها لم تكن تستطيع السير لو لم يعنها عليه سكرتير لوزارة فلما دخلت الى غرفة الوزير تقدم لاستقبالها فحياها بملء الاحترام وقال لها ، ما شرفني بهذه الزيارة يا سيدتي الكونتس اني أخاف أن يكون السبب فيها محزناً فاني أرى لدموع تسيل من عينيك على اني اكون من أسعد الناس متى استطعت تخفيفها

فأجابته الكونتس بصوت يختنق انى جئتك يا سيدي لتمس منك عدلا وانتقاماً

فدهش الوزير . قال . ممن هذا الانتقام ؟

— من هؤلاء الاشقياء الذي سلبونى ولدي وقتلوه

فصاح السكرتير قائلا ولدك قتل . . ولدك فابيان !

— لا شك انهم قتلوه لانه اختفى

فقال الوزير ، ولكن ذلك محال فمن الذي اختطفه ومن الذي قتله ؟

فهاج غضب الكونتس عند ذلك وقالت ، اتسألني يا سيدي من قتله الم تعلم بنبأ هذه العصابة السرية التي أقامت باريس واقعدتها وقتلت ثلاثة رجال وامرأة في مدة شهر . .

ان يد هذه العصابة الاثيمة قد وصلت الى ولدي . . انى أشعر يا سيدي بفقد صوابي وانى لاحقة بولدي دون شك ولكنني أريد قبل موتى ان أرى جثته وان تنتقم لي العدالة من قاتليه

فجعل كل من الوزير والسكرتير ينظر لى الآخر دون أن يجيب فعادت الكونتس الى الحديث فقالت

ولكن ما بالك لا تجيبني الم تفهم ما قلته . . لقد قلت انى اريد جثة ولدي ورؤوس قاتليه ثم تقف أنت وسكرتيرك دون أن تفوها بكلمة ودون أن تصدر أمراً . .

انك ممثل العدل يا سيدي الوزير وأنت اعظم رجال القضاء في فرنسا ولهذا أتيت اليك فابحث عن القتلة المجرمين باسم العدالة وباسم الله ولا تتأخر لحظة والا حق للباريسيين أن يتهموك بانهم اخطأوا باعتمادهم عليك في حمايتهم وانك لما عجزت عن معرفة المجرمين بالغت في كتمان الجرائم ستراً لتقصيرك

فاضطرب الوزير وقال ، تمهلي يا سيدتي فيما تقولين فان الحزن قد أضل صوابك

— رد لي ولدي

— لا شيء يثبت موته

— اذن رده لي في قيد الحياة فاباركك ما حييت

— سأصدري أمري في الحال باجراء البحث الدقيق

فهزت الكونتس كتفيها وقالت ، انهم يحققون و يدققون كما حققوا في قتل فورمنتال وديفرناي وفرحني ولابار

فقال السكرتير وقد حسبها مجنونة ، رباه ما هذا الخبال ؟

فأجابته الكونتس بلهجة المحتقر ، انكم تحسبونني مجنونة وتعاملوني معاملة المجانين وأنا أم قانطة اتت اليكم تطلب ولدها القتيل . اتحسبونني مجنونة اذا اتهمتكم بكتمان الجرائم التي رعب لها أهل باريس . .

خذوا هذا البرهان على اهمالكم و برهنوا لي بعدها عن جنوني اذا كنتم تستطيعون

ثم أخذت من جيبها تلك الجريدة التي قرأها جاك و باسكال ودفعتها الى الوزير

فاذهل الوزير وقال لها ، ما هذا ؟

قالت ، هي شكوى الية وتهمة هائلة لم تعن بها هذه الجريدة غير كبار أصحاب المناصب فاقرأها يا سيدي وقل لي بعد ذلك ان هذه الجريدة كاذبة فيما تدعيه قاطعة على ولدي

فأخذ الوزير يقرأ هذه المقالة فلم يأت على بعض سطورها حتى ذعر واصفر وجهه حتى اذا أتم قراءتها قال ، ان هذا محال فان البوليس مهما بلغ من تراخيه فلا يبلغ بالتغاضي الى هذا الحد . . كلا ان هذا محال

— ولكنه مكتوب

— ان كتابة هذه الجرائم لا تثبت صحتها فان كاتبيها اعداء كل سلطة وهم يحاولون تدنيس دوائرنا ولكنهم لا يبلغون منها مراداً

— انهم يذكرون اسماء القتلى والقابهم و يذكرون تفاصيل مجهولاتها

— اني اصر على القول ان التهمة كاذبة حتى ينقض كلامي البرهان

وكان السكرتير قد قرأ هذه المقالة مع الوزير فقال ، أرى انه يجب محاكمة كاتبي هذه المقاله فأنهم قد ارتكبوا جريمة بأثارة الرعب في قلوب الباريسيين

فقالت الكونتس تخاطب السكرتير ، كيف رأيت ياسيدي هل أنا مجنونة بعد هذا البرهان الا يحق لي وقد اختفى ولدي وقرأت مثل هذه المقاله ان احسب ان اولئك الاشرار نصبوا المكيدة لولدي وهو لم يبت ليلة خارج منزله قبل الان

— ولكن لا تنسى يا سيدتى انه فى مقتبل الشباب

— لنفرض ان غرور الصبي دفعه الى ما تظن فما باله لم يعد فى الصباح ؟

— لا انكر يا سيدتى عليك هذا الانشغال فهو طبيعي لا سبيل الى الجدال فيه ولكنك تبالغين فى الخوف فاعلمي يا سيدتى ان لنا بين الصحافيين اعداء الداء يرون من العدل ان يطعنوا فينا كل حين و يتخذوا كل الوسائل لاتهامنا باقبح التهم على براءتنا من كل ما يتهموننا فلا تصدقى شيئاً مما جاء في هذه المقالة

— اهي اكاذيب ومحض اختلاق ؟

— اذا لم تكن كذلك فهي على غير ما رأيت

— اذن اسألكم بأسم ولدي الذي ابكيه كانه ميت ان تحققوا في امره كما يقتضيه الشرف والعدل

— سأفعل يا سيدتى وذلك من واجباتي فاذا كانت الجريدة صادقة فالويل لمن كتم عني هذه الجنايات واذا كانت كاذبة حوكمت وعوقبت وافتضح امرها لدي جميع الناس فان الجرائد حرة ولها ان تكتب ما تشاء ولكن لا يحق لها ان تختلق اكاذيب تثير الرعب في القلوب

وعند ذلك قرع الوزير جرسا فاسرع الحاجب اليه فأمره ان يعد مركبته فقال له السكرتير ، الى اين يريد مولاي ان يسير؟

قال ، اني اريد ان اذهب الى رئيس البوليس فلا صبر لي على انتظار حضوره ثم التفت الى الكونتيس دي شاتلو وقال لها ، اتشرفيني يا سيدتي بالذهاب معي لنعلم حقيقة هذه الاشاعات فوافقته الكونتس على الذهاب وبعد هنيهة اعدت المركبة فسار الوزير والكونتس الى دائرة البوليس

ولقد تركنا رئيس البوليس فى غرفته وهو مفكر مهموم لا يعلم كيف يهتدى الى المجرمين حتى لقد خطر له ان يستقيل ولكنه انف من الاستقالة حين اشتداد الازمة وحاول مقاومة صعابها الى ان تلين فقرع جرسا ونادى سكرتيره وقال له ، هلم بنا ننظر فيما لدينا من الاشغال

فاخذ السكرتير من درجه بعض اوراق وعرضها على رئيسه للتوقيع عليها فبعد ان وقع عليها جميعها رأى بيده ورقة فسأله عنها فاجابه السكرتير ان هذه الورقة تتضمن العفو الذى انعم به الوزير امس على احد عمال البوليس منذ عشر اعوام

— العله ريموند فورمنتال؟

— نعم يا سيدى الرئيس فقد طلبت الوزارة من بضعة ايام الي الدائرة ان ترسل لها تعليماتها عن هذا الرجل واخلاقه وآدابه فارسلت اليها التعليمات وكلها تتضمن الثناء عليه

— والان هل وقع الوزير على العفو ؟

— نعم وهو يستطيع اعتزال الخدمة من اليوم اذا شاء بل كان يستطيعها منذ امس لان العفو قد صدر امس

فوقف الرئيس وجعل يسير في ارض الغرفة ذهابا وايابا بخطوات مضطربة ويقول انه بات حراً طليقا . . . . انه يفارقنا فى اشد حاجتنا اليه . . . . انه خير عامل عندي وخير من اثق به من رجال البوليس والان فأنى حين القيت كل اعتمادي عليه فى معرفة اولئك المجرمين انتزعه الوزير مني بالعفو عنه ولكن ذلك لن يكون وأنا في هذه الشدة

وكان الرئيس يتكلم بصوت مرتفع بحيث كان يسمعه السكرتير فقال له ، ولكن العفو قد وقع عليه يا سيدي

— لا ابالي بهذا التوقيع

— ولكن عفو الوزير لاسبيل الى الرجعة فيه

— كل شيء ممكن ما زال ريموند لم يبلغ بعد خبر هذا العفو ولا شيء يمنعنا من تأخير ابلاغه اياه الى ان تقضي مآربنا من خدماته الصادقة في ازمتنا الحاضرة

— يسوؤني ان أخبرك يا سيدي أني انفذت اوامر الوزير امس

— العلك كتبت الى ريموند ؟

— نعم وهو ما كان يجب علي فعله

— وماذا كتبت اليه ؟

— كتبت اليه أن يحضر الى ادارة البوليس ليتلقى خبر العفو عنه

— اذن فهو يعلم انه قد تم التوقيع على امر العفو ؟

— دون شك

فسقط الرئيس على كرسيه واهي القوى وقال ، لا سبيل الى لومك فقد اقمت بواجباتك غير اني نكد الطالع سيء البخت بفراق مثل هذا الحازم النشيط فدعني الان وحدي وعند ما يحضر ريموند جئني به وبأمر العفو

فانصرف السكرتير عائدا الى غرفته فلم يكد يستقر بها حتى دخل اليه حاجب يقول ان ريموند فور منتال يا سيدى على الباب يلتمس الاذان بالدخول اليه

— العله وحده ؟

— كلا بل يصحبه فتى يشبهه شبها كثيرا ولا بد ان يكون ابنه قال ، قل له يدخل

وبعد هنيهة دخل ريموند وابنه وعليهما علائم الابتهاج فبدأ ريموند الحديث شاكرا السكرتير على اعانته في الحصول على هذا العفو

فقاطعه السكرتير قائلا بلهجة عنيفة ، ان الرئيس ينتظرك وهو يريد محادثتك بشأن هذا العفو عنك فهلم معي اليه

— الا يمكن لابني أن يصحبني ؟

— اظن ان الاوفق بقاءه هنا فان أقامتك عند الرئيس لا تطول

ثم اخذ السكرتير الورقة المكتوب عليها العفو وسار مع ريموند الى غرفة الرئيس

اما بول فقد ساءه ماسمعه من عنف السكرتير وخشي ان يكون حدث ماقضى بالرجوع عن هـذا العفو ولا سيما وقد سمع السكرتير يقول لابيه ، ان الرئيس يريد

مباحثتك في شأن العفو عنك فجلس على كرسيه مطرقا مفكرا وهو يضرب اخماسا لأسداس

وأما رئيس البوليس فانه قرأ الامر بالعفو فقطب جبينه اذ رأى ان لا سبيل الى الرجعة فيه والتفت الى ريموند فقال له ، انك التمست العفو التام عنك اليس كذلك ؟

قال ، نعم يا سيدي

— ولماذا الم تكن في خير منصب عندي يحترمك رؤساؤك ويجلك زملاؤك وانت في احسن حال ؟

— هو ذاك يا سيدى غير انى اصبحت في حاجة الى الراحة للاعتناء بولدى فانه مريض كما تعلم

— ان غايتك شريفة وقصدك جليل يدفعك اليه حنو ابوى لا ينكر وقد شهدنا فيك خير الشهادات لدى الوزارة وهى شهادات سهلت سبيل العفو عنك .

اما الان فقد مضي هذا العفو فانت حر طليق

— اني لا اجد يا سيدى كلاما يفى بواجب الشكر والامتنان لما بذلته في سبيل مساعدتى

— نعم انك مدين بالامتنان لدائرة البوليس فقد احسنت معاملتك كما احسنت في خدمتها ولكني لا اجد بدا من تأنيبك

فاضطرب ريموند وقال ، ماعسى ان اكون فعلت ياسيدي مما يستحق التوبيخ؟

— الا تجد أنك مسيء ؟

— اية اساءة جنيتها ؟

— اسمع وأنا مخبرك الا تعلم انك مقيد معنا بمهمة خطيرة ؟

— هذا اكيد

— الا تعلم انك انت هو الذي اخترناه للبحث عن المجرمين في تلك الجنايات السرية التي شغلتنا الى أن اضطرنا الى كتمانها حتى نفوز فيها فنخبر بها الصحافة ورؤساءنا . . أنك تعلم كل ذلك يا ريموند واذا كان ذلك فهل يليق بالجندي أن يستقيل

ليلة المعركة . أن مثلك الآن مثل هذا الجندي وقد اسأت في اختيار الزمن في طلب هذا العفو حتى أني لا اكاد أحسب عملك جريمة بل خيانة

فخفق قلب ريموند وقال ، ولكني يا سيدي لست العامل الوحيد بأوامرك فأن لديك جيشا من رجال البوليس السري وكثيرون منهم يفضلوني نشاطا واقداماً وذكاء وخبرة في الاعمال فاذا عهدت بهذه المهمات الى واحد منهم يقضي حاجتك ولا اكون قد اسأت اليك في شيء . وبعد الم اكن لك من المخلصين في الخدمة؟

— أن اخلاصك لا تبرهن عنه الا في هذا اليوم وأنا أريد ان تقدم البرهان الاخير على هذا الاخلاص

- ولكني يا سيدي اعمل منذ عشرة اعوام وقد اضنكتني الخدمة

— وأنا غير محتاج اليك الا لبضعة أيام

فحاول ريموند أن يجيب ولكنه لم يجد متسعا من الوقت فأن باب غرفة الرئيس فتح فجأة بعنف شديد وظهر منه وزير الحقانية وهو مقطب الجبين وعيناه تتقدان بنار الغضب

فلما رآه الرئيس أمتقع لون وجهه وقال في نفسه ، هذا ماتوقعته ثم اسرع الى استقبال الوزير وانحنى أمامه انحناء عظيما كي يخفي اضطرابه

فلما رأى سكرتير البوليس الوزير داخلا اسرع مع ريموند بالخروج واقفل باب الغرفة عليهما

وعند ذلك بدأ الوزير الحديث فقال بصوت يتهدج من الغضب، أن اضطرابك واصفرار وجهك يدلان على أنه اذا كانت زيارتي قد أرعبتك فأنك كنت تتوقعها ولا شك انك تعلم أسبابها لاني أرى أمامك تلك الجريدة التي طعنت بك اشد الطعن والتي دعتني أن أسرع اليك اذا لم اطق صبر انتظار استدعائك . فهل كانت هذه الجريدة كاذبة فأعاقبها؟ فاطرق الرئيس برأسه دون أن يجيب

فقال له الوزير ؛ اذن أن الجريدة لم تكن كاذبة . . أربع جرائم تحدث في باريس دون أن يرفع الي تقرير واحد عنها وأنا اولى الناس بمعرفة هذه الجنايات ولكنك لما عجزت عن معرفة المجرمين وخشيت أن أعزلك لهذا التقصير بالغت في كتمان الامر

واخفيت هـذه الجنايات الهائلة . والآن فأن جمع أهل باريس يعلمون انه يوجد عصابة تفتك بالناس فتكا ذريعا وأن باريس اصبحت كمينا للابرياء من عباد الله في حين انه لدينا رئيس البوليس ورئيس للضبط وجيش من البوليس . ان ذلك هائل لا يطاق فماذا تجيب وكيف تدافع عن نفسك ؟

فتمتم الرئيس قائلا . لقد كذبت هذه الجريدة فان التحقيق اخذ مجراه وان عمال البوليس دائبون في التفتيش وفي كل يوم وساعة ترد الي تقاريرهم

— وماذا تفيد هذه التقارير؟

— لم نظفر بعد بنتيجة لسؤ الحظ ولذلك رأيت كتمان هذه الجنايات اولى حذراً من أن أرعب باريس بمثل هذه الجرائم قبل الظفر بالمجرمين

— لقد رأيت ياحضرة الرئيس ان حسابك كان غير صائب وان الجرائد قد فضحت امرك وهى التي تلقى الآن الرعب فى باريس لطعنها على البوليس واظهار عجزه الشائن ونعم انها مصيبة في نقدها غير متحاملة في طعنها عليك فان عجزك بات ظاهراً للعيان بل قد عميت بصيرتك . . اتعلم ماحدث هذه الليلة؟

— ايأذن لي سيدي الوزير ان اسأله عما حدث ؟

— أأعلم انا مايحدث فى باريس وانا وزير الحقانية وتجهله انت وأنت رئيس البوليس . اذن فاعلم فقد بات واجبا علي ان الفك الحوادث كما يظهر . انه قد حدثت جناية جديدة في هذه الليلة وقد جاءتني اليوم الكونتس دي شاتلو تطالبني بولدها التى عبثت به ايدو اولئك المجرمين

فاضطرب رئيس البوليس وقال ، الكونتس دي شاتلو!

— نعم هى بعينها وقد جاءت معي تطلب العدل والانتقام فاذا سألتك ذلك فماذا تجيب اتقول لا اعلم شيئا كما تعودت ان تقول

فصاح الرئيس قائلا ، رباه ما هذا في كل يوم جريمة خفية

— نعم وهى كسائر الجرائم لم يعرف مرتكبوها فقد بلغ من استخفاف المجرمين بك انهم يقدمون هذا الاقدام الغريب

- ولكن يجب يا سيدي الوزير ان تنظر الى امر وهو ان طريقة القتل بهذه الجنايات تخنق مساعينا في الابحاث

- ماذا تعني بذلك ؟

- اعني ان الذي ارتكب هذه الجنايات رجل مجنون لا عقل له وقد ارتكبها دون قصد خاص

- لم افهم بعد

فوصف له الرئيس عندذلك طريقة القتل وذكر له ماسمعه من الدكتور تومسون حين فحص جثة ابن الارملة وهو ان هذه الجنايات نفسها قد ارتكبها في اميركا في المانيا بعض المجانين من الاطباء وان الهوس كان يحملهم على القتل بهذه الطريقة بغية الامتحان

فلما اتم حديثه قال له الوزير ، مهما يكن من امر هؤلاء القتلة وسواء كانوا من العلماء او من مجانين الاطباء فاني امهلك اسبوعا للقبض عليهم فاذا لم تفعل فارسل الي استقالتك كي اعفيك

فأحمر وجه رئيس البوليس وقال ، اني سافعل المستحيل ولكنك انتزعت مني اشد قوة كنت اعتمد عليها في مثل هذه المهمات

- العله تعني ريموند فورمنتال ؟

- هو بعينه فقد وليناه البحث عن المجرمين وللمأمور الضبط ثقة تامة به

- الملك يرفض معاونتك في هذه المهمة ؟

- اني كنت أحادثه في ذلك قبيل دخولك فلقيت منه مقاومة شديدة

- اهو هنا الآن ؟

- نعم يا سيدي الوزير

- ادعه الي

وبعد هنيهة دخل ريموند فقال له الوزير ، أأنت هو المدعو فورمنتال الذي صدر العفو عنه أمس ؟

- نعم يا سيدي الوزير واني ابارك هذا الاتفاق الذي اتاح لي التشرف بالمثول امامكم وأظهار شعائر امتناني وخلوصي التي لا حد لها

- أن البرهان على هذا الخلوص والامتنان منوط بك

- كيف ذلك ؟

- ذلك انه كان انيط بك البحث عن اولئك المجرمين الذين ملاءوا باريس ارعباً في هـذه الايام ولـكن العفو الذي صدر عنك يحق لك به أن تتمتع بحريتك المطلقة وتعتزل خـدمة البوليس منذ اليوم فهل في نيتك التمتع بهذا الحق . اجب بحرية وجلاء

- نعم يا سيدي الوزير

- اذن اصغ الي فقد يحملك كلامي على الرجوع عن قصدك انك أب كما عرفت من عريضتك وقد دفعك الحنو على ولدك الى التماس العفو واعتزال الخدمة فانا اسألك بأسم اولئك الآباء الذين تنذرهم تلك العصابة بقتل بنيهم أن تبقى في الخدمة بضعة ايام وتعين البوليس على اكتشاف المجرمين ومنع تلك الجرائم فلا تكون مدينا لنا بالعفو عنك بل نكون مدينين لك اتجيبني بالرفض بعد هذا الرجاء ؟

فاضطرب ريموند وتردد في الجواب اذ تمثل له ابنه واعتلاله ولم يدر كيف يرفض طلب الوزير

وعند ذلك فتح الباب فجأة ودخل منه ولده بول فقال له ، ارجوك يا أبي ان تجيب بالقبول فان ذلك من واجباتك وساعينك انا ايضاً في قضاء هذه المهمة مغتنما هذه الفرصه كي اظهر امتناني لمن احسن الينا

ثم فتح باب آخر وسمع منه صوت أمرأة تقول ، وأنا انضم اليه يا ريموند

فصاح ريموند وولده بصوت واحد قائلين ، مدام دي شالو

فاجابت الكونتس قائلة ، نعم انا هي تلك الام القانطة التي لا رجاء لها الا بك في مساعدتها

فذعر ريموند وقال لها ، سيدتي ماذا اصابك ؟

فبكت الكونتس وقالت ، ان فابيان قد اختفى وربما كان قتيلا

ـ كيف ذلك يا سيدتى لقد ارعبتني

ـ انى انتظرته كل ليلة امس فلم يعد وقد كان ذهب الى ملعب جمباز في أول الليل ورآه صديقان له ولكنه لم يعد الى الان وهو يعلم ان مثل هذا الغياب قد يقتلني ولا ينسيه امه غير الموت . اني صحبت حضرة الوزير الى هنا وسمعت صوتك من وراء الباب فحدثني قلبى انك انت الذي ترد الي ولدي واذا كان قد قتل فانت تنتقم لي وله بالقبض على القاتل

فقال لها بول ، صبراً ياسيدتى الكونتس ان الله رؤوف وسيرشد ابى الى الاهتداء الى فابيان فيرده اليك حيا باذن الله

وقال لها ريموند ، انك ربيت ولدى طفلا يا سيدتى وسمعت آخر كلمة من فم أمرأتي المنكودة وأثر هذا الجميل طبوع في فؤادي لا يمحوه مرور الايام ولذلك اتعهد يا سيدتي انى لا اترك منصبي قبل ان ارد اليك ولدك وقبل ان اسلم اولئك القتله الاشرار ليد القضاء

فشكرته الكونتس واثنى عليه الوزير وقال له رئيس البوليس ، اذن تعال الي بعد الظهر لنتفق على ما يجب اجراؤه وخذ الان امر العفو عنك فقد برهنت لنا باخلاصك انك تستحقه

فأخذه ريموند بيد ترتعش من الفرح وعند ذلك عزى الوزير الكونتس بكلمات ملؤها الرجاء وذهب بها بول الى قصرها اما ريموند فانه عاد الى منزله لمقابلة كثيرين من عمال البوليس كان واعدهم على اللقاء

وأما الوزير فانه اقام هنيهة مع رئيس البوليس فاتفقا على تكليف شركة هافاس بتكذيب ما نشر في تلك الجريدة التي تقدم ذكرها

وقد يود القارىء أن يعلم كيف اتصلت هذه الانباء بتلك الجريدة على مبالغة البوليس بكتمانها ذلك أن مخبري الجريدة في باريس من ابرع الناس استقصاء للاخبار وقد عرف احدهم ان ربيبه لابار دهسه القطـار في شوازي وانهم سيحضرون جثته الى باريس فذهب الى منزل القتيل يوم تشييع الجنازه وباحث خادمة مدام لابار وكانت هذه الخادمة قد سمعت ما دار من الحديث بين النائب العام ورئيس

البوليس والدكتور تومسون حين فحص جثة رينيه فنقلت الى المخبر كل ما سمعته فصاغ الخبر في تلك المقالة التي نشرها وكان لها ذلك الدوي الشديد

***

ولنعد الآن الى ذلك الصياد المتفلسف فقد تركناه خارجا من الصيدلية بعد ان ضمد الصيدلي جرحه فكان أول ما فعله انه ذهب الى المكان الذي انقلب فيه قاربه في النهر فاخرجه الى سطح الماء وبحث عن عدة صيده فوجدها وعاد الى المكان الذي تعود أن يصطاد فيه فجعل يصيد وهو منصرف الفكر الى هذا الرجل الذي طعنه بالخنجر وسلبه المداليه فيفتكر في طرق معرفته والقبض عليه

وكان رائد تفكيره تلك المدالية فانه كان قد قرأ في الخمارة المقالة التي نشرتها الجريدة عن الجنايات فانذهل حين قرأ اسم رينيه لابار اذ كان يعلم انه مثله من أصحاب المداليات فقال في نفسه ، أرى أن جميع الذين يقتلون من وارثي الكونت دي تونوريو وبعد أن يقتلوا تسلب مداليانهم اذن لاغرض لهم الا سلب المداليات ولكن ما عساهم يصنعون بها وهي لا تفيد غير حامليها ولا يرتكب المرء جريمة قتل من أجل قيمة ذهبها الزهيدة . غير انه خطر لي خاطر اري انه لباب الصواب ولا بد من تنفيذه في الحال

وعند ذلك قام وذهب مسرعا الى المنزل الذي يقيم فيه بول

ولم يكن في المنزل غيرا لخادمة العجوز فقالت له حين رأته ، العلك قادم لترى بول؟

قال ، نعم اما هو في المنزل ؟

— كلا

— لعله في باريس ؟

— هو ذاك فان اباه عاد من السفر فكتب اليه في صباح اليوم أن يوافيه الى باريس

— الايعود في هذا المساء؟

— لا اظن

— ان هذا الاتفاق قد ساءني جدا

— الملك محتاج اليه لامر مستعجل ؟
— بل لامر خطير فهل تقولين لي يا سيدتي اين استطيع أن أجده في باريس
— دون شك فانك تجده في منزل ابيه في شارع سانت لويس نمرة ١٦
فشكرها الصياد وانصرف مسرعا الى المحطة فركب القطار ووصل الى منزل ريموند عند الظهر فلقي البواب وقال له ، العل المسيو بول فورمنتال في منزله؟
قال ، كلا فقد ذهب مع ابيه
— اتعلم متى يعود؟
— كلا فانهما لا يأكلان في المنزل ولكن الاب يعود اكثر الاحيان في الساعة الرابعة بعد الظهر فاذا عدت في هذه الساعة لقيته في المنزل
فتركه الصياد وانصرف مستاء فلم يسر بضع خطوات حتى وقف فجاءة وقد ظهرت عليه علائم السرور فانه رأى ريموند
وكان ريموند عائدا في ذلك الحين من ادارة البوليس يحمل في جيبه امر العفو عنه وقد اشرق وجهه بنور البشر فرأى الصياد ينتظر وقبعته بيده
فلما وصل اليه حياه الصياد وقال له ، اظن انك لم تعرفني ياسيدي
قال ، بل عرفتك حق العرفان يابني فانك تدعى بولنوا وأنت الذي ساعدت على انتشال الجثة من السين منذ بضعة ايام وهي جثة فوفيال
— هو ذلك يا سيدي
— العلك قادم لمقابلتي ؟
— نعم فاني أريد مقابلتك في خلوة
— وماذا تريد مني ؟
— اريد أن احادثك
— بماذا ؟
— بأمور خطيرة لا يمكن المباحثة فيها في قارعة الطريق
— اذن اصعد معي الى منزلي فلا يكون فيه سوانا

ثم صعد أمامه وتبعه الصياد فدخل به الى غرفته وقال له اجلس ، يابني وقل ما تشاء فلا يسمع حديثك احد

فجلس الصياد على كرسي وقال له ، يجب ان تعلم يا سيدي في البدء اني رفيق ولدك بول

— انت رفيق ولدي ؟

— بل معلمه فانا الذي علمته الصيد في المرن حيث يقيم في كربنيل فبرع به حتى بات يضارعني

— لقد ذكرت الآن فان ولدي حدثني عنك ولكن اسرع يابني في قول ما تريده فاني مستعجل

— لا استطيع الاسراع فان ما سأقوله لك شديد الخطورة وقد يحتاج الى وقت طويل

— اذا كان الامر خطيرا فاني اسمع كل حديثك

— اني ابدأ واقول انك تعرف كثيرا من الامور يا سيدي ولكنك لا تعلم اني مثل ولدك اي احد وراث الكونت دي تونو ربو

— الحق اني لا اعلم ذلك بل اني نسيته فاني حين سمعت اسمك ذكرت اني سمعته منذ عهد بعيد فامض في حديثك يابني

— واني كنت احمل يا سيدي مدالية كالتي يحملها ولدك وسائر الذين ولدوا في القسم السادس من باريس في ١٠ مارس سنة ١٨٦٠ بحيث يقدمونها للكونت حين بلوغهم سن الرشد او لمنفذ وصيته اذا كان قد مات فيدفع لكل منهم مبلغاً عظيما من المال كما يقولون

— ولكن يجب ان تعلم ان الكونت قد مات

— لقد عرفت ذلك

— وان الوصية قد سرقت

— لقد عرفت ذلك ايضا من المسيو فابيان دي شانلو

— اذن لم يبق لك رجاء بالارث

— ربما

— ماذا تعني بقولك ربما ؟

— اعني به ان وصية الكونت قد سرقت دون شك ولكن المال الذي تركه لورثائه لم يسرق وعندي انه اذا جمعت هذه المداليات وجمعت الحروف المكتوبة عليها يمكن بها ايجاد المال

— لقد فكرت في ذلك قبلك

— ولكن خطر لي ايضا ما أظنه لم يخطر لك وهوأن طريقة الاهتداء الى مكان المال بواسطة جمع المداليات مذكورة فى الوصية وان سارق الوصية يحاول جمع هذه المداليات بقتل اصحابها او بمحاولة قتلهم

فاصغى ريموند الى الصياد كل الاصغاء كانما أمل ان يجد من حديثه نورا يشق حجاب تلك الظلمات عن تلك الحوادث المخيفه ثم قال له ، ما الذي يحملك يابني على ان تظن هذا الظن ؟

فقال الصياد ، ولكن الامر ظاهر للعيان يا سيدي فقد قتلوا أميدي ديفرناي احد ورثاء الكونت وقتلوا خطيبته التي كانت تحمل المدالية وسرقوها وقتلوا رينيه لاباو وسرقوا مداليته وحاولوا قتلي امس فلم يظفروا بي ولكنهم ظفروا بمداليتي

فارتعش ريموند وقال ، احاولو قتلك أنت ؟

— نعم ولايزال اثر الجرح باديا في صدري

— متى كان هذا الاعتداء ؟

— منذ اربعة ايام

— اين ؟

— في كرنيل على ضفاف المرن

— اعرفت المعتدى ؟

— كلا فقد رأيته لاول مرة فقال لي أنه عامل ميكانيكي وانه مولع بالصيد

— قص علي الحادثة بتفصيلها

فقص عليه الصياد حادثته على ماعرفها القراء ثم قال له ، اني اعلم يا سيدي ان ولدك

يحمل مدالية الكونت فاتيت كي احذرك فتقيه كيد الاشرار ثم اني اتيت استشيرك اذا كان يجب أن أبلغ البوليس حادثتي

- لا حاجة الى ذلك فقد تبلغها لاني أحد المفتشين في ادارة البوليس ولقد احسنت يابني بمجيئك الي فانك قد تكون خير عون لي في هذه المهمة الصعبة

— لقد عهد اليك بالبحث عن المجرمين اليس كذلك يا سيدى ؟

— نعم وقد بت وا ثقا الآن انهم لايريدون غير ورثاء الكونت فانهم فتكوا باربعة للان وامس كان دور فابيان دي شاتلو

فذعر الصياد وقال ، ماذا تقول ياسيدى اقتلوا فابيان ؟

— لم يقم الى الان دليل على موته ولكني اخشى أن يكون قتيلا فانه اختفى منذ يومين والآن قد ضربوا جميع اصحاب المداليات ولم يبق غير فتاة لا اذكر اسمها وولدي

— لا تدعهم بالجمع يا سيدي فقد يكونون واحداً لاعصابه

— كلا فان هذه الجرائم الخطيرة يؤسسها واحد وينفذها شركاء والان الم تقل لي ان هذا الرجل الذي حاول قتلك سلبك المدالية ؟

— نعم

— كم يبلغ عمر هذا الرجل

— يظهر انه بين الخامسة والعشرين والثلاثين

— اليس في وجهه أو جسمه علائم يستدل منها عليه ؟

— كلا على أني اذا رأيته مهما تنكر أعرفه من عينيه والويل له عند ذلك

- الى ابن انت ذاهب الآن يابنى ؟

— اني عائد الى كريتبل فتى يعود اليها المسيو بول ؟

- في هذا المساء اتعدني انك لا تفارقه

- دون شك فاعتمد يا سيدى علي في مراقبته

- انى اعتمد عليك ولكن لا تدعه يعلم انك تراقبه

وعند ذلك انصرف الصياد وبقي ريموند وحده فقال في نفسه ، ويلاه لقد جاء دور ولدي اذ لم يبق سبيل للشك انهم يريدون قتل جميع ورثاء الكونت وسأضع

حوله الرقباء الحاذقين فيحولون بينه و بين الخطر المائل الذي ينذره والان فلا بد لي من الذهاب الى دائرة البوليس والحصول منها على امر يبيح لي أن اكون مطلق التصرف في هذه المهمة

وعند ذلك خرج من منزله فقال للبواب انه يعود في الساعة السابعة وذهب الى احد الفنادق فتغدى ثم ذهب الى رئيس البوليس فذهل الرئيس لقدومه وقال له ، ماجاء بك الان انى لم اكن اتوقع قدومك ؟

قال ، انى علمت امورا كثيرة بعد مفارقتك وهي امور خطيرة ثم روى له ما معه من الصياد فاجفل الرئيس وقال له ، ماذا استنتجت من كل ذلك ؟

— استنتجت انهم لا يقتلون غير ورثاء الكونت

— وماذا عزمت ان تصنع ؟

— التمس منك قبل كل شيء أن تأذن لى فاكون مطلق التصرف

— لقد اذنت لك

— ثم ان تأذن لي بمقابلة خادم غرفة الكونت دي تونوريو

— الشيخ جيروم؟

— هو بعينه

— ماذا ترجو ان تنال منه؟

— لا اعلم بعد وكل ما ارجوه ياسيدي ان تثق بى ثقة تامة وان لاتسألنى عن شيء اذ يستحيل علي ان اجيبك كما اسألك ان تكتم حديثي معك الان اذ لا يجب أن يعلم احد سواك انى بدأت العمل

فابتسم الرئيس وقال ، تكتم عني ايضا خطتك لا بأس فقد رضيت لثقتي بك وهذا هو الامر المؤذن لك بمقابلة جيروم

ثم كتب له صورة الامر وقال له ، ان جيروم في سجن مازاس

— انى ذاهب اليه

ثم تركه فركب مركبة وذهب بها الى ذلك السجن

كان هذا الشيخ المنكود منذ وفاة الكونت مسجونا في غرفة مظلمة ضيقة

وقد زاد في عذابه ان جميع الادلة تثبت انه سارق الوصية وسارق المال رغم براءته فهزل حتى اصبح لا يعرف لهزاله وقد طال النظر في قضيته حتى انهم استشهدوا فيها نحو خمسين شاهداً

وكان ريموند يعرفه حين كان يزور الكونت فلما جيء بهذا الشيخ المنكود اليه علم لاول وهلة انه بريء وأنه ضحية اهل الشر فاستقبله بلطف البشر وقال له ، اجلس يا جيروم امامي لنتحدث

فجلس جيروم وقال له بصوت خنقته العبرات ، الملك قادم يا سيدي لاخباري بتعيين موعد محاكمتي ؟

— كلا ايها الصديق فلست قادماً اليك باخبار سيئة بل جئتك بعكس ذلك

— العلهم وجدوا السارق ؟

— كلا ولكنهم يرجون القبض عليه

— اذن لقد بدؤا يعلمون اني بريء

— لم يوقنوا بعد من براءتك ولكنهم على وشك الاعتقاد بها ولا سيما اذا ساعدت القضاء

— وماذا اساعده ؟

— بالاقوال المخلصة الصادقة

— ولكني كنت صادقاً منذ بدء التحقيق فلم اقل غير الحق . اني لم اسرق وصية سيدي وما مددت يدي الى شيء من ماله وما انا الذي نزع الاختام فانا بريء من كل هذه التهم

— ليس عندي ريب في ماتقول واقسم لك بشرفي اني واثق كل الثقة من براءتك فقد عرفتك منذ عهد بعيد وعرفت صفاتك غير ان جميع الدلائل تؤيد تهمتك

— اذن لم يبق سبيل للخلاص فماذا اصنع وكيف ادافع عن نفسي ؟

— اصغ الي يا جيروم ولا تسترسل الى اليأس فقد عهد الي البحث في هذه المهمة الخطيرة ففتشت وفحصت قصر الكونت وقرأت جميع اوراق التحقيق فظهر لي

جليا أن سارق لوصية والمال خبير باحوال القصر و بعادات الكونت واين يضع اوراقه وامواله وعندي أن السارق قد دخل الى القصر بعد خروج الجنازة

— ذلك مستحيل

— لماذا ؟

— لأني اقفلت جميع الابواب بيدي وكانت المفاتيح معي

— ا كنت وحدك المستولي على مفاتيح غرف الكونت الخاصة ؟

— نعم

— اذن كيف دخل السارق وماذا تظن بهذا الشأن ؟

— لم يبق افتراض لم افترضه ولكني ما وجدت فرضا ممكن الحدوث

— اتذكر انك اخبرت احداً بأن الكونت يضع اموالا في منزله ؟

— كلا

— اكان يزور الكونت كثير من الناس ؟

— لم يكن يزوره احد بعد وفاة الكونتس وابنتها غير القليل من الاخصاء

— أكان يقيد حساباته بنفسه ؟

— نعم

— ومراسلاته اهو يكتبها

— نعم

— اكان يطلعك بعض الاحيان على شيء من اعماله؟

— كلا

— اذن كيف عرفت انه كتب وصيته ووهب فيها اصحاب المداليات

— لانه كان يتحدث بذلك امام كل الناس

— انهم وجدوا بين اوراق الكونت اوراقا ليست من خطه فهل كانت من خطك؟

— كلا فانه لم يستكتبني شيئا

— أكان لديه نساخ ؟

- كلا واذا وجدت اوراق من غير خطه فقد تكون من خط سكرتيره القديم باسكال سونيه

فارتعش ريموند واتقدت عيناه ببارق من الرجاء فقال ، باسكال سونيه ؟

— نعم فقد كان سكرتيره يدعى بهذا الاسم

— اما هو جميل الوجه في مقتبل الشباب حكم عليه منذ نيف وثلاثة اعوام بالسجن ثلاثة اعوام ؟

— هو بعينه يا سيدي فقد ارتكب جريمة التزوير وقد كان متوقد الذهن شديد الذكاء غير انه كان سيء السيرة وقد اشتبهت في سوء سلوكه وحاولت مرارا تحذير سيدي الكونت فلم انجح الى ان افتضحت جريمته وأرسل الى سجن نيم

فوقف ريموند وجعل يسير في الغرفة دهابا وايابا بخطوات غير متوازنة ثم وقف لجانة وقال له ، اكان للكونت ثقة بباسكال ؟

— كانت ثقته به شديدة لما وجده من علمه وأدبه وطيب حديثه

— الم يكن لباسكال مفتاح للقصر ؟

— بل كان لديه كثير من المفاتيح من مفتاح باب الحديقة الى مفاتيح غرف الكونت الخاصة وهذا الذي كان يحملني على الخوف منه لما كنت اعلمه من سوء سلوكه وقد خطر لي أن يكون هذا الفتى سارق الوصية والمال

— اترى انه السارق ؟

- لا اؤكد ولكنه اولى بالتهمة

— الم تخبر قاضي التحقيق بشيء من هذا ؟

— كلا

— لماذا ؟

— لاني اشفقت ان اتهم رجلا قد يكون بريئا ثم انه قد يكون باقيا في السجن وقد يكون أيضا اعطى الكونت ما كان لديه من المفاتيح حين خرج من قصره الى السجن

— هذا ممكن ولكنه غير اكيد اليس كذلك ؟

— دون شك فانى اقوله على سبيل الافتراض

— لقد قلت لي أن باسكال كان لديه مفتاح باب الحديقة

— نعم وهذا الباب يستطيع الدخول منه الى غرف الكونت الخاصة فان الكونت كان يبيح له بالدخول متى شاء

ففكر ريموند هنيهة ثم قال، أن الحقيقة قد ظهرت يا جيروم وأن باسكل سارق الوصية

— أتظن ذلك ؟

— بل اؤكده لأن جميع القرائن تدل عليه فان مثل هذا الفتى المزور لا يرجع للكونت مفاتيح منزله على أمل الاستفادة منها واذا صح هذا الافتراض وبقيت المفاتيح معه فهو الذي دخل الى المنزل وهو الذي سرق الوصية وقرأها ولقد أصاب الفتى الصياد بقوله أن الكونت خبأ المال وكتب في وصيته طريقة الوصول اليه بجمع المداليات فلم يعد له بد من جمع هذه المداليات . نعم ياجيروم أن الحقيقة قد اتضحت وأن هذا الرجل ليس سارقاً فقط بل هو قاتل سفاك فأنه قتل فوفيال الكتبي ودفرناي وخطيبته وريني لابار وحاول قتل بولنوا ولا شك أنه قتل فابيان دي شاتلو وهو الآن يتهدد ولدي

فذعر جيروم وقال، اقتل فابيان . اولدك في خطر؟

— نعم فان هذا القاتل يريد الحصول على المداليات وقتل أصحابها فأنها اذا جمعت دلت كلها على المال المخبوء فاطمئن يا جيروم أن براءتك ستظهر وسيطلقون سراحك في وقت قريب

فرفع جيروم يديه الى السماء وقال، أعانك الله في كشف هذه الجرائم والقبض على هذا السفاك الاثيم

— اعتمد علي يا جيروم فسأفارقك الآن ولكننا سنجتمع قريباً وسأكون أول من يحمل اليك بشارة البراءة باذن الله

ثم تركه وعاد مسرعا الى رئيس البوليس

فاستقبله الرئيس باشاً وقال له ، ما وراءك من الاخبار ؟

قال ، أظن اني ظفرت بالمجرم والآن سأكتب تلغرافاً باسمك وأرجوك أن تأمر بارساله في الحال ثم أخذ ورقة وكتب عليها التلغراف الآتي

« من مدير البوليس العام الى مدير سجن نيم

« ارسل في الحال كل تعليماتك عن باسكال سونيه المحكوم عليه بالسجن ثلاثة أعوام بجريمة تزوير واكتب اذا كنت تعرف أين ذهب بعد خروجه من السجن »

فأخذ الرئيس التلغراف منه وأرسله في الحال فقال له ريموند ، أين أعرف الجواب؟

قال ، هنا فسأخبر سكرتيري كي يطلعك على كل تلغراف يرد من نيم حين غيابي

فشكره ريموند وانصرف عائداً الى منزله

***

لقد أصابت أميلي فيما توقعته من أن بول سيغتنم فرصة لاستئناف الزيارة لكي يراها فأنه بعد أن أوصل الكونتس دي شاتلو الى منزلها وطيب قلبها بما تيسر له من كلام الاماني عاد تواً الى منزل الدكتور توسون فوجده غاصا بالقادمين اليه للاستشفاء بطبه فطلب الى الخادم أن يخبر الطبيب باسمه فلما دخل الخادم وأخبر مولاه بقدوم بول قطب حاجبيه وقال في نفسه ، أنه ما جاء الا ليرى اميلي ولكني لا اكترث به الآن فقد حكم عليه بالاعدام حكما باتا لا يحتمل النقض

ثم أمر الخادم أن يدخله اليه في الحال وتكلف البشاشة فقابله بملء الارتياح

ودار الحديث بينهما في البدء على تلك الحملة التى أعدها الدكتور فاظهر بول أعجابه وأعجاب الناس باتقانها ثم تطرق الدكتور الى البحث عن صحته فسأله اذا كان الدواء قد انتهى

فأجابه ، أنه لا يزال باقياً منه مايكفيه ثلاثة أيام

قال ، اذن اتم شربه وعند انتهائه عد الي ثم سأله عن أبيه فقال له ، ألم يعد من رحلته بعد ؟

قال ، كلا

— متى تنتظر أن يعود ؟

— بعد أسبوعين

- وهل أنت مقيم وحدك في مدة غيابه ؟
- نعم
- لا بد أنك تضجر من الوحدة ولاسيما في هذا الشارع المقفر الذي تقيمون فيه
- ولكني غير مقيم في باريس الآن بل أنا في الخلاء
- لقد ذكرت اني نصحت أباك أن يقيم معك في الخلاء التماساً للهواء النقي ففي اية جهة تقيم ؟
- في منزل في كريتيل كائن على ضفة المرن
- نعم واذكر اني رأيتك أول مرة في هذه القرية
- ومنزلنا فيها قريب جداً من منزلك الجبل و بستانه العجيب

فابتسم جاك وقال في نفسه ، أنه لا يعجب بهذا البستان الا لأنه نظر فيه اميلي أول نظرة ولكني أريد أن أمتحن أيضاً

وانطلق بول في وصف هذا البستان حتى انتهى بتشبيهه بالفردوس

وعند ذلك باغته جاك قائلا ، انك عرفت ربيبتي دون شك في هذا البستان

فأدرك بول لفوره أن الطبيب يريد امتحانه فلم يقع في فخه وقال له ، اني لم أتشرف بمعرفة مدموازيل كراشان يا سيدي الا حين قدمتني لها ليلة الاثنين

- أأنت واثق مما تقول ؟
- كل الثقة فان مثل وجه ربيبتك لا ينسى
- اهي جميلة في عينيك ؟
- بل هي نادرة الظرف وآية الجمال كانها خلقت كما اشتهت فقد تجمعت فيها كل المحاسن و . .
- وماذا ؟
- وان من يحبها وتحبه يكون دون شك من أسعد الناس
- أراك تتكلم عنها بلهف
- بل بصدق واخلاص وشهد الله انى لولا تدلهي بتلك الفتاة التي قد يقضي علي بان لا أراها لما هام قلبي بغير ربيبتك

فقال جاك فى نفسه ، العل هذا الفتى الغر يسخر بى ولكنه قد يكون صادقا وذلك سيان عندى فقد حكم عليه بالموت

واستأنف بول الحديث فقال اتأذن لي ياسيدى ان اراها واقدم لها واجب احترامي

فقال جاك فى نفسه ، انها لاتنتظره ويستحيل ان تكون متوقعة حضوره فاذا اضطربت حين تراه يبدو اضطرابها لعيني النقادة ولايبقى لدي شك بان هذا الفتى يخدعني فلامتحن الامتحان الاخير ———

ثم اجاب بول فقال له ، دون شك فانها مقيمة فى هذه الغرفة وسأناديها اكراما لك ثم ناداها بصوت مرتفع ففتحت باب غرفتها ودخلت الى قاعة جاك فرأت بول ولكنها لم يبد عليها شيء من الدهشة فانها كانت تتوقع حضوره وقد سمعت صوته من غرفتها ولكنها ابتسمت ابتسامة غريبة اشكل فهمها على جاك

فدنا بول منها وانحنى بملء الاحترام فقال لقد التمست يا سيدتى من سيدى الطبيب ان يأذن لى بالتشرف بتقديم واجبات احترامى لك وان أذكر محاسن تلك الليلة البهيجة التى لا انساها لانى تشرفت بمعرفتك فيها

فاجابته الفتاة قائلة، اشكرك يا سيدى لهذه الذكرى التى تفضلت بها وانا اذكر ايضا بسرور مسامرتنا فى تلك الليلة وارجو ان تعود الى زيارتنا فنعود الى مثل تلك المسامرات .

فلم يستطع جاك ان يستنتج من هذا الكلام مايدل على غرام . اما بول فانه انحنى امامها ايضا وقال لها ، انى احسب نفسي سعيداً حين استطيع الاستفادة من اذن الدكتور لي بترددى على منزلكم وليس اليوم يوم زيارات كما ارى فان القاعة غاصة بالمرضى وانا اختلس وقتهم الثمين فاسمحي لي يا سيدتى أن اشكرك وان اودعك على امل اللقاء

ثم ودعها وودع جاك وانصرف

فلما خلا جاك بنفسه قال، يستحيل ان يملكا نفسيهما الى هذا الحد فقد كنت اراقبهما اشد المراقبة فلم تبدر منهما بادرة تدل على صدق ما يعتقده باسكال من تبادل الحب بينهما ولا شك ان باسكال منخدع وان الغيرة اعمت بصيرتى لخدعت

انخداعه . . ان اميلى لا تحب بول فأذن لماذا ابت ان تهبني قلبها وهى لم تهبه لاحد . .
ولكنها ستحبني ولا بد لها ان تحبني في مستقبل الايام

ولنعد الان الى ريموند فانه حين رجع الى منزله وجد اثنين من عمال البوليس السري ينتظرانه عند الباب فأشار اليهما ان يصعدا معه وسأل البواب عن ابنه اذا كان قد حضر فقال له ، نعم أنه حضر فلم يجدك فذهب الى السوق لشراء ما يحتاج اليه في كريتيل

ثم صعد مع الرجلين الى غرفته وكان احدهما يدعى فرنيه فقال له ، العل لديك اوامر تصدرها الينا يا سيدي ريموند ؟

قال ، نعم ايها الصديق وهي اوامر خطيرة

— الها علاقة بالمهمة التي نشتغل فيها ؟

— دون شك أتعرفان ولدي ؟

— اننا نعرفه بالنظر

— اذن فاعلما ان الخطر يتهدده

— ومن الذى يتهدده ؟

— تلك العصابة التي نبحث عنها ولولدي علاقة شديدة بهذه العصابة لا أستطيع كشف سرها ولكني اعهد اليكما بأمر رؤسائي أن تراقبا ولدي كل المراقبة فان حياته في خطر وربما فضحت مراقبتكما هذه العصابة

— كن مطمئناً يا سيدي ريموند فاننا لا نفارقه لحظة فاعتمد علينا

— ان ثقتي بكما شديدة فاذهبا منذ الآن الى كريتيل ولينم كل منكما في فندق من الفندقين المشرفين على المنزل الذي يقيم فيه ولدي فتتناوبان مراقبته حين يكون في المنزل وحين خروجه منه تتبعانه واذا رأيتم أحداً حادثه فاجتهدا أن تعلما من هو وما يريد منه والخلاصة يجب أن تكونا دائماً بالقرب منه كي تزودا عنه الخطر اذا تعرض له أحد بسوء

— كن مطمئناً فاننا مسؤولان عنه

— ويجب أن تتنكرا هناك بزي تجار يأتون الى الخلاء للمصيف واعلما ان ولدي

يحب الصيد وهو شاغله الوحيد في كريتيل فتظاهرا بالميل الى الصيد كي يتاح لكما أن تكونا دائماً بالقرب منه.

— سنفعل كل ذلك ولكن ايجب أن نراقب المنزل في الليل ؟

— الى الساعة العاشرة فقط حيث ينام جميع الناس في تلك القرية فان تصرف هذه العصابة يدل انها لا تقتل من تريد قتله في منزله بل تنصب له فخاً وتقوده الى المحل الذي تختاره وهناك تبلغ منه ما تريد. ثم اني سأخبر خادمتي مدلين بأمركما فتعرف بكما وتشترك معكما في المراقبة السرية وان لولدي صديقاً بالصيد يدعى بولونوا ويلقب هناك بالفيلسوف الصغير فاذا رأيتماه مع ولدي فلا تهتما لأمره فهو صديق وقد عهدت اليه بمراقبته ايضاً.

— سنفعل كل ذلك بالتدقيق فمتي تريد أن نسافر ؟

— في هذا المساء فخذا الان ما تحتاجان اليه من النفقات ثم اعطى كلا منهما خمسمائة فرنك وقال لهما ، بقي علي أن اوصيكما بأن تكونا دائماً مسلحين وهو آخر ما أوصيكما به الان

وعند ذلك سمع صوت فتح الباب الخارجي فأطل ريموند من الشباك وقال ، هو ذا ولدي ولا يجب أن يراكما عندي فاخرجا من هذا الباب فخرجا وأقفل الباب

وخلا بول بابيه فهنأه بنيله حريته وأخبره بزيارته الدكتور تومسون ثم سأله أن يأذن له بالاشتراك معه في البحث عن المجرمين . فرفض ريموند رفضاً باتاً وقال له ، كلا فانك لم تخلق لهذه المهنة الشائنه ثم انك سمعت ما قيل هناك وهو ان حياتك في خطر

قال ، اني لا أبالي بالاخطار في سبيل اعانتك على بلوغ غايتك الشريفة وكيف أستطيع ان الزم الحياد بعد ان علمت بما جرى . قال ، بل تلزم الحياد يا بني ولا تبرح كريتيل اذا أردت أن تطيعني فانك اذا كنت معي يتغلب علي الحنو وانصرف الى مراقبتك فلا أستطيع الوفاء بما تعهدت به من الظفر بالمجرمين أما اذا كنت في كريتيل فلا اخشى عليك مكروهاً

— اذن ما يجب ان اعمل ؟

— تبيت الليلة هنا وتعود في الصباح الى كريتيل فتحذر على نفسك كل الحذر وظن سوءا بكل من يحدثك وانت لاتعرفه ولا تبتعد عن المنزل ولا تخرج منه في الليل وفي الجملة أريد أن تحذر وأن تخاف حتى من ظلك فلا تدق بأحد الى أن يزول الخطر واظفر بالمجرمين

— كن مطمئنا يا ابي فسأحرص كل الحرص على ما اوصتني به

— نعم انى مطمئن عليك بعض الاطمئنان لما اعهده بحكمتك فبالغ بهذه الحكمة واحرص على ملازمة بولنوا الصياد لأنه يحبك وملازمته اياك تعينك على اتقاء الخطر

— هذا لا ريب فيه

— ولا تخرج من المنزل الا بعد أن تضع المسدس في جيبك ولاتتردد في اطلاقه على من تظنه يريد بك الاساءة والآن هلم بنا يابني الى العشاء فانى سأعود بعده الى دائرة البوليس . و بعد ساعة عاد بول الى المنزل وذهب ريموند الى رئيس البوليس فأراه الرئيس التلغراف الوارد من سجن نيم وهذا نصه

« من مدير سجن نيم الى رئيس البوليس »

« ان باسكال سونيه ولد في باريس وأطلق سراحه في ٢٣ مايو مع سجين آخر « يدعى جاك لاجارد وهو طبيب من بلدة جوانيني وقد شوهدا سوية في نيم يوم « اطلاق سراحهما وسافرا معا في المساء في القطار الحديدي »

فقال ريموند ، ولكن ذلك لا يفيدنا شيئا فأننا لم نعلم الى أين سافرا

قال ، هو ذاك ولكن مدير السجن غير ملوم بعدم تعقبهما فانهما لم يحكم عليهما بالمراقبة بعد الخروج من السخن

وعند ذلك دخل الحاجب يحمل تلغرافا الى الرئيس ففتحه وقال انه من نيم أيضا وهو يتضمن بيان صفات باسكال ووصف تقاطيع وجهه وملامحه فقال ريموند ، ان كل ذلك لا يفيدني شيئا فان جميع الفتيان يتشابهون في دفاتر السجون واقلام الجوازات غير ان مدير السجن يقول في تلغرافه أنه غدا يخبرنا عن المكان الذي سافر اليه جاك لاجارد و باسكال سونيه بعد خروجهما من السجن فلنصبر الى الغد . فقال له رئيس البوليس ، اتظن أنك ستجد فيما سيكتبه مدير السجن ادلة تهديك الى المجرمين ؟

— هذا كل ما أرجوه الان.
— يظهر لي أنك مشكك بباسكال سونيه
— بل اني أتهمه
— وعلى أي شيء تعتمد في هذه التهمة ؟
— على ماضي الرجل وما عرفته من سلوكه
— اذن أنت تعتقد أن باسكال هذا سارق وصية الكونت دي تونوريو
— بل اعتقد أنه السارق والقاتل
— ولكن ما حملك على حصر تهمتك بهذا الرجل وأية علاقة له بهذه الوصية؟
— انه كان مدة عامين سكرتيرا خاصا للكونت وكان يثق به ثقة لا حد لها ويعتمد عليه في جميع مهامه

— لقد أصبت يا ريموندفان ماضي الرجل وشدة اتصاله بالكونت يرجحان اعتقادك فلا بد لنا أن نعلم أين هو وأين ذهب منذ خروجه من السجن وسأرسل الى مدير السجن تلغرافاً اخر متى وردتنا التفاصيل

— ماذا تريد أن تسأله ؟
— اريد أن أسأله عن الذين كانوا يراسلونه وهو في السجن وكم كان لديه من النقود حين خروجه منه

— نعم فان ذلك مما يهم معرفته والآن التمس من سيدي الرئيس ان يأذن لي بالعودة الى منزلي فليس لي ما اعمله الليلة

— اذهب وسنلتقي غدا . فتركه ريموند وانصرف عائداً الى منزله وكان التعب قد أعياه فنام بعد أن تفقد ولده مستريح البال راجياً أن يظفر قريباً بالمجرمين

* * *

لقد عرف القراء أن باسكال كان عازماً على السفر الى جوانييني كي يسترجع مدالية اميلى من بنك الرهونات

ففي الساعة العاشرة من ذلك اليوم ركب القطار المسافر الى تلك المدينة بعد ان قلد توقيع اميلى أتم التقليد فوصل اليها وذهب تواً الى ذلك الفندق الذي أقام فيه مع

جاك حين خروجهما من السجن وهو الفندق الذي عرفا فيه اميلي كما تقدم في مقدمة هذه الرواية. فلما رآه صاحب الفندق احسن استقباله وسأله عن السبب في عودته. فقال له ، اني قادم لاشغال عرضت لي فجأة . قال ، اني لا اسألك عن الدكتور تومسون فانه بخير دون شك

— كيف ذلك الملك واقف على اخباره ؟

— ومن لا يعلم باخباره فان شهرته قد ذاعت في كل البلاد الفرنساوية ولم تبق جريدة لم تظهر اعجابها بحذقة ومهارته

— انه يستحق فوق هذه الشهرة فانه من احذق الاطباء

— وهو يكسب الأموال الطائلة بعد هذه الشهرة ؟

— انه يكسب قدر ما يريد ولكنه يبالغ باحتقار المال

— اني أعرف ذلك منه حق العرفان فقد برهن لنا عنه حين كان في فندق خير برهان فأرجوك أن تخبرني عن مدموازيل اميلي جرانشان كيف حالها

— إنها بخير وعافية

— الا تزال على ما كانت عليه من الجمال ؟

— بل زادت جمالا فهي فتنه الناظرين

— وهي لا تزال حزينة دون شك لفقد أمها

— هو ذلك غير ان شدة عناية الدكتور بها تخفف لوعة احزانها

— أرجوك معذرتي يا سيدي فقد أطلت الحديث حتى شغلت به عن سؤالك فهل تريد أن تأكل ؟

— اني اكاد اموت جوعا فائتني بما تيسر من الطعام وسنتحدث مليًا بعد ذلك ولكنني ارجوك ان تجيبني الى سؤال قبل ذهابك

— قل يا سيدي ماتشاء

— ايوجد عندكم بنك للرهونات ؟

— دون شك الك شأن بهذا البنك؟

— نعم.

— اخشى يا سيدي ان تكون برحت باريس فجأة ونسيت ان تحضر ما تحتاج اليه من المال فاردت ان تستعين بهذا البنك فاذا كان ذلك فلا حاجة اليه فان لدي من المال ما يكفيك،

— اشكرك لحسن ظنك بي ولكنني اريد الذهاب الى هذا البنك للدفع لا للقبض فان احد اصحابي رهن فيه حين مروره بهذه المدينة بعض مجوهرات فعهد الي ان استرجعها حين علم اني قادم اليها والان قل لي اين يوجد هذا البنك

— في أول السوق الكبير

فشكره باسكال وانصرف صاحب الفندق فاعد له الطعام وبعد ان اكل ذهب توا الى البنك يعرض عليه بوليسة اميلي ودفع قيمة الرهن فاعطاه العامل ايصالا بما دفعه وقال له ، عد غدا في الساعة التاسعة من الصباح لاستلام المتاع المرهون

— ولماذا لا تعطيني اياه الآن ؟

— لان صندوق الرهونات مقفل الان والمدير غائب ولا يحق لسواه تسليم الرهونات

— ولكن في باريس ..

فقاطعه الموظف قبل ان يتم جملته وقال له ، اننا في جوانيني لا باريس

فلم يجد باسكال فائدة من الالحاح فتركه وانصرف عائدا الى الفندق ينتظر الغد بملء الجزع

***

ولنعد الان الى ريموند فانه نهض في الصباح فزود ابنه بنصائحه وحذره كل التحذير ثم اوصله الى المحطة وعاد الى رئيس البوليس فوجد انه ورده تلغراف من نيم يتضمن ما يأتي

« ان باسكال سونيه سافر ليلة خروجه من السجن مع صديقه ورفيقه في السجن جاك لاجارد الى جوانيني وهي مسقط رأسه

فسر ريموند لهذا النبا وقال ان الشقيين سافرا الى جوانيني وساذهب انا ايضاً اليها فقال له رئيس البوليس ، ماذا تصنع فيها ؟

— ارجو ان اقتفي أثرهما منها فقد بت واثقا الان ان اللصين يعملان يدا واحدة فان طريقة القتل كانت تدل على ان القاتل جراح وجاك هذا من الاطباء

— ولكنك لا تطمع ان تجدهما في جوانيني كما اظن

— دون شك فانهما في باريس غير اني احب ان اعلم ماكانا يصنعان في جوانيني ولا بد ان يكونا تركا في تلك المدينة أثرا يرشدني اليهما دون ان يعلما واحب قبل سفري أن تأذن بأن اسأل مدير السجن باسمك سؤ لا آخر

— افعل

فاخذ ريموند ورقة و كتب عليها التلغراف الآتي

« نرجو الافادة اذا كان قد ورد لجاك وباسكال رسائل مدة سجنهما واخبارنا

« عن اسماء الذين كانوا يراسلونهما وهل كان لديهما نقود حين خروجهما من السجن »

ثم ارسله و بعد ساعة ورد الى رئيس البوليس الجواب الآتي

« كان يرد لباسكال رسائل ونقود من امرأة في باريس كان يقول انها قريبته

« وهي تدعى انجل مورتين اما جاك فلم يرده غير رسالة واحدة من المسجل في بولبني

« وذلك منذ بضعة اسابيع فلما خرجا من السجن كان لدي باسكال ثلاثمائة فرنك

« وجاك خمسمائة »

فاتقدت عينا ريموند حين تلاوته ببارق الرجاء وقال « يجب ان نبحث عن انجل فان باسكال لا بد أن يكون قد زارها حين قدومه الى باريس

فقال له رئيس البوليس، وأنت اتسافر الى جوانيني ؟

— نعم

— متى ؟

— في هذه الليلة فاصل في الساعة العاشرة وفي الصباح اشرع بابحاثي

فاعطاه رئيس البوليس ما يحتاج اليه من النفقات وزوده بامر الى بوليس جوانيني كي يساعده في ابحاثه فسافر في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم

واندفع القطار يسير به الى جوانيني ولنعد الى ذلك السجين الذي غادرناه في قبو بتي كاستل وهو فابيان دي شالوفانه بعد أن كاد يتفجر من الغيظ واليأس وبعد ان

نفذت جعبة حيلته في سبيل الخروج من ذلك السجن انطرح على سريره وهو مضطرب من الحمى فنام نوماً عميقاً يشبه نوم التخدير فلم يستفق الا بعد عدة ساعات فلما فتح عينيه زالت الحمى عنه وعادت اليه سكينته فذكر جميع مامر به من الحوادث فايقن بعد التفكير ان الدكتور تومسون قد سجنه بغية الانتقام منه ولكنه قال في نفسه ان هذا السجن لا يطول وسيكون لي وله شأن امام المحاكم الفرنساوية بعد اطلاق سراحي

ثم خطر له فجاءة أنه يريد قتله ولكنه عاد فقال انهم لو كانوا يريدون قتلي لما تركوا لي طعاما ولقتلوني جوعا

وعند ذلك دنا من مائدة الطعام فرأى عليها زجاجة زيت ونواسة فحسب الامر هزلا ولم يعد يشغله الا امه فكاد يجن اشفاقا عليها لانه لم يخبرها بزياراته لربيبة الدكتور تومسون ولا تعلم شيئا من امر حبه اياها فلا بد ان تحسبه ميتا ولا سبيل للاتصال بها او مكاتبتها لتطمينها فاذا طال غيابه فهي تجن او تموت يأسا ولكن هل يطول بعاده عنها

هذا ما كان يشغله ولكنه كان يتعزى حين يفتكر ان انجل واميلي لا يمكن ان تكونا شريكتي الدكتور تومسون في سجنه مهما ستعملان على انقاذه دون شك

وعند ذلك اصلح المصباح فوضع فيه زيتا بحيث زاد نوره ونظر في ساعته فرأى أن الساعة الثانية عشرة فلم يعلم اذا كان الوقت وقت الظهيرة او انتصاف الليل فوضع ساعته على اذنه فسمع حركة آلاتها فقال في نفسه لا شك اننا في وقت الظهر فقد وصلت الى هذا المنزل في الساعة الحادية عشرة مساء فاكون قد نمت ثلاث عشرة ساعة وفوق ذلك فاني اشعر بجوع شديد فلانهج منهج الفلاسفة ولاصبر الى أن يتجلى هذا المعمى فاذا كانوا يريدون ممازحتي فللمزاح نهاية واذا كانوا يريدون قتلي فاني استقبل الموت ثابت الجأش فلست من اهل الخلود

ولا بدأ الآن من فحص هذا السجن ثم طاف بمصباحه في جوانب سجنه فقال لا شك انني في قبو لا منفذ فيه الا من بابه الحديدي ولماذا جعل هذا الباب من حديد العلهم جعلوه لي خاصة كي لا استطيع الفرار وما هذا الطعام الذي وضعوه لي انه سينفد ولا بد ان يحضروا لي سواه فانهم لا يريدون قتلي جوعا كما يظهر وعند ذلك اعلم حقيقة حالتي ممن يحضر لي الطعام

ولكني لا اجد رجاء بانجل وابلي فانهما عادا الى باريس دون شك بأمر الدكتور فلا قتل الوقت بالطعام وليفعل الله ما يشاء

وعند ذلك ذهب الى المائدة ومد يده للطعام فأرتعش

وقال في نفسه الا يمكن ان يكون هذا الطعام مسموما ثم هز كتفيه وقال ، لا شك اني مجنون فلا غرض لاحد بقتلي ومهما بلغت غيرة الدكتور لا تدعه الى ارتكاب هذه الجريمة الشائنة

وكانه اطمأن لهذا التعليل فاكل ما كان موجودا من الطعام لشدة جوعه وشرب نصف زجاجة من الخمر ثم انطرح فوق سريره وجعل يتمعن في حالته الغريبة

وفيما هو تائه في هواجسه سمع صوتا يشبه صوت انسياب المياه وخيل له ان هذا الصوت صادر من تحت سريره فامعن في الاصغاء فوجد أن الصوت متصل فنزل عن سريره وأزاحه وركع على الارض يفحص مصدر الصوت فرأى بلاطة كبيرة وفي وسط هذه البلاطة شق مستدير مغطى بحجر وهذا الحجر مثقوب في وسطه ثقبا صغيرا فكان يشبه ابواب المجاري والفرق بينهما أن باب المجارى يكون من الحديد وهذا من الحجر

فادخل فابيان اصبعه فى ثقب الحجر راجيا ان يستطيع نزعه من البلاطة فلم يستطع لان الحجر كان متينا ولكنه كان يسمع ان الماء يجرى على مسافة قريبة ويرى نورا خفيفا من خلال ثقب الحجر فايقن ان ذلك مجرى مياه ولكنه لم يعلم من اين مصدره

وحكايه هذا المجرى ان صاحب هذا المنزل الذى يدعونه بتي كاستل حفر فى بستانه ترعة تستمد ماءها من نهر المرن وقد بني هذا القبو فوق الترعة وجعل بابها فى ارضه وهو الباب الذي رآه فابيان فكانوا بعد ان يطغى النهر طغيانه المعتاد ينزلون الى الترعة من ذلك الباب لتنظيفها

اما فابيان فقد قال في نفسه ، انه يوجد منفذ دون شك ولا عبرة بطين الحجر اذ يمكن ازالته بسكين فارفع الحجر بسهوله

وعند ذلك سمع وقع أقدام خارج باب القبو فاضطرب واسرع الى السرير فرده

الى موضعه وللحال فتح الباب ودخل منه الدكتور تومسون وهو يحمل سلة طعام فوضعها على الارض ووقف ينظر الى فابيان وهو مصفر الوجه ودلائل الشر بادية بين عينيه

فوقف فابيان وقال له بلهجة ملؤها العظمة والكبرياء

اني سأقف الآن على غايتك من هذا المزاح الثقيل

فأجابه جاك ببرود ، اني مخبرك بما تريد أن تعلمه فما أتيت الا لهذا

— أبمثل هذا القبو بل بمثل هذا السجن تريد أن تخابرني

— نعم بهذا القبو أو بهذا السجن كما تقول

— ولكنك منخدع فاني لا أقيم دقيقة فيه

وحاول فابيان أن يخرج من الباب ولكن جاك حال بينهما وقد صوب اليه مسدسه وقال، اذا خطوت خطوة ايضاً فأنت من الهالكين

فوقف فابيان في مكانه وقال ، لقد حسبتك تمازحني فاذا بك تكيد لي

— احسب ما تشاء فلا أناقشك في الالفاظ

— ولكنني أريد الخروج من هنا

— وأنا اريد أن تبقى

— انى أصيح واستغيث

— لقد صحت واستغثت قبل الآن فلم يجبك الا الصدى فاعلم الآن انك اسيري واني فاجأتك في منزلي وأنت تحاول هتك عرضي فحق لي قتلك غير انى لم اقتلك لسبب ستعلمه

— أنت يحق لك قتلي ؟

— دون شك

— اتقتلني لأني أتيت اقول لربيبتك انى أحبها ومتى كان ذلك جريمة تستحق الموت

— انك لم تدخل خلسة الى منزلي الا لتلوث شرفي بالعار لاعتقادك انه يسهل عليك خديعة فتاة طاهرة سليمة النية لم تعرف شيئاً من تجارب الحياة ولم تخطىء

الا لثقتها بأقوالك المموهة ووعودك الكاذبة ان الكونت دي شاتلو لا يريد أن يتخذ اميلي كرانشان حليلة له بل يريد أن يتخذها حليلة ولكني كنت أراقبك الحسن طالعها فحلت دون قصدك السافل .

— انك تهينني بهذه التهمة الشائنة اهانة لا اغتفرها لك فانى احترم ربيبتك بقدر ما أحبها وقد جئت الى هنا لتجديد وثاق العهد بالزواج ودليلي على صدقي انى اخطبها اليك الآن بصفتك القيم عليها الديك شك بعد هذا بحسن قصدي واذا كنت تعتقد انى اسأت بدخولي الى المنزل خلسة فان حسن قصدي وما سمعته الآن مني يشفعان بهذه الاساءة.

— كلا ان طلبك الزواج بربيبتي لا يغفر اساءتك الي

— لماذا ؟

— لانك مزاحمي فى حبها

— كيف يخطر لي انك تريد الزواج بربيبتك ؟

— الم يخبروك انى أحبها ؟

— نعم ولكني أبيت التصديق

— لماذا ؟

— لأن عمرك يبلغ ضعفي عمرها

— ليس فى الحب اعمار ومع ذلك فانى لست من الكهول

— دون شك ولكنك اذا كنت تحبها فانا أحبها ايضاً

— وأنا لا أستطيع الصبر على مزاحمتك فانك جميل الوجه نضير الشباب شريف النسب قد تفوز علي امامها ويكون فوزك خطراً يجب ان اتلافاه ولذلك حق لي ان اقتلك غير انى ارحم شبابك وابقي عليك فاذا أردت الحياة فاقسم لي يميناً

— اذا كنت تريد القسم ان لا احب ربيبتك فقد خاب سعيك فانى أحب الحياة ولكني لا اشتريها بحلف الايمان الكاذبة

— انى أدع لقلبك مطلق الحرية بحبها ولكني اريد أن تقسم لي انك لا تحاول أن تراها خلسة وأن لا تراسلها ولا توسط بينك وبينها رسولا فهل تقسم هذه اليمين ؟

فاضطرب فابيان ووقف موقف المتردد فقال له جاك ، انك اذا ابيت الا أن تكون حائلا بيني وبينها فاعلم يقينا انك لا تخرج من هنا حيا فاحلف اليمين أو الهب دماغك بهذا المسدس

فقال فابيان فى نفسه وقد هاله بريق عينيه ، ان هذا الوحش يقتلني لا محالة ولا سبيل لي الى الدفاع فخير لي انقاذ حياتى رحمة بأمي وسنرى بعد ما يكون فاذا كانت اميلى تحبنى حقيقة وتحتقره فهي تأبى أن تكون امرأته كل الاباء

فقال له جاك ، انى لا ازال انتظر فعلى ماذا عولت؟

— على أن أحلف اليمين التي تكرهني على حلفها

— اتقسم بشرفك ؟

— اقسم بشرفي

— لقد أحسنت والان فانى أطلب اليك أن تعيد الي صورة ربيبتي ليكون ذلك أول برهان على حسن قصدك

وقد كان جاك يحاول منذ بدء المحادثة أن يصل الى غاية كان واثقا من نيلها فقد قال في نفسه، أننا لم نجد صورة اميلي معه حين فتشناه فهو قد وضعها فى منزله في محل خفي لانه يكتم حبه عن أمه ولاشك أنه قد وضعها فى ذلك المحل الذى وضع فيه المدالية

أما فابيان فانه اجفل لهذا الطلب وقال له صورة اميلي . . . . ولكن . . .

— لا تكذب وأنت منذ هنيهة كنت تؤثر الموت على الكذب انك اخذت صورة ربيبتى من يد انجل انجسر بعد ذلك على الانكار ؟

— كلا ولكن هذه الصورة ليست معي الان

— أين هي اذن أفى منزلك ؟

— نعم وفى غرفتي

— أنك تريد أن تستبقيها عربونا لحبها وتعرضها فى غرفتك بحيث يراها جميع أصحابك

— لا حق لي بعرض صورتها بل اني وضعتها فى صندوق

— وهذا الصندوق يمكن فتحه لمن يشاء

— كلا فان مفتاحه معلق بعنق لا يفارقني

— ولكن كيف تقول انك تحترم ربيبتي وانت تضع صورتها بين صور خليلاتك

فتهدج صوت فابيان من الغضب وقال ، لا ادرى ايها الرجل ما يحملك على التعرض لي بهذه التهم الشائنة فان رسم ربيبتك ارفع عندي من ان ادنسه بوضعه مع رسوم خليلاتي بل اني وضعته مع اشرف وا جل تذكار عندي

انى وضعته مع وسام الشرف المهدي الى ابى من الامبراطور ومع المدالية المهداة لي من الكونت دي تونو ريو يوم ولادتي

فاتقدت عينا جاك لوقوع فابيان في الفخ الذي نصبه له اذ علم ما كان يريد ان يعلمه فقال له بلهجة المندهش . . تقول مدالية الكونت دي تونوريو ؟

— نعم

— الملك من ورثاء هذا الكونت ؟

— هو ذاك

— اذن فقد ولدت يوم ولدت بنته

— نعم وكان ذلك في ١٠ مارث سنة ١٨٦٠

— وكذلك اميلي فقد ولدت في هذا التاريخ

— اهي من ورثاء الكونت ايضا ؟

— نعم وهي عندها ايضا مدالية من الذهب عليها هذا التاريخ

— ويجب أن يكون عليها حروف كد اليتي

— هو ذاك وقد قرأتها فلم افهم شيئا فما هي الحروف المكتوبة على مداليتك ؟

وقد سأل جاك هذا السؤال بلهجة تدل على عدم الاكتراث التام غير ان فابيان تنبه في الحال لقصده اذ كان يعلم الجنايات التى ارتكبت بسبب هذه المداليات فاتقدت عيناه بنار الغضب وقال له

ويحك ايها الشقي لقد افتضح امرك فانت سارق وصية الكونت وانت قاتل

ورثائه الابرياء للاستيلاء على مدالياتهم وانك لم تجد المدالية مني حين كنت مغميا علي فاردت ان تعلم سرها

نعم لقد انجلى المعمى وعرفت الان انك تستخدم جمال هذه الفتاة لجذب الابرياء الى هوتك الجهنمية وأن اميلي وانجل شريكتاك في هذه الجرائم الهائلة . نعم انك احتلت علي وجئت بي الى هنا لتسرقني ثم لتقتلني فاقتلني مازلت اعزل من السلاح لا استطيع الدفاع

— نعم ان حياتك الان بين يدي وقد قضى عليك بالاعدام

— ان الله ينتقم لي بل قد انتقم لي فانك لن تعلم ما كتب على المدالية

— سانال المدالية نفسها

— هذا محال

— بل سأخذها من الصندوق الموجود فيه رمم اميلي ووسام ابيك

— ايها اللص انك لم تنلها بعد وستدافع امي عنها

— اذن انالها بعد قتل امك اذا اضطررت الى قتلها . الى اللقاء يا سيدي العزيز فاننا سنلتقي مرة بعد وستكون الاخيرة

ثم تركه وانصرف فحاول فابيان ان يهجم عليه غير مكترث لمسدسه ولكن ذلك الباب الحديدي اقفل في وجهه فعاد وهو يتخبط في يأسه ويقول ، ويلاه ماذا اصنع ؟ أن هذا السافل قد يقتل امي وليس لديها من يدافع عنها الان فكيف السبيل الى الخروج من هذا السجن ؟

وعند ذلك افتكر فجاءة بالمنفذ الذي اكتشفه قبل دخول الدكتور تومسون اليه فاصغى فسمع أن صوت المياه لا يزال كما كان فقال، لا بد لى من نزع الطين عن الحجر ومتى فعلت رفعت الرخامة ووجدت منفذا الى النهر فاسرع الى سكين الطعام فأخذها من المائدة وازاح السرير وجعل يحاول نزع الطين عن الحجر بثبات غريب

اما جاك فانه عاد الى باريس وهو يقول، لا بد لي من اخذ المدالية من الصندوق ولو اضطررت الى حرق القصر

فلما وصل الى منزله في باريس استقبلته انجل فقالت له ، هلك فزت بالمهمة ؟

— كلا

— لماذا ؟

— لانه لا بد لنا من اغتصاب قصر دي شاتلو فان المدالية فيه

— ألديك طريقة لاغتصابه ؟

— نعم ولكنها طريقة عنيفة ارجو أن يجد باسكال خيرا منها وسنتحدث بعد رجوعه

وعند ذلك جاءت اميلي وكانت ساعة العشاء قد دنت فقاموا جميعهم الى المائدة وجعل جاك يكثر من شرب الخمر خلافا لعادته كانه يريد أن يسكر اما لنسيان أمر يزعجه التفكير فيه وأما لانه يريد الاقدام على امر يحتاج فيه الى جرأة لا يجدها في حال الصحو

وكانت انجل تراقبه وأما أميلي فكانت مسترسلة بافكارها الى ما لا نعلم ولعلها كانت تناجي من تحب فأن علائم الارتياح كانت بادية بين عينيها

وقد طال جلوسهم على المائدة فأن جاك لم يقم منها الا في الساعة التاسعة فقال لاميلي، اني أريد أن احدثك بأمر خطير

فانكرت الفتاة لهجته وقالت ، قل فاني مصغية اليك

— كلا لا احب محادثتك هنا

— لماذا ؟

— لان الامر خطير كما قلت لك

— اذن لنذهب الى قاعة الاستقبال

— انها لا توافق ايضا لهذه المباحثة

— اذن اين تريد أن نتحادث ؟

— اسمحي لي أن اصحبك الى غرفتك

فاضطربت الفتاة لهذا الطلب ولكنها لم يسعها الا الامتثال فقالت له ، ليكن ماتريد وذهبا الى غرفتها فجلس بازائها وعيناه تتقدان بشعاع غريب فقال لها ، انك لم

تنسى دون شك حديثنا منذ عهد غير بعيد في هذه الغرفة نفسها حيث اظهرت لك مكنونات قلبي

فأرتعشت الفتاة وعلمت مراده من المحادثة فقالت له ، وانت الملك نسيت ماوعدتني به ؟

— أني لا انسى شيئا

— بلى اراك نسيت مالك وعدتني وعدا جازما أن لا تحدثني بكلمة عن غرامك قبل أن تنقضي مدة حدادي

— هو ذاك فقدوعدتك بأن اسكن هيجان قلبي وأن اكبح جماح غرامي مدة عام وما وعدتك الا على نية الوفاء ولكني رأيت هذا الوفاء مستحيلا علي

— كيف يستحيل عليك ؟

— نعم فان الحب قد تملك قيادي فهو يدفعني الى الامام ولا اجد سبيلا لصد تيار هذاالغرام ولقد كنت احسب أن وجودك في الحفلات وافتتان عشاق الجمال بك مما ينشرح له صدري فاذا بنظراتهم اليك تحرق قلبي وأنا الان في اسوأ حال ولا تخمد جذوة يأسي فاذا طال هذا اليأس فهو لا محالة قاتلي . . اميلي يجب أن تكوني امرأتي قبل شهر . فوقع هذا الكلام على الفتاة وقع الصواعق وشعرت كانما الارض تميد بها فلم تعلم في البدء كيف تجيب. واستأنف جاك الحديث فقال، نعم يجب ان تكوني امرأتي ولا ينقضي هذا الشهر حتى يكون ما أريد . فوقفت الفتاة عند ذلك وقالت له بلهجة ملؤها العزيمة والثبات. كفي يا سيدي الطبيب فاني لا أحب أن أسمع من هذه الاقوال فوق ما قد سمعت . ولقد اصبت في قولك ان هذه الحالة لا تطاق فاني استمهلتك الى حين ينقضي زمن حدادي فاجبت سؤالي ثم نكثت بما وعدت فاسمع الان جوابي انك لقيتني يتيمة واحسنت الي احسانا لا انساه ابد الدهر ولكني احب ان اقطع الآن هذا الاحسان وأعود فقيرة يتيمة كما كنت ولا يسعني مبارحة منزلك في ظلام الليل ولكني سأبرحه غداً . فأرتعد جاك وقال، أنت تبرحين منزلي ولماذا ؟

— لاني أحب أن اكون مستقلة ويكون قلبي وارادتي لي بل لاني لا اريد ان اكون عبدة لاحد .فغضب جاك وقال،انك تريدين الخروج من منزلي لتكوني اسيرة

لعشيقك، فهاجت كبرياء اميلي لهذا القول وقالت له، أنت تهينني وأنت تعلم يقينا انك كاذب فيما تدعيه فاني دخلت الى منزلك نقية وسأخرج منه كما دخلت

— كفاك تمويها وازيحي برقع التكلف فما أنا ممن ينخدعون بهذه الاقوال أتحسبين انى لا اعلم احتقارك اياي وحبك لسواي . انى اعلم كل مايجول في نفسك ولم تخف علي خافية من ابتساماتك الكاذبة . نعم انك تأبين أن تكوني امرأتى لان قلبك غير طليق فرفضت ذلك المحسن اليك الذي انتشلك من مخالب الشقاء المؤدي الى العار والجرائم وهـذا الغرام الذى تحسبين انى اجهله قد تولد في بتي كاستل وانما في باريس تحت سقف منزلي . نعم أن عشيقك قد زارك امس فاتفقت واياه على خداعي ومثلتما دوركان افضل تمثيل ولكن نظراتى كانت تخترق حجب ضميرك فما خفي علي هذا التمويه . والان لقد وضح لك انى اعلم من سرك ما تعلمين فاكذبى قدرما تشائين

وقد كانت اميلى تسمع حديثه دون أن تحاول مقاطعته ولكنها كانت تضطرب من الغضب حتى اذا تم حديثه قالت له، نعم لقد كنت كاذبة وقد كتمت عنك اسرار قلبي شأن كل امرأة مع الرجل الذي لا يحق له الوقوف على اسرارها

— اذن أنت لا تنكرين ؟

— كلا

— وحقيقة انك تحبين ؟

— احب بملء جوارحى ومن أحبه جدير بى واذا كنت قد كتمت حبه عنك فذلك لا شفاقى عليه من عدائك وحقدك ولهذا سألتك مهلة عام كى أطمئن عليه والآن انى اميط الحجاب فاعلم انى اهوى بول فورمنتال وسأحبه ما حييت وقد أحببته حين رأيته وكان ذلك في بيتى كاستل كما قلت وخلوت به في الحفلة التي أعددتها فتعاهدنا على الحب الابدى . ولقد كنت كاذبة بل كنت منخدعة حين قلت لك انى لا أنسى جميلك ابد الدهر فقد اتضحت الان غايتك من ذلك الجميل فانا انتزع من قلبي ذلك الامتنان الذي لا تستحقه واخرج من منزلك غدا فقيرة يتيمة ولكن فقري لا يدفعني الى العار والجريمة كما قلت بل الى بول الذي ينتظرني الى أن يطلق سراحي

— واذا ابيت انا أن تخرجي من منزلى وان تحبي هذا الفتى ؟

— ومتى كنت الحاكم على ارادتى وبأى حق تتولى امري ؟
— بحق وصايتى عليك
— لست وصياً علي
— انى انتشلتك من وهدة الشقاء واقمت في منزلى فوجب عليك طاعتي
— كلا انى لا أعترف لك بها الحق وجعلى اسيرة عندك فان الاسير يقطع قيوده
— ولكن قيودك متينة لا تقطع ؟
— اذا كنت قادراً على منعي من مبارحة منزلك فافعل .
— وسافعل
— باية طريقة ؟
— بالقوة اذا اكرهتني على استعمال القوة
— ولكن يد القضاء فوق يدك واذا ابت الحكومة الدفاع عنى دافعت عن نفسي
ثم اخذت عن المائدة مقطع ورق من الفولاذ ذا شفرة رقيقة كالخنجر فتسلحت به وقالت له ، انى لا اطعنك بهذا السلاح بل اطعن نفسى فان الموت هو الحرية ايضاً والان اسألك أن تخرج من هنا فانى اريد ان أكون وحدي . فادرك جاك لفوره انها ثابتة العزيمة وانها تقتل نفسها لا محالة فزالت اعراض سكره وعلم انه جرى شوطا بعيداً واخطأ خطاء لا يغتفر فانها اذا برحت منزله واجتمعت بمن تحبه يكونان خطراً عظيما عليه فمد يديه اليها وقال لها بلهجة النادم ، امیلی اسألك العفو عن اساءتى اليك وارجوك نسيان ما مضى فقد افرطت في الشراب وكنت كالمجانين
قالت ، وانا احب أن انسى اهانتك التى لا تلصق بى ولكن عزمي الاكيد لامرد له
— الا تزالين مصرة على الخروج من منزلى ؟
— نعم
— هذا محال
— بل انى سأبرح منزلك غدا
— احاقدة انت علي الى هذا الحد ؟
— لا أحقد عليك ولكنى مشفقة

— واذا اقسمت لك يميناً محرجة انى لا اعود بعد الان الى مباحثتك بما كان يجول في نفسى من امر الزواج ؟

— لا اصدقك

— واذا اطلقت لك السراح ؟

— انى حرة ولا صلة بينى و بينك

— واذا برهنت لك عن ندمي الاكيد ؟

— كيف تبرهن عن ذلك ؟

— بان أقول لك حبى بول فورمنتال وكونا سعيدين فاني لا افرق بينكما بل اسر بهنائكما

— انت تقول ذلك !

— نعم

— اذن اعتقد أن السكر دفعك اليوم الى قول ما قلته

— واذا اضفت الى ذلك انى ازوجك به على ان لا تدعيني وحدى لان وجهك يذكرنى ابنتى العزيزة فماذا تجيبين ؟

— اجيب انك اذا زوجتنى من بول انسى كل مامضى

— اقسم لك انك ستكونين امرأته بعد شهر

— بماذا تقسم ؟

— بابنتى

— اتأذن لبول بزيارتى كل يوم ؟

— كلا ليس الان بل ليس هنا فستذهبين الى بتي كاستل وهناك تستقبلين خطيبك حين تشائين الى ان اتمود ان ادعوه ولدى كما ادعوك بنتى . فنظرت اميلى محدقة اليه كأنها تريد ان تعلم اذا كان صادقا في وعوده او انه يحاول خداعها فلم يتبين لها من لهجته وملامحه غير الصدق وقالت في نفسها ، قد يكون حبه لي صادقا فضحى نفسه لهنائي وكانما جاك قد ادرك ما يجول في خاطرها فقال لها. اقبلى فسأحبه كما أحبك وتكونان ولدى . قالت ، اني رضيت ونسيت كل مامضى فمتى تذهب الى بتى كاستل ؟

- بعد غد اذا اردت

- اريد دون ريب وبعد شهر تفي بما وعدت اليس كذلك ؟

- لقد اقسمت لك انك تكونين زوجته بعد شهر اتغفرين لي الان ؟

- لقد غفرت لك حين وعدك واصبحت الان لا اذكر حرفا من حديثك الذي آلمني به في هذا المساء . وهنا جعلت تبكي فحاول جاك ان يدنو منها غير انها تراجعت منذعرة فقال لها ، الا تزالين تشككين بي ؟

- كلا ولكني في حاجة الى الصلاة

فرأى جاك انها تريد ان تكون وحدها فقال لهـا ، اذن الى اللقاء يا ابنتي . استودعك الله

وخرج من الغرفة حتى اذا اقفل الباب وراءه قال يخاطبها في نفسه ، انك قد قضيت على نفسك بالاعدام ايتها البلهاء . ودخل الى مضجعه فبات بليلة الملسوع

***

اما ريموند فانه سافر الى جوانبني الساعه الثامنة من المساء فوصل اليها في الساعة الحادية عشرة فبات تلك الليلة في احد الفنادق وصحا في الساعة التاسعة وكذلك باسكال فانه ذهب في الساعة نفسها الى بنك الرهونات فأخذ المدالية وعاد بها الى باريس

واما ريموند فانه ذهب في الساعة العاشرة الى رئيس النيابة واخبره عن الغرض الذي جاء من أجله ثم اخبره ان جاك لا جارد من اهل هذه المدينة وسأله اذا كان يعرفه اياه . فاجابه رئيس النيابة كلا فاني في هذه البلدة من عهد قريب ولا اعرف فيها غير القليل من اهلها ولكني ساعين لارشادك بوليسا حاذقا ولد في المدينة فاستعن به على مباحثك . ثم ارسل حاجبا يدعو اليه هذا البوليس فجاءه بعد هنيهة فامره ان يكون بمعية ريموند وان يساعده في كل ما يريده . فسأله ريموند عند ذلك اذا كان يعرف عائلة لاجارد

قال ، يوجد هنا ثلاثة يدعون بهذا الاسم وما هم اقرباء وكان يوجد رجل رابع يدعى بهذا الاسم ايضا ولكنه مات في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٧٨ وله ولد حكم عليه سنة ١٨٧٤ بالسجن خمسة اعوام

— انى ابحث عن هذا الرجل فهل تعرف السبب الذى حكم عليه من اجله ؟

— نعم فانه اشترك مع احد الورثاء بقتل موروث غني كان يتولى معالجته

— كيف ذلك اكان جاك لا جارد هذا من الاطباء ؟

— بل من حذاقهم ولكنه فاسد السيرة

— انه منذ ثلاثة اشهر اى منذ خروجه من السجن جاء الى هذه المدينة لاشغال عائلية فهل علمت بقدومه ؟

— كلا وفى اعتقادى انه لم يحضر فانه كان مشهور فى هذه المدينة فلو جاء اليها كما تقول لتحدث به جميع الناس وفوق ذلك فاني اعرفه حق المعرفة ولكني لم اره

— ولكنه جاء لى هنا ليقبض ارث ابيه

— انه يستطيع قبض الارث دون ان يحضر وذلك بان يوكل من يقبضه عنه وفي كل حال فان التحقيق سهل لاننا سنعلم من المسجل اذا كان قد جاء بنفسه او ارسل وكيلا عنه

— أتريد أن تصحبني الى هذه المسجل ؟

— دون شك ويجب أن تسرع قبل أن يزدحم عليه الزبائن . قال ، هلم بنا . وبعد حين كانا عند المسجل فقال له ريموند ، اننا قادمان يا سيدي لنسألك عن رجل يدعى جاك لاجارد كان محكوماً عليه بالسجن فهل أتى اليك بعد خروجه من السجن لقبض ميراث أبيه ؟

قال ، نعم وقد كان ذلك منذ ثلاثة أشهر

— أجاء هو بنفسه ؟

— نعم فقد جاء الي في ٢٥ مايو وعاد في اليوم التالي للتوقيع على أوراق وبعد ذلك ببضعة أيام قبض مني قيمة الارث وهي تزيد على عشرين الف فرنك

— اذن قد أقام عدة أيام في جوانيني ؟

— سبعة أو ثمانية أيام على الأقل

— أتعلم اين كان يقيم في هذه المدة ؟

— كلا فاني لم اسأله ولكني أرجح انه كان مقيما في أحد الفنادق

— اكان وحده يا سيدي هنا أم كان يصحبه أحد ؟

— كلا لم يكن وحده فقد اخبرني حين كان يسألني التعجيل في قضاء مهمته انه يصحبه صديق مضطر الى الاسراع في السفر

— ان هذا الصديق كان باسكال سونيه دون شك

— لم يذكر امامي اسمه

— الم يقل لك الى أين يريد السفر بعد مبارحته جوانيني ؟

— أظن انه كان يريد السفر الى لندرا

— لا شك انه كان كاذباً فان مثل هؤلاء الناس لا تدفعهم مطامعهم الا الى باريس

وعند ذلك استأذن ريموند المسجل بالانصراف فشكره وخرج مع البوليس فقال له وهما على الطريق ، ان هذا الشقي لا بد أن يكون ترك أثراً في المدينة حين اقامته فيها وقد يكون اسمه في سجل الفندق الذي أقام فيه فلنبحث في هذه السجلات

— بل لنبدأ بالغداء ثم نعود الى البحث فانه سيطول لكثرة البيوت المعدة للغرباء في هذه المدينة عدا عن فنادقها

فامتثل ريموند وبعد الغداء ذهبا الى الفنادق وبينها الفندق الذي أقام فيه جاك وباسكال وجعلا يفحصان دفاترها

* * *

أما باسكال فانه قد وصل في هذه الساعة الى باريس

فاستقبله جاك جازعاً لغيابه وقال له ، ماذا فعلت افزت بنيل المدالية ؟

فطرح باسكال المدالية على المائدة وقال له ، لقد نلتها ولكن بعد العناء الشديد

فقبض عليها جاك بيد تضطرب من الفرح وجعل يتمعن فيها فقال له باسكال وأنت يا جاك العلك فزت بمهمة فابيان ؟

— اني فزت ولم افز

— كيف ذلك ؟

فقص عليه ما جرى له مع فابيان مما عرفه القراء فقال له باسكال ، اننا سنفوز بالمدالية دون شك فاني اجد سبيلا الى غرفة فابيان

— لقد كنت معتمدا عليك بايجاد الواسطة

— وانا قد وجدت الواسطه وهي بسيطة فاسمعها

انك تقتل فابيان بطعنة خنجر ثم تدع في جيبه بعض رقاع زيارته وتلقى جثته في شارع عام فمن وجده ذهب به في الحال الى أمه فينتشر خبر المصيبة وتذهب لتعزية أمه وا كون معك وبعد تعزيتها تطلب ان ترى القتيل فتدخل امه ..مك الى الغرفة التي يكون فيها وبينما هي تبكي وانت تشاركها في بكائها ادخل انا الى الغرفة الموجود فيها ذلك الصندوق الصغير واسرقه

— اذن الى الغد

— ارضيت بهذاالمشروع وعولت عليه ؟

— دون شك

— اترضى ايضا أن نقتل اميلي ؟

فاجابه جاك بصوت ابح ، نعم يجب ان تموت كسواها

— بورك فيك ايها الصديق فقد حالت عزيمتك دون غرامك . . وماذا نصنع ببول فورمنتال ؟

— ما نصنعه بعشيقته اميلي

— كيف يكون قتلهما في بتى كاستل؟

— سنتحدث بذلك

— لماذا لا نتحدث به الان ؟

— اذ يوجد لدينا ما هو اهم من هذا البحث وهو ان نجمع مالدينا من المداليات عسانا نقف من مجموع حروفها على السر اذ لم يعد ينقصنا منها غير اثنتين

— لا شيء يمنعنا من التجربة ولكني غير واثق من الفوز فهات المداليات

فجاء جاك بها ووضع كل نوط بازاء الآخر واملى على باسكال ماقرأه من كلماتها فتألفت منها هذه الجملة

« من كرنج دي مير . . . الدرجة السابعة السوداء مبتدئا من زاوية

فلما قرأ جاك مجموعها ضرب الارض برجله مغضبا وقال ، لم افهم شيئا من النوطين الباقيين

فقال له باسكال ، اني اعرف اسماء قصور الكونت دي تونوريو فهو يريد بقوله « كرنج دي مير قصره المعروف باسم قصر كرانج دى مير لافونتين

— انظن ان المال مخبؤ في هذا القصر ؟

— بل اني واثق من وجوده فيه تحت درجة سوداء ولكن من أية زاوية يجب ان تعد الدرجات .. ان حل هذا اللغز محال الا اذا ظفرنا بالنوطين

— ليطمئن قلبك فستظفر بهما والان خذ ورقة وا كتب ما امليه عليك

فارتعش باسكال وقال ، كيف تسألني أن أكتب وأنت تعلم اخطار الكتابه في مثل موقفنا

— لا تخف فلا خطر على الاطلاق مما ستكتبه حتى ولو فقد الكتاب فهات ادوات الكتابة

فذهب باسكال فأحضر معدات الكتابة ودخل جاك الى معمله الكيماوي فجاء بزجاجة تتضمن سائلا اصفر

فقال له باسكال ، ماهذا ؟

قال ، انه مركب كيماوي من الاختراعات الحديثة ستكتب فيه تلك الرسالة التي سأمليها عليك فيظهر الخط عليها جليا كالكتابة بالحبر فاذا مضى عليه يوم وليلة ذهب الحبر من نفسه عن الرسالة وصارت ورقة بيضاء كما كانت قبل الكتابة عليها

— ولمن تريد ان أكتب الرسالة ؟

— الى بول فورمنتال من عشيقته اميلي فانه متى قرأ الرسالة وعرف المكان والساعة المعينين للاجتماع طواها ووضعها في جيبه فلا يهتم بها

— ولكن ربما خطر له أن يعيد قراءتها بعد اربع وعشرين ساعة

— ذلك ممكن ولو خطر له أن يعيد تلاوة الرسالة ووجدها بيضاء لعلم أن اميلى كتبت له بذلك الحبر الجديد من قبيل الحذر وهذا الاختراع بات كثير الشيوع فلا يخفى امره على مثل بول

- الا تخشى أن يذكر لاحد هذه الرسالة ؟
- انه يحبها حبا اكيداً فلا يبوح بسرها لاحد وفوق ذلك فلمن تريد ان يبوح ؟
- لابيه
- انه مسافر وبول يقيم الان وحده في كريتيل فلا خطر علينا فأجتهد ان تقلد خط اميلي ما امكنك التقليد فاني اخشى أن يكون قد رأى خطها

ثم اخذ يملي عليه فكتب بذلك الحبر السكيمي مايأتي

« ايها الحبيب

« لقد وعدتك أن أدعوك الي حين أغدو مطلقة السراح وأنا الان حرة وسأكون غدا مع انجل في بتي كاستل وهي مخلصة لي كل الاخلاص

« فأحضر غدا في منتصف الليل وادخل آمنا تجد انجل وهي تجيء بك الي

« أحذر أن تبوح لاحد بأمر أجتماعنا وهذه وصية من تحبك بملء جوراحها الى الابد » أميلي

فلما اتم باسكال كتابة الرسالة قال له جاك عنونها بأسم بول فورمنتال في كريتيل وضعها في صندوق البوسطة

فأعترضه باسكال قائلا ، أأضعها في صندوق الشارع؟

قال ، كلا فادخل انت الى مخدعك فانك تعب من المشاق وانا اذهب بالرسالة الى ادارة البريد العام وساوقظك عند عودتي للعشاء

ولنعد الآن الى ريموند فانه بحث مع رفيقه البوليس بعد الظهر وجانبا من الليل في دفاتر معظم الفنادق فلم يجد فيها اثراً لجاك فعاد مع رفيقه بالخيبة واتفقا على ان يعودا الي البحث في اليوم الثاني .

وفي الصباح اجتمعا فقال البوليس لريموند ، اني اخاف ان يذهب تعبنا سدى بالبحث في الدفاتر فان جاك لا بد أن يكون قد غير اسمه

فقال له ريموند ، لماذا ؟

قال ، لانه يخاف أن يعرفه سكان هذه القرية بعد خروجه من السجن

قال ، لا بأس فلنزر بقية الفنادق ولنفحص دفاترها

ثم ذهب الاثنان وما زالا يسيران من فندق الى آخر حتى انتهيا الى ذلك الفندق الذي اقام فيه جاك وباسكال حين خروجهما من السجن

وعند ذلك جعل ريموند يقلب صفحات الدفتر وينظر في اسماء المسافرين وفيما هو على ذلك ارتعش وصاح صيحة دهش فقال له رفيقه ، الملك وجدت الاسم؟

قال ، كلا ولكني وجدت شيئا غريبا

— ما هو ؟

— اسم الدكتور تومسون

— اتعرف هذا الطبيب ؟

— ومن لا يعرفه في باريس وهو اشهر اطبائها غير ان الذى ادهشني ان هذا الطبيب قادم من اميركا الى باريس فكيف اتفق وجوده في هذه القرية في نفس الوقت الذى كان جاك لا جارد فيها ؟

— لقد خطر لى خاطر غريب ربما استنكرته

— بل ربما كان نفس خاطري فقل لى ما بدا لك

— الا يمكن أن يكون جاك والدكتور تومسون واحداً ؟

— هذا ما بدالى ايضا

وبينما كان الاثنان يتحدثان كان ريموند ينظر في اسماء الدفتر فارتعش ارتعاشاً جديداً وقال (باسكال رمبرت) ثم قال لرفيقه تعال وانظر

فقرأ البوليس تحت اسم بسكال (سكرتير الدكتور تومسون) وقال ، لا شك عندى ان هذين الرجلين هما اللذان نبحث عنهما

— وانا أرى رأيك فيهما غير انه يجب أن اسأل صاحب الفندق فادعه لى

فذهب البوليس وعاد بعد هنيهة مع صاحب الفندق فقال له ريموند ، انك كتبت اسمى هذين الرجلين في دفترك ولابد انك تعرفهما

فقال صاحب الفندق ، من هما يا سيدى ؟

— الدكتور تومسون وسكرتيره

— اني اعرفهما حق العرفان ومثل هذا الطبيب لا ينسى

- لماذا ؟
- لانه من خير الناس
- اريد أن اعرف كيف كان قدومهما الى فندقك وكم اقاما
- ذلك سهل يا سيدى فقد تركا من اثر مروءتهما مالا ينسى
- حسنا فقل لى كل ماتعلمه دون زيادة ولا نقصان

فاندفع صاحب الفندق في الحديث فاخبره بكل ما كان من جاك و باسكال و بما جرى لهما من اميلي غرانشان بعد وفاة امها

فلما اتم حديثه قال له ريموند ، اكانت اوراقهما وجوازاتهما حسب النظام ؟
- اذكر انها كانت منظمة
- ولكنك غير واثق
- لا حاجة الى الثقة فان ما اظهره هذا الطبيب من المروءة كان يدل انه من خيار الناس ولو كان سلوكه يحمل على الشبهات لما اقام في باريس ولما نال هذه الشهرة العظيمة كما اخبرني امس سكرتيره باسكال روبرت

فوقف ريموند وقال، باسكال روبرت؟
- نعم ياسيدى
- اكان هنا امس ؟
- وأول امس ايضا
- الم يقل لك عن السبب في قدومه الى جوانيني ؟
- قال لى انه قادم لاشغال خاصة
- ان ذلك مبهم لا يفيد شيئا
- لا انكر ذلك ولكني لا اجسر على ان اسأله عن اشغاله غير انه اخبرنى في سياق الحديث ان احد اصحابه كلفه باسترجاع حاجة مرهونة من بنك لرهونات وسألني عن محل البنك
- اما علمت ما هى هذه الحاجة التي استرجعها ؟
- كلا

— ولكني انا ساعلم ثم التفت الى رفيقه البوليس وقال له ، كل ذلك غريب وكل غرابة تدعو في هذه المواقف الى الشبهة فان هذين الرجلين قدما من اميركا الى باريس فما علة اقامتهما في جوانيني عدة ايام واذا سلمنا جدلا انهما اقاما فيها للنزهة وما هي من المدن التي تستوقف المسافرين فكيف يعود احدهما اليها لاشغاله الخاصة وينوب عن احد اصدقائه باسترجاع ما رهنه في البنك

ثم وجه حديثه الى صاحب الفندق وقال له ، صف لي هذين الرجلين بما تستطيعه من التدقيق

فامتثل ووصفهما له غير ان ريموند لم يستفد شيئاً من هذه الاوصاف فان الناس يتشابهون باوصافهم المطلقة وفوق ذلك فان الشعر قد يتغير بالصباغ وطابق اللحية يحلقها والحليق يطلقها فيختلف الشبه ولذلك لم يعتمد على تلك الاوصاف

وقد سأله رفيقه البوليس اذا كان يرجو ان يجد دليلا من تلك الحاجة التي كانت مرهونة في البنك فاجابه اني لا استطيع ان اجيبك على سؤالك قبل ان اعرف هذه الحاجة وانت ابن المهنة تعلم دون سواك ان احقر دليل قد يؤدي الى الاهتداء الى اعظم الجرائم خفاء فهلم بنا الى ذلك البنك

وذهب ريموند ورفيقه الى مدير بنك الرهونات واخبراه عن قصدهما فطلب اليه ريموند ان يطلعه على ايصالات جميع الحاجات التي استرجعها اصحابها من البنك امس واول امس

فأتاه المدير بجميع تلك الايصالات وكانت نحو عشرين ايصالا فلم يقرأ منها ثلاثة او اربعة حتى صاح صيحة فرح

فسأله المدير والبوليس معا ، العلك وجدت ما تطلبه ؟

قال ، نعم واسمعا ثم تلا عليهما ما كان مكتوبا في الايصال كما يأتي

« مدالية من الذهب الخالص ثقلها ٤٥ غراما وعليها تواريخ وكلمات ونمرة »

ثم قال بلهجة المنتصر، لقد حدثني قلبي بهذا الفوز فان باسكال روبرت هو نفس

باسكال سونيه وهو سارق وصية الكونت دي تونوريو دون شك وما الدكتور تومسون الا شريكه وهما الاثنان اللذان ابحث عنهما ولكن . . .

ثم قال، ان توقيع الراهن لابد ان يكون موجودا في الوصل فقلب الوصل عند ذلك وما لبث ان قرأ التوقيع حتى صاح صيحة رعب وقال ، اميلى غرانشان . . لقد علمت الان كل شيء ولم يبق لدي اقل ريب فان اميلى غرانشان هى نفس اميلى برتيه احدى و ثاه الكونت دي تونوريو وهى في قبضة هذين اللصين يكرمانها ويجلانها الى ان يفوزا بعدالتها فيقتلانها كما قتلا الآخرين . .

رباه ان ولدي هائم بها فهل اصل قبل فوات الاوان

ثم نظر فى ساعته فكانت الساعة السابعة ونصف فسأل البوليس قائلا، متى يسافر القطار الى باريس ؟

قال ، في الساعة الثامنة

قال ، اذن هلم بنا واسرع فأني اخشي ان لا ادرك القطار

وعند ذلك ودع مدير البنك شاكراً واسرع الى مكتب التلغراف فارسل الى مدير البوليس فى باريس التلغراف الاتي

« اذهبوا في الحال الى منزل الدكتور تومسون فى شارع ميرمونسيل وابحثوا البحث الدقيق واقبضوا على كل من تجدونه فيه وانا قادم فى اول قطار »

وبعد هنيهة كان ريموند فى القطار فسار به الى باريس وهو يسأل الله فى ضميره ان يصل قبل فوات الاوان

***

يذكر القراء ان بول فورمنتال عاد الى كرينيل فأخبر خادمته أن أباه قد نال العفو التام ولكنه شديد الغم لاختفاء فابيان فهو يبحث عنه البحث الدقيق ويهتم ايضا باتخاذ الاحتياط لوقاية ولده

وقد اتي حين قدومه ذلك الصياد الفيلسوف واقفا عند شاطيء النهر ويذكر القراء أن ريموند كان قد عهد الى هذا الفتى الصياد بمراقبة أبنه وأن لا يفارقه لحظة في

النهار اذا أستطاع فدعاه الصياد الى الصيد ودعاه بول الى الغداء فقبل كلاهما الدعوة واتفق الاثنان على أن يثيرا حرباً هائلة على اسماك النهر بعد الغداء

وفيما هما ذاهبان الى المنزل لقيا رجلين يتحدثان ويسيران في أثرهما فلم يكترثا لهما وواصلا السير

أما هذان الرجلان فقد كانا ذينك البوليسين اللذين عينهما ريموند لحراسة ولده فلما رأيا بول قال أحدهما للآخر بصوت منخفض ، ادخل اليه فهذا هو ابن ريموند

فنظر اليه الرجل خلسة وقال ، انه مع الفتى الصياد وهما ذاهبان الى المنزل كما يظهر فلندخل الى الفندق ونراقبه من النافذة فانها تشرف على منزله

وأما بول فانه ذهب الى المنزل مع رفيقه الصياد فتغديا وعادا الى الصيد فأقاما الى الساعة الثامنة حيث عادا ايضاً الى المنزل فتعشيا وفي الساعة العاشرة افترقا فذهب الصياد الى بيته

وفي الصباح جاءه الصياد وذهب به الى الصيد وقبل أن يصلا الى المكان الذي يصيدان فيه لقيهما موزع البريد فدنا من بول واعطاه رسالة فأخذها بول وقال في نفسه قبل أن يقرأ عنوانها ، لا شك انها من أبي غير انه ما لبث ان نظر الى العنوان حتى رجع عن فكره وقال ، ما هذا الخط انه غير خط أبي ولا شك انه خط امرأة

ثم اضطرب وقد جال في نفسه خاطر فقال في نفسه ، الا يمكن أن يكون هذا الخط . . ولكنه توقف ولم يجسر أن يتم حديث نفسه وجعل قلبه ينتفض فمزق الغلاف بيد ترتجف واسرع بنظره الى التوقيع فاشرق وجهه بأشمة من السرور لا توصف وقال ، ان الكتاب من اميلي فماذا كتبت لي ثم قرأ بسرعة ذلك الكتاب الذي املاه جاك على شريكه باسكال كما يذكر القراء فزاد خفوق قلبه وقال ، انها باتت حرة وساراها في هذه الليلة . . ايوجد بعد هذه السعادة سعادة . . نعم سألتقي بها هذه الليلة في بتي كاستل وسأنتزعها من ذلك الظالم . . . وافرحتاه أيتها الحبيبة . افرحي مثلي فانك ستبرحين ذلك المنزل الذي يضطهدونك فيه وتقيمين في منزل أبي حيث تكونين فيه امرأتي امام الله والناس

ولكن ما بالها تدعوني الى التكتم . . ان ذلك يدل دون شك على ان حريتها لم تطلق بعد وانها على وشك أن تقطع قيدها فهي تكتب لي كي اتأهب

وعند ذلك لثم سطور تلك الرسالة واعادها الى غلافها فوضعها في جيبه

وكان الصياد قد أعد القارب فصعد بول اليه وذهب الاثنان يصيدان وبول ينظر الى الشمس من حين الى حين مستنكراً ويود لو اختطفها الليل فتدنو ساعة اللقاء

ولما توارت الشمس في حجابها عاد الاثنان الى المنزل فلقي صاحب الفندق الصياد في الطريق وسأله أن يصيد له خمس أقات من السمك بحيث تكون عنده في الصباح

فأجابه الصياد ، ولكن ذلك يضطرني ان اسهر الليل كله

قال ، العلها المرة الأولى ؟

قال ، كلا ولكنني بعد ان أصبت بذلك الجرح صرت اخاف رطوبة الليل

قال ، ليس هذا الذي تخشاه ولكنك بت كسولا فاعلم انهم يأدبون مأدبة غداً في فندقي فاذا أتيتني بما طلبته من السمك ضاعفت لك الثمن واذا أبيت لا أشتري منك سمكة بعد الآن

قال ، طب نفسا فسأسهر وأتيك عند الفجر بما طلبت ثم سار مع بول الى منزله فقال له بول ، في أية جهة ستصيد ؟

قال ، بجوار بتي كاستل فان السمك يكثر هناك في الليل

فقال بول في نفسه ، اني اذا سرت الى بتي كاستل بطريق النهر رآني وافتضح سري فلا بد لي من السير في طريق آخر

وسار الاثنان فتمشيا ثم افترقا فذهب الصياد الى النهر وأقام بول ينتظر بفارغ الصبر انتصاف الليل

* * *

ولندعهما الآن في شأنهما ولنعد الى منزل الدكتور توسون في شارع مورمنسيل

كانت الساعة الخامسة وقد انتهى الدكتور توسون من عياداته وبدت عليه

علائم السرور والارتياح فانه بعد أن حدث بينه وبين امبلي ما عرفه القراء تغير بالظاهر كل التغيير فلم تعد ترى منه امبلي غير الحنو والانعطاف

وقد ترك غرفة العيادة وذهب الى غرفة أمبلي وكانت هيأتها تدل على الانقباض فتظاهر بالتأثر وقال لها ، مالي أراك حزينة يا ابنتي الملاك تريدين تأنيبي ايضاً ؟

فنظرت اليه وقالت ، أأنا اؤنبك يا سيدي ؟

— دون شك وانك لم تقتصري على تأنيبي بل انك تظهرين عدم الثقة بي

— لا أفهم ما تقول

— اذا كنت لا تشكين بكلامي فما هذا الانقباض بعد ما وعدتك به من الوعود الداعية الى السرور

— أتعده حزنا متى اذا رأيتني انتظر بجزع تحقيق هذه الوعود

— أتريدين ان اذهب بك الآن الى بتي كاستل بحيث تقيمين فيه الى يوم زواجك ببول فورمنتال

فاتقدت عيناها ببارق من الرجاء وقالت ، دون شك أريد بل التمس ذلك التماساً منك

— وأنا ليس لي ما يعيقني عن تحقيق آمالك فان كل شيء معد لاستقبالك في ذلك المنزل

— أحق ما تقول .. تذهب أبي اليه ؟

— انك تستطيعين الذهاب منذ الليلة فتذهبين مع انجل وتكونين هناك حرة مطلقة الارادة تفعلين ما تشائين ولك ايضاً أن تكتبي الى خطيبك بول فيزورك وتتفقين معه على تعيين موعد الزواج وأنا اجتمع بعد ذلك بابيه واتفق معه على تعيين مهرك اذ لا بد لي من امهارك ولا اخالك تسيئين الي بالرفض

فمدت امبلي يدها الى الدكتور فصافحته وقالت له بصوت يتهدج من الامتنان ، أشكرك خالص الشكر وأقبل منك ولا أنسى جميلك ما حييت فمتى نسافر ؟

— في الساعة التاسعة من هذه الليلة فاذهبي يا ابنتي الى مخدعك وتأهبي للسفر

فدخلت امبلي الى مخدعها وشغلت عن التأهب بالصلاة وحمد الله

وبعد أن فرغت من صلاتها أعدت مهمات السفر وذهبت الى المائدة فتعشت مع الجميع

فلما دنت الساعة التاسعة خرجت من ذلك المنزل مركبتان في احداهما اميلي وانجل وفي الثانية جاك وباسكال فقال باسكال لرفيقه ، لقد بلغنا المرام أيها الصديق فلا يمر بنا ثلاثة أيام حتى نظفر بملايين الكونت دي تونوريو ونبرح هذه البلاد الى بلاد تخفى جرائمنا فيها

فلم يجبه جاك وكان مقطب الجبين اذ لم يكن يفتكر في تلك الساعة بالملايين بل كان يفتكر باميلي ويقول ، انها ستصبح بعد حين جثة بلا روح

ثم اضطرب بغتة وأغمض عينيه كأنه يحاول ابعاد ذلك الخيال الرهيب الذي ارتعدت له فرائصه

فلندع المركبتين تسيران الى بتي كاستل ولنسبقها اليه بل الى ذلك القبو الذي تركنا الكونت فابيان مسجوناً فيه

ان هذا السجين لم يكن يخطر له بعد ان فارقاه الا أن يجد منفذاً للنجاة من سجنه والاسراع الى انقاذ أمه بعد أن انذره الدكتور تومسون بقتلها

وكان يطمع بالخلاص من ذلك المنفذ الذي كان يسمع ماء النهر يجري من تحته وقد أخذ سكين الطعام كما تقدم وجعل يزيل بها الطين عن الحجر

وكان العمل شاقاً متعباً فلم يبال بالتعب بل لم يشعر به ليأسه فما زال يعالج الطين حتى أزاله ولم يبق عليه غير رفع الحجر فركع على الارض وادخل ثلاثاً من أصابعه في ثقب الحجر ورفعه بقوة ضاعفها رجاء الخلاص فارتفع وظهر له المنفذ وهب هواء بارد على وجهه فسالت دموعه من الفرح وجعل يشكر الله

ولما ذهبت اعراض التأثير قام فأحضر المصباح وأدناه من المنفذ فلم يكد يتبينه حتى اصفر وجهه اصفرار الأموات ذلك انه رأى بابين ينفصلان بين المنفذ والترعة ولهذين البابين قضبان من الحديد فعلم أن تعبه ضاع سدى وان آماله ذهبت ادراج الرياح

فوقف المنكود وقفة القنوط وقال في نفسه ، ان الله قد تخلى عني

لو كنت أعلم اين أنا على الأقل لكنت استغيث واستجير من هذا المنزل فربما سمعوا صوتي ولكني اخشى أن يسمع استغاثتي اعدائي فأكون قد استجرت من الرمضاء بالنار . . . على اني سأستغيث في كل حال وليفعل الله ما يشاء

وعند ذلك أدنى رأسه من المنفذ وجعل يستغيث بأعلى صوته ويقول ، الي يا أهل النجدة فكان صوته يسير في تلك الترعة ويتموج فيحمله الهواء الى خارجها ويجسمه فيشبه حين انطلاقه دوي الرعد البعيد

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة في ذلك الحين والفتى جالس عند فم الترعة يصطاد فلما سمع هذا الصوت ترك الخيط واصغى اصغاء تاماً ليعلم اذا كان ما قد سمعه صوت انسان فتوالى الصوت وهو مصغ فأيقن انه صوت مستجير وبالغ في الاصغاء والانتباه فعرف مصدر الصوت وقال ، ماذا حدث في بتي كاستل ومن هذا الذي يستجير فيه ؟

ثم دنا من المكان الذي يدخل فيه الماء الى الترعة وصاح بملء صوته قائلا ، من المستجير

فسمع فابيان الصوت وصاح صيحة فرح وانتصار فعاد الى الاستغاثة

فأجابه الصياد قائلا ، ان صوتك وصل الي أيها المستغيث فقل ما يجب أن اصنع

فخطر لفابيان خاطر سريع فقال له اصبر قليلا . ثم أخذ من جيبه دفتر مفكراته فانتزع منه ورقه وكتب عليها ما يأتي

أنا اسير . . لا أعلم اين . . والذي اسرني رجل اثيم يدعى الدكتور تومسون . اخبروا أمي وهي الكونتس دي شاتلو في شارع تورنسون نمرة ١٩

فابيان دي شاتلو

ثم اسرع الى زجاجة النبيذ الفارغة فوضع الورقة التي كتبها فيها واحكم سدها وعاد الى مناداة الصياد فقال له ، أتسمعني ؟

قال ، نعم

قال ، اذن راقب مجرى المياه والتقط ما تمر به

قال ، ما هو؟

قال ، زجاجة فيها رسالة ثم القى الزجاجة في الماء فوضع الصياد منشفة كبيرة عند فم الترعة فلم تمض هنيهة حتى التقط الزجاجة فكسرها واخرج الرسالة فقرأها وعاد وهو يضطرب الى فم الترعة ونادى أعلى صوته قائلا ، يا سيدي فابيان هذا أنا

فقال له فابيان ، من أنت ؟

قال ، أنا الفتى الصياد صديق بول فورمنتال

— اذن انقذني فاني معتمد عليك

— هل الخطر سريع ؟

— لا أعلم ولكنني أخشى أن يكون سريعاً

— تشجع يا سيدي وانتظر

— سأنتظر بشرط أن تسرع

— اني ذاهب في الحال فاطمئن

ثم وثب الصياد من قاربه الى البر وجعل يعدو الى محطة السكة الحديدية فركب القطار

ولما وصل الى باريس قال في نفسه ، لا يجب أن اذهب الى منزل أمه بل الى منزل ريموند فورمنتال فهو يكون اسرع الى خلاصه من أمه . ولم يكن يعلم أن ريموند مسافر

وفي هذه الساعة نفسها سمع فابيان فجاءة صوت مركبتين دخلتا الى فناء المنزل فهلع قلبه وجمد الدم في عروقه اذ تأكد قرب الخطر

وقد عرف القراء أن المركبتين كان فيهما جاك وباسكال وانجل واميلي فلما وصلتا بالقادمين عادتا الى باريس على الاثر ودخلوا جميعهم الى المنزل فقال جاك لاميلي ، اننا سنقضي السهرة معا الى أن تهيء انجل الاسرة

فقالت له ، الا يجب أن أساعدها ؟

قال ، كلا واذا شئت اعدي لنا الطعام فأن باسكال احضر كل ما يلزم

فذهبت انجل تشتغل في الغرف وذهبت اميلي تهيء الطعام وبقي الاثنان منفردين يعدان معدات الموت

وبعد نصف ساعة كان الجميع جالسين على المائدة يأكلون ما احضروه من اللحم البارد وسواه

وكانت علائم السرور بادية على الجميع حتى اميلي نفسها فانها كانت تبتسم وقلبها مفعم رجاء بالهناء المقبل

ولبثوا جميعهم على المائدة الى أن أوشك الليل أن ينتصف فقامت أنجل ونزلت الى الحديقة ففتحت بابها ووقفت في الظلام تنتظر وأذناها مصغيتان لكل صوت

* * *

اما بول فورمنتال فأنه بعد أن فرغ من العشاء وذهب الصياد تظاهر أنه يريد النوم ودخل الى غرفته

واما الخادمة فانها خرجت الى باب المنزل فلقيت البوليس السري المعين لحراسة بول فقال لها ، الم يحدث شيء جديد ؟

قالت ، كلا

قال ، العله نام ؟

قالت ، نعم وسأفعل فعله

فودعها وعاد مطمئنا الى فندقه فسهر فيه الى الساعة الحادية عشره وحاول ان ينام فلم يستطع لاشتداد الحر فوضع كرسيا أمام النافذة وجلس عليها يستنشق الهواء

وكذلك بول فانه اقام في غرفته الى الساعة الحادية عشرة فلبس ثيابه واستوثق من نوم الخادمة وخرج من باب الحديقة الى الشارع وسار في طريق بتي كاستل

وكان البوليس لايزل في موقفه وهو بملابس النوم فلما رآه اتشح برداء كبير واسرع فخرج من الفندق وتعقبه فرآه قد دخل الى بتي كاستل ورأى الباب اقفل بعد دخوله فعاد الى رفيقه فايقظه ووقف الاثنان يرودان حول المنزل ويراقبان

اما بول فانه حين وصل الى بتي كاستل وجد الباب مفتوحا فدفعه ودخل فاستقبلته انجل وقالت له ، اهذا أنت ؟

فاجابها وقلبه يخفق من الاضطراب ، نعم

قالت ، اقفل الباب واتبعني

فأمتثل وسار في اثر تلك الاثيمة حتى اذا توسطا البستان جعلت تسعل وكان سعالها علامة مصطلحا عليها بينها و بين جاك اشارة الى أن الطير وقع في القفص

فلما سمع جاك سعال انجل أسرع الى الغرفة الموضوعة فيها تلك الالة الجهنمية وجعل ينتظر بملء الجزع ومجانبه باسكال

* * *

كان التلغراف الذي أرسله ريموند الى رئيس البوليس وصل اليه في الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة اى بعد أن خرج جاك ورفاقه من منزله في شارع ميرمونسيل الى بتى كاستل

فلما قرأه رئيس البوليس صاح صيحة فرح وقال، لقد نال ريموند العفوعنه بحق ثم أصدر أمره الى من حواليه بأعداد مركبتين وأختار من يعتمد عليهم من رجاله وفي الساعة العاشرة سارت المركبتان تنهبان الارض الى شارع ميرمونسيل فلم تقفا الا عند باب منزل الدكتور تومسون

وكان الفتى الصياد قد وصل في تلك الساعة الى منزل ريموند وعلم انه مسافر فركب مركبة وانطلق بها الى ادارة البوليس فلقى نائب المدير واخبره بما قدم لاجله فادرك الوكيل خطورة الامر وأرسله الفور الى شارع ميرمونسيل ليجتمع فيه بالمدير

اما المدير ورجاله فلم يجدوا في منزل جاك غير الخادم فضرب المدير الارض برجله وقال ، اني اخشى أن يفلت هؤلاء الاشقياء فليحضر بواب المنزل

وبعد هنيهة جاؤا بالبواب وهو يرتجف من الخوف ويقول ، انى لم ارتكب اثما فماذا تريدون مني ؟

فقال له المدير ، يجب أن تخبرنا بجلاء عن كل ماتعلمه

قال ، انى مستعد لاجابتكم عن كل ماتسألونني عنه ولكنى لا اعلم شيئا

— ولكنك تعلم على الاقل اين يوجد الآن الدكتور تومسون

— دون شك فقد أوصلته الليلة الى كرينيل ولم اعد الا منذ ربع ساعة

— اذهب وحده اليها ؟

— كلا بل ذهب مع سكرتيره وأبنة عمه والمدموازيل اميلي

فقال رئيس البوليس في نفسه، انها اميلي أحدى وريثات الكونت دي تونوريو وقد ذهب بها الى كرينيل لقتلها دون شك . ثم التفت الى البواب وقال له، انك ستوصلنا في الحال الى حيث أوصلت الدكتور تومسون

فاجابه صوت من ورائه قائلا . بل أنا أوصلكم يا سيدي اذا أمرت

فالتفت البوليس الى القائل وسأله ، من أنت ؟

قال، أنا جول بولنوا أحد ورثاء الكونت دي تونوريو وقد أراد اولئك الاشقياء الذين تبحثون عنهم قتلي فلم يفلحوا ولكنهم فازوا بسرقة المداليةفتعالوامعي واسرعوا فان حياة فابيان دي شاتلو في خطر واخشى أن يكونوا قد قتلوه

فاضطرب رئيس البوليس وقال ، الكونت فابيان !

قال ، هو بعينه

قال ، ولكن كيف . . .

فقاطعه الصياد قائلا ، أن الخطر شديد يا سيدي فاسرعوا وسأخبركم في الطريق

فاصدر الرئيس امره بالرحيل وابقى جنديين في المنزل كي يمنعا الخدم من الهرب وركب احدى المركبتين والصياد أمامه يقص عليه حادثه فابيان فلما وقف الرئيس على حقيقة الخطر هلع قلبه خوفا على فابيان وأمر بزيادة الاسراع

وفيما كانت المركبتان تنهبان الارض قابلتهما مركبة كانت تسير بنفس سرعتهما وسمع رئيس البوليس من فيها يصيح قائلا ، قفوا

فعرف الرئيس أنه صوت ريموند فأوقف مركبته وصعد اليها ريموند فاستأنفوا السير الى بني كاستل وهم خائفون يرجون أن يكون وصولهم قبل فوات الاوان .

* * *

كان جاك و باسكال ينتظرون في الغرفة و يد جاك على تلك الاله الهائلة ينتظر ان يضغط عليها فينفذ سمها المائل الى من يشم رائحة بخاره

وقد قررا أن يبدئا بقتل بول واميلي ثم يقتلان بعدهما فايان فيظفران بجميع المداليات و يعلمان موضع الكنز الدفين

اما اميلي فقد كانت جالسة وحدها في غرفة المائدة تنتظر عودة جاك وانجل وتغتنم فرصة احتلاثها لمناجاة بول

وفيما هي على ذلك فتح الباب فجاءة فانتفت اميلي وصاحت صيحة ممزوجة بالفرح والدهشة والخوف.

وكان الداخل بول وفى اثره انجل اما انجل فانها خرجت مسرعة من الغرفة واقفلت بابا من الخارج ودنا بول من اميلي وهى حائرة مبغوته فقالت له بصوت يرتجف، انت هنا فما حملك على المجيء ؟

فذهل بول وقال ، كيف تسألينني عن ذلك اما كتبت لي امس ؟

فاصفر وجه الفتاة وقالت ، رباه انهم نصبوا لنا فخا وسقطنا فيه

قال، اي فخ تعنين ايتها الحبيبة وما هذا القول الذي اسمعه منك . . انك كتبت لي ان احضر عند انتصاف الليل فقرأت كتابك وحضرت

— ولكني لم اكتب اليك شيئا

— هذا هو كتابك فاقرأيه ثم اخرج الكتاب من جيبه ودفعه اليها ففتحته فاذا هو ورقة بيضاء فردته اليه وقالت ، انى ارى ورقة بيضاء لا خط فيها فأخذ بول الكتاب من يدها منذهلا وفحصه فلم يجد غير طابع البريد المختوم على الغلاف فقال لها، أن هذا محال فقد كان على هذه الورقة سطور قرأتها عشرين مرة وحفظتها غيبا فاسمعي ماقرأته. ثم تلا عليها تلك الرسالة التي تقدم ذكرها وهى تسمعه وعليها علائم الرعب الشديد حتى اذا فرغ قال لها . الم تكتبي لي هذه الرسالة ؟ قالت، كلا كلا اني لم اكتب اليك شيئا وقد نجحوا في الكيد لنا ونحن الان في قبضة الدكتور تومسون وباسكال وانجل فلا تطمع بالخلاص فقد نفذ فينا حكم القدر

فأجابها صوت من الخارج ، نعم لقد حكم عليكما بالموت ولكني انعم عليكما بلذة

الموت معاً فانكما متحابان . وكان الصوت صوت جاك فقال له باسكال ، أية فائدة من الكلام فاسرع بالضغط على الآلة . أما اميلي فانها سقطت بين ذراعي حبيبها فضمها الى صدره ونسيا كل ما في الوجود فلم يشعرا الا برائحة عطرية كانا ينشقانها فيسكران منها ولا يعلمان مصدرها وهي رائحة بخار ذلك السم القاتل الخارج من الآلة .
وبعد هنيهة بدأ تخدير العاشقين ولكنهما سمعا لجاة ضجيجاً من الخارج وأصواتاً تدل على مهاجمة الابواب وتكسير النوافذ فأبرقت أسرة العاشقين وصاح جاك و باسكال صيحة منكرة واضطربت يد جاك فاتى بحركة عصبية فزاد الضغط على الآلة دون أن يشعر فانفجرت انفجاراً كان له دوي شديد وتكسرت الآلة فأصابت قطعة من زجاجها وجه جاك فجرحته جرحاً بالغاً وحاول بسكال أن يهرب فلم يجد منفذاً . أما بول واميلي فكانا يصيحان و يستغيثان فأجابهما صوت من الخارج لبيك يا ولدي ثم فتح الباب فانطرح بول واميلي على صدر ريموند فجعل يقبلهما والدموع تذرف من عينيه لفرحه بنجاتهما من الموت . وعند ذلك أرشد الصياد البوليس الى المكان الذي كان مسجوناً فيه فابيان فانقذوه وصعدوا به الى حيث كانت اميلي و بول فذهل فابيان حين رآهما وقال مدموازيل اميلي غرانشان فقال له بول ، نعم وهي ستكون امرأتي غداً فأطرق فابيان بعينيه الى الارض وقال في نفسه ، لم يبق بد من النسيان . وعند ذلك التفت رئيس البوليس الى فابيان وقال له ، اسرع يا سيدي الكونت الى أمك قبل أن يقتلها اليأس وقل لها ان ريموند فورمنتال وجول بولوا قد انقذاك وسيذهب معك أحد رجال البوليس . وكان جاك قد اغمي عليه للجرح الذي أصابه فنقل الى مركبة البوليس وحاول باسكال المقاومة فهجموا عليه جميعهم وكبلوه بالقيود واختبأت انجل بخزانة فبحثوا عنها حتى وجدوها وذهبوا بهم الى السجن وفي اليوم الثاني فتشوا منزل الدكتور تومسون فوجدوا فيه الوصية الحمراء أي وصية الكونت دي تونوربو واحضروا المال من المحل المخبوء فيه فوزعوه على الورثاء واطلقوا سراح ذلك الخادم الشيخ الامين جيروم فعينته الكونتس دي شاتلو وكيلا لمنزلها

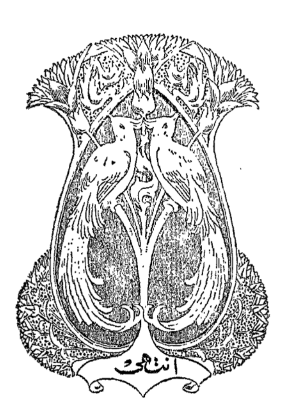
***

بعد هذه الحوادث الفظيعة بشهر عقد في كنيسة سانت لويس زواج بول فورمنتال واميلي كرانشان حورية البان فكان شاهدي العروسين الكونت فابيان وجول بولنوا الصياد

وبعد ذلك بثلاثة أشهر نفذ حكم الاعدام بجاك لاجارد وبسكال سونيه وحكم على انجل بالسجن المؤبد فلقيت من شقاء السجن ضعف ما لقية رفيقاها الاثيمان من ألم الموت

تمت رواية الوصية الحمراء

ويليها رواية الملكة ايزابو



رواية

أهوال الاستبداد

تأليف الكاتب الروسي الشهير

الكونت الكسى تولستوى

مترجمة بقلم الاستاذ

خليل بيدس

عني بنشرها

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

سنة ١٩٢٧

تمت رواية

الوصية الحمراء

ويليها رواية

روكامبول



Published by

Mr. E. A. ELIAS

P. O. Box 954

Cairo.